

# الْمُوقَاتُ الْإِسْلَامِيَّ

شَاهِدَةُ دِينِ اللَّهِ  
لِشَفَاعَةِ حَسَنَاتِهِ لِزَعْدِ حَسَنَاتِهِ

تَرْجِمَةٌ

كَلِمَاتِ السَّيِّدِ

طَارِ أَهْلَمِ الْوَادِ الْمَرْيَدِ





**العرفان الإسلامي**



# العرفان الإسلامي

تأليف

سماحة آية الله الشيخ حسين انصاريان

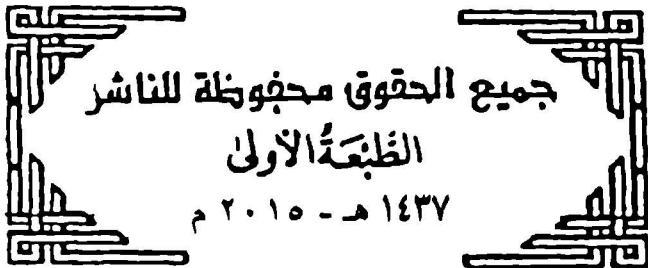
ترجمة

محمد باقر فاضلي

الجزء الثاني عشر

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



**DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI**  
Publishing & Distributing

للطباعة والنشر والتوزيع

### الموقع الجديد

دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف أوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧  
الرمز البريدي: ١١٠٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٤٦٩ / ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧  
Beyrouth—Lebanon—Airport Road—Behind Golden Plaza—P.O:11/7957—Postal  
Code:-11/072250 Tel:009611455559 – 009611452469 -- Fax : 009611/850717  
Email:[darturath2012@hotmail.com](mailto:darturath2012@hotmail.com) [www.dartourath.com](http://www.dartourath.com)

الباب

(٧٥)

في التوكل



قال الصادق عليه السلام:

التوكل كأس مختوم بختم الله فلا يشرب بها ولا يفصم ختمها إلا المتكلون كما قال الله تعالى:

«وعَلَيْهِ فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ»<sup>١</sup>، «وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُتُمْ مُؤْمِنِينَ»<sup>٢</sup>.

من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها.

من سرءة أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله ومن سرءة أن يكون أكرم الناس فليتّق الله ومن سرءة أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق بما في يده. جعل التوكل مفتاح الأيمان والأيمان قفل التوكل، وحقيقة التوكل الأيثار وأصل الأيثار تقديم الشيء بحقه.

ولا ينفك المتكل في توكله من ايثار أحد الأيثارين فإن آثر معلول التوكل وهو الكون حجب به، وإن آثر معلل علة التوكل وهو البارى سبحانه بقى معه.

فإن أردت أن تكون متكللاً لا متعللاً فكبير على روحك خمس تكبيرات وداع أمانتك كلها توديع الموت للحياة، وأدını حد التوكل أن لا تُسابق معدورك بالهمة ولا تطالع مفسومك

١- يوسف: ٦٧.

٢- المائدة: ٥.

وَلَا تَسْتَشِرْ فَمَعْدُومَكَ فَتَنْقُضَ بِأَحَدِهِمَا عَقْدَ إِيمَانَكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ. وَإِنْ عَزَّمْتَ أَنْ تَقْفَ عَلَى بَعْضِ شِعَارِ الْمُتَوَكِّلِينَ حَقًا فَاعْتَصِمْ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ وَهِيَ أَنَّهُ رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْمُتَوَكِّلِينَ قَدِيمٌ عَلَى بَعْضِ الْأَئِمَّةِ فَقَالَ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ اعْطِفْ عَلَيِ بِجَوَابِ مَسَأَلَةِ فِي التَّوْكِلِ وَالْأَمَامِ كَانَ يَعْرِفُ الرَّجُلَ بِحُسْنِ التَّوْكِلِ وَتَفِيسِ الْوَرَعِ وَأَشْرَفَ عَلَى صِدْقَهِ فِيمَا سَأَلَ عَنْهُ مِنْ قَبْلِ ابْدَائِهِ إِيَاهُ فَقَالَ لَهُ: مَكَانِكَ وَأَنْظِرْنِي سَاعَةً. فَبَيْنَا هُوَ مُطْرِقٌ بِجَوَابِهِ إِذَا اجْتَازَ بِهِمَا فَقِيرٌ فَادْخَلَ الْأَمَامَ عَلَيْهِ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ وَأَخْرَجَ شَيْئًا فَنَاوَلَهُ الْفَقِيرُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى السَّائِلِ فَقَالَ لَهُ: هَاتِ وَسَلْ عَمَا بَدَا لَكَ.

فَقَالَ السَّائِلُ: إِيَّاهَا الْأَمَامُ كُنْتُ أَعْرِفُكَ فَادِرًا مُتَمَكِّنًا مِنْ جَوَابِ مَسْتَلَتِي قَبْلَ أَنْ تَسْتَظِرِنِي فَمَا شَائِكَ فِي إِبْطَائِكَ عَنِّي؟ فَقَالَ الْأَمَامُ عَلَيْهِ: لِتَعْتَبِرَ الْمَعْنَى قَبْلَ كَلَامِي إِذَا لَمْ أَكُنْ أَرَانِي سَاهِيًّا بِسِرِّي وَرَكِي مُطْلِعًّا عَلَيْهِ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِعِلْمِ التَّوْكِلِ وَفِي جَيْبِي دَانِقًّا ثُمَّ لَمْ يَحِلَّ لِي ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ اِيَّاثَرِهِ ثُمَّ لِيَعْلَمَ بِهِ فَافْهَمْ.

فَشَهِقَ الرَّجُلُ السَّائِلُ شَهْقَةً وَحَلَفَ أَنْ لَا يَأْوِي عُمْرَانَا وَلَا يَأْنَسَ بِبَشَرٍ مَا عَاشَ.

الْتَّوْكِلُ كَأَسٍ مَخْتُومٌ بِخَمْنَ اللَّهِ فَلَا يَشْرَبُ بِهَا وَلَا يَفْضُلُ خَتَامَهَا إِلَّا  
الْمُتَوَكِّلُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.  
مَنِ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ كُلُّ مَوْتَنِي وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنِ  
انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَّهُ إِلَيْهَا.

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ  
أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَقِنْ اللَّهَ وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ  
اللَّهِ أَوْثَنْ بِمَا فِي يَدِهِ. جَعَلَ التَّوْكِلَ مَفْتَاحَ الْأَيْمَانِ وَالْأَيْمَانَ قُلْ التَّوْكِلِ،  
وَحَقِيقَةَ التَّوْكِلِ الْأَيْثَارُ وَأَصْلُ الْأَيْثَارِ تَقْدِيمُ الشَّيْءِ بِحَقِيقَةِ  
وَلَا يَنْفَكُ الْمُتَوَكِّلُ فِي تَوْكِيلِهِ مِنْ اِيَّاثَارِ أَحَدِ الْأَيْثَارَيْنِ فَإِنْ آثَرَ مَعْلُولَ  
الْتَّوْكِلِ وَهُوَ الْكَوْنُ حُجْبَ بِهِ، وَإِنْ آثَرَ مُعَلَّلَ عِلْلَةَ التَّوْكِلِ وَهُوَ الْبَارِي  
سُبْحَانَهُ بِقَى مَعَهُ.

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَكِّلًا لَا مُتَعَلِّلًا فَكَبِرْ عَلَى رُوحِكَ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ  
وَدَعْ أَمَانِيَّكَ كُلَّهَا تَوْدِيعَ الْمَوْتِ لِلْحَيَاةِ.

١- يوسف: ٦٧.

٢- المائدة: ٥.

## حقيقة التوكل:

إذا صور التوكل بأنه رفع اليد عن العمل والمثابرة والجهاد والمجاهدة والتعب والرياضة وتسير الامور دون الاعتناء إلى نظام الخلقة السامي ودون القيام بحقوق النفس والخلق، فهو تصور باطل وفكرة جاهلية وشيطانية مائة بالمائة.

فرزاقية حضرت الحق سبحانه التي اوجبها حضرته على نفسه لا تعني ان ترفع يديك عن جميع الاشياء او الامور وتجلس في زاوية للتبسيع والذكر ولا تحمل اية مسؤولية وانت في عزلتك وانقطاعك هذا تنتظر وصول رزقك إليك وإصلاح جميع الأمور في حياتك.

فرزاقية و ولية ومحبة حضرته تعالى لعباده وخصوصاً عباده المؤمنين لا تتنافي مطلقاً مع العمل والجهد والمثابرة، فالعمل والمثابرة واداء الحقوق هو أمر واجب على الانسان، وفي النهاية فإن العمل والمثابرة يجب أن يتم وفق ضوابط ومقررات حضرته سبحانه وبالنظر إلى الحلال والحرام وبالاعتماد عليه سبحانه كي تناول البركة والنتيجة المادية والمعنوية المرجوة، وحقيقة التوكل هو أن لا يكون الإنسان اسير بسلسل الكفر والشرك، ولا يتزلق عن جادة الصواب، ولا يتورط بالحرام والشبهة فضلاً عن الحلال، ولا يتجرد من الورع والطهارة واليقين والأخلاق.

فأنبياء الله تعالى من أجل كسب معاشهم الدنيوي الحلال كانوا يحترفون مهناً عديدة، وعندما يمرضون كانوا يراجعون الطبيب ويتناولون الدواء، وعند غارة العدو عليهم كانوا يأترون بالجهاد والدفاع المقدس، ولا يمتنعون عن أي عمل في طريق احقاق حقهم وحقوق اهلهم وعيالهم وامتهم، وهذا كله

لم يكن يتنافى مع التوكل وإنما كان اعتمادهم في جميع الامور تلك على الله سبحانه وتعالى وهو عين التوكل، هذا وكانوا هم <sup>عليهم السلام</sup> وكذلك الائمة الطاهرين <sup>عليهم السلام</sup> في رأس المتكلمين في العالم.

اتركوا عبارات وجمل وكلام الصوفيين والمتسولين الخارجين عن جادة الطريق في باب التوكل التي جاءت في الكتب الصوفية لأهل السنة والجماعة وبعض كتب الخاصة فأغلب كلامهم هو نتيجة الخيالات والأوهام وضد الآيات الكريمة والروايات الشريفة.

فالعمل والمثابرة وفق ضوابط قوانين حضرة الحق وشرط التزام الحلال والحرام في جميع امور الحياة كالامور الاقتصادية بما في ذلك تربية المواشي والزراعة والصناعة والتجارة والامور السياسية بما في ذلك التنفيذية والقضائية وضع القانون والامور العلمية بما في ذلك علم الاديان وعلم الابدان هو أمر واجب ولأجل أن تأتي جميع هذه الامور أكلها يجب الاعتماد والتوكيل على حضرة الحبيب سبحانه، فهذا هو التوكل وليس له معنى آخر، وتعريفه بمعنى غير هذا المعنى هو تكاسل وتهاون وطلب عافية والفرار من المسؤولية وليس توكلًا فالتوكل هو حالة ايمانية وروحية وقلبية يحفظ الانسان وجميع اموره من الكفر والشرك والوقوع في بئر ومتلقي الذنب والمعصية والذلة والدناءة.

نعم، فهذا العالم إنما وضع على أساس العلة والمعلول والسبب والاسباب، ودون الاتصال بهما فالوصول إلى المسبب والمسبيات أمر محال. وكل ما خي الأمر هو يجب أن ننتبه إلى شيئاً في هذا المجال، فالانتباه إليهما هو علة تحقيق التوكل.  
١ - يجب الاجتناب بكل ما أوتي الانسان من قوة وهمة من الاعتماد على

الوسائل والعلل والأسباب الشيطانية بما في ذلك العلل الواهية وغيرها، كي لا يكون وجود الإنسان منشأ الذنب وميداناً لعصيان العاصي، وحتى لا يساعد عن هذا الطريق الظلم والظالمين ويفتح الطريق أمام نفوذ الشيطان.

٢- أن لا يقول باستقلالية الأسباب والوسائل، وبالآخر أن لا يقول باستقلالية أي أمر، وعليه الانتباه في جميع الأمور والبرامج ان تأثير الأسباب والعلل إنما هي بيد الله وبفضل عنايته سبحانه، فحضرته إن أراد النار أن تحرق فهي تحرق، وإن أراد الدواء أن يؤثر فهو يؤثر، وإن أراد الأرض أن تنبت فهي تنبت، وإن أراد أن تنتصر المعركة فهي تنتصر وهكذا، وإذا لم يرد حضرته شيء فهو لا يصير ولا يكون حتى وإن اجتمع العالم كله لتحقيقه، عندما يلحظ الإنسان هاتين الحقيقةين في جميع أمور حياته، فإنه يتحقق التوكل الذي هو حالة نفسية وحقيقة قلبية ويلبسها ثوب العمل ويكون في صف المتكلمين بالحق سبحانه.

عندما يحصل التوكل، يطوي الشيطان بساطه ويرحل من حياة الإنسان ويدرك الميل إلى الذنب والعصيان من القلب، ويظهر ميدان الحياة من الهوى والشهرة، وينجو الإنسان من أن يصبح يد للشيطان أو الظالم، ويخطوا نحو الحياة كأولئك حضرة الحق سبحانه ولا يعمل شيء دون أن يأخذ الحق وكيلاً ومعتمداً له.

### التوكل في القرآن الكريم:

لقد كتبوا وقالوا كثيراً في باب التوكل وأن هذه الحقيقة السامة النفسية لها جذور في الإيمان بحضور الحق سبحانه، فخلاصة ونتيجة جميع تلك هي في جملة مفيدة ومحضرة.

يحكم الحسن والعقل، بأن فالدنيا ميدان العمل والمثابرة، إضافة إلى الحسن

والعقل، هناك كم كبير من الآيات والروايات الشريفة الواردة في هذا المجال التي لا حاجة لذكر امثلة منها، يكفي فقط الانتباه والعنابة إلى هذه الآية الشريفة التي تقول:

﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سُوفَ يُرَىٰ﴾.

يلاحظ في الآية الشريفة كلمة «إنما» التي تدل على الحصر الحقيقي، ومن جهة اخرى فالعلل الغير محسوبة ومراقبة رب العالمين للموجودات وجريان استمرار الحوادث لا تجعل اي انسان وإن اوتي جميع قوى البشر الفكرية في عقله أن يجزم بقين بنتيجة مقدماته التي اوجدها، بشكل لا احتمال لها من الخطأ، نعم فنحن لسنا مسلمين على عالم الكون، ونعرف جيداً ما هي حدودنا، وكم نحن صغيرين ولا شيء ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

و واضح ايضاً ان اتصال الحوادث و مسار الاحداث التي تقع بالمشيئة الإلهية كم هي باعثة على الاطمئنان القلبي، لأنه في تلك الحالة إن لم يتم العمل وفق ما يريد الانسان او يخطط له، عندئذ فقد يواجه الانسان اليأس الهدام، بينما إذا وكل الانسان جميع الحوادث إلى مشيئة الله بعد أن يؤدي ما عليه، ففي حالة أنها لم تأتي مثلما يريد الإنسان فإنه لا يائس، يذكر الله سبحانه وتعالى هذين الطريقين في القرآن الكريم هكذا:

١- النجم: ٥٣-٤٠.

٢- الكهف: ١٨-٢٤.

﴿فِيْبِمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا الْقَلْبِ  
لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ  
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

لا يوجد في التوكيل شيء اسمه الاعتماد على غير الله، لأن الله هو فقط محظ عناء الإنسان وانتباهه، بالطبع ليس هنالك من ينكر أن الإنسان عليه أن يلجأ إلى الله في جميع شؤون حياته، ولكن عندما ندقق جيداً نرى أن العمل والمثابرة حسب قوانين الطبيعة التي هي مظهر تجلي المنشية الإلهية، هو أفضل وسيلة للجوء إلى الله، فالاطاعة أوامره هي التي تجعل اليد ان تعمل، وتؤدي أفضل العبادة في طريق كسب معاشه والآخرين مع ما تعانيه، فالرجل الفطن لا يعتمد على قوة عضلاته أبداً، الرجل المؤمن يعلم جيداً ان مسبب جميع الأسباب هو الله، بل أن جميع ما فيه من رأسه إلى أخمص قدميه هو الله سبحانه وتعالى، وعلى أساس هذا التوجه، كيف يمكن ان يعتمد على غير الله أو على اعضائه الداخلية والخارجية؟<sup>١</sup>

جاء ذكر مسألة التوكيل واموره المختلفة في القرآن الكريم في سور عديدة بما في ذلك سورة التوبة المباركة الآيات ٥١ و ١٢٩، وسورة يونس الآيات ٧١ و ٨٥، وسورة هود الآيات ٥٦، ٨٨ وسورة يوسف الآية ٦٧ وسورة الرعد الآية ٣٠، وسورة الشورى الآية ١٠، وسورة الاعراف الآية ٨٩ وسورة الممتحنة الآية

١ - آل عمران: ٣. ١٥٩.

٢ - «تفسير ونقد وتحليل مثير»: ٤٢٠.

٤، وسورة الملك الآية ٢٩، وسورة ابراهيم الآيات ١١ و ١٢، وسورة آل عمران الآيات ١٢٢ و ١٦٠، وسورة المائدة الآية ١١، وسورة الانفال الآية ٢٩، وسورة الزمر الآية ٣٨، وسورة المجادلة الآية ١٠، وسورة التغابن الآية ١٣، وكثير من السور الأخرى التي يحتاج إلى توضيحها وتفصيلها إلى مجلد مستقل.

### التوكل في الروايات:

إن روايات باب التوكل كثيرة بكثرة آيات القرآن الكريم حول التوكل، ومن أجل مطالعة تلك الروايات يمكنكم مراجعة الكتاب العظيم «الكافي» المجلد الثاني، وأيضاً كتاب «بحار الأنوار» المجلد السادس والثمانين.

سوف نذكر في هذا الفصل عدداً من الروايات من باب التذكير:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «منْ أُعْطِيَ ثَلَاثَا لَمْ يُمْنَعْ ثَلَاثَةَ مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ أُعْطِيَ الْأَجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ أُعْطِيَ الزِّيَادَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوَكُّلَ أُعْطِيَ الْكِفَايَةَ». ثُمَّ قال: أَتَلَوْتَ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»<sup>١</sup> وقال: «لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»<sup>٢</sup> وقال: «إِذْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ»<sup>٣ و ٤</sup>.

١- الطلاق: ٦٥ .٣

٢- ابراهيم: ١٤ .٧

٣- غافر: ٤٠ .٦٠

٤- الكافي: ٦٥/٢، باب التفويف إلى الله والتوكل عليه، حديث ٦؛ وسائل الشيعة: ٢١٢/١٥، باب ١١، حديث ٢٠٣٠٨.

عَنْ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: «سَأَلْتُ الرَّضَا عَنِ التَّوْكِلِ فَقَلَّتْ لَهُ جَعْلَتْ فِدَاكَ مَا حَدَّ التَّوْكِلُ؟»

فَقَالَ لِي: «أَنْ لَا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا». قَالَ: قُلْتُ: فَمَا حَدَّ التَّوْاضُعُ؟ قَالَ: أَنْ تُعْطِي النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ مَا تُحِبُّ أَنْ يُعْطُوكَ مِثْلَهُ». قَالَ: قُلْتُ: جَعْلَتْ فِدَاكَ أَشْتَهَيْ أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ أَنْظُرْ كَيْفَ أَنَا عِنْدَكَ».

يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال ابليس: خمسة أشياء ليس لي فيها حيلة وسائل الناس في قبضتي.

١ - من اعنص بالله عن نية صادقة واتكل عليه في جميع أموره.

٢ - ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره.

٣ - ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه.

٤ - ومن لم يرجع على المصيبة حين تصيبه.

٥ - ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه.

سأل النبي ﷺ جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما التَّوْكِلُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

فقال: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك، لم يعمل لأحد سوى الله ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التَّوْكِل.

١ - عيون أخبار الرضا: ٤٩/٢، باب ٣١، حديث ١٩٢؛ بحار الأنوار: ١٣٤/٦٨، باب ٦٣، حديث ١١.

٢ - الحصال: ٢٨٥/١، حديث ٣٧؛ بحار الأنوار: ١٣٦/٦٨، باب ٦٣، حديث ١٨.

٣ - معاني الأخبار: ٢٦٠، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ١٣٨/٦٨، باب ٦٣، حديث ٢٣.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في رواية باب التوكل:

«الْتَّوْكُلُ إِنَاءٌ وَكَأْسٌ مَخْتُومٌ بِخَتْمٍ حُضْرَةُ الْحَقِّ سَبَّاحَهُ، لَا يُفْتَحُ خَتْمَهَا وَلَا يُشْرَبُ مِنْ كَأْسِهَا إِلَّا الَّذِينَ يَمْلُكُونَ رُوحَ التَّوْكِلِ». يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَيْهِ فَلَيْتَوْكِلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>١</sup>، ويقول أيضاً: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

في الآية الشريفة جعل الله سبحانه وتعالى التوكل مفتاح الإيمان، والإيمان قفل التوكل وبعبارة أخرى؛ التوكل يكون ذو نتائج واضحة مثل كمال التوحيد وحصول مرتبة الرضا والاستقرار في مقام العبودية ولا ينتفع أحد من هذه الآثار الملكية إلا من كان ثابت الإيمان في التوكل، وحقيقة التوكل في اختيار تقديم الآخر على النفس، بمعنى انتخاب الآخر وإيكال الأمور إليه. ولا ينفك الإنسان المتوكلا في توكله من اختيار أحد الآثاريين؛ فإنما أن يكون اهتمامه بالملعون وفوائد ونتائج التوكل وهو الكون والحصول على أشياء ناتجة عنها؛ ككسب فوائد ومنافع أكثر وإظهار الطاعة والعبودية وإقناع النفس في مقابل الأمر الواقع، وإنما آثار وفوائد معنوية أخرى.

أو يكون اهتمامه متوجهاً إلى مبدأ ومعلم علة التوكل، أي الرب العزيز والكبير الذي يجب في قياله؛ إطاعته وعبادته والخضوع أمامه والانقطاع من التوجه إلى النفس والآخرين.

١- يوسف: ٦٧.

٢- المائدah: ٥.

ففي الحالة الأولى: هذا التوجه والإهتمام هو في الحقيقة، اهتمام وتوجه إلى غير الله العزيز ومخالف لأصول الإخلاص والقصد ويكون سبباً ومحاجاً للحجب والحد للإنسان.

أما في الحالة الثانية: فإن التوجه والإهتمام إلى عظمة وجلال الحق وجهه؛ هي من المحبة والاخلاص لحضرته، فكل الأمور موكله إليه حتى فوائد ومنافع التوكل. في هذه المرحلة، يكون الشخص المتوكّل في توجهه واهتمامه إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى دائماً، ويكون باقياً ما بقي حضرة المحبوب. وهذا تتحقق حقيقة التوكل في هذه الحالة، فإذا أردت أن تكون متوكلاً حقاً بكل وجودك، فعليك بترك جميع علاقتك القلبية وأمانيك الخاطئة و توديع الحياة للموت.

فعليك أن لا تكون مترددأً ومتعللاً في مقام التوكل والاعتماد بحضوره الحق عز وجل، ولا تكن طالباً العلل والجهات والأهداف النهائية، وكبر على نفسك وعلى الأهداف الظاهرة والأمني النفسي؛ خمس تكبيرات كصلاة الميت. ول يكن توجهك واهتمامك الخالص والظاهر إلى الله سبحانه وتعالى فقط.

«وَادْنِي حَدَّ التَّوْكِلِ أَنْ لَا تُسَابِقَ مَعْدُورَكَ بِالْهِمَةِ وَلَا تُطَالِعَ مَفْسُومَكَ  
وَلَا تَشْرُفَ مَعْدُومَكَ فَتَنْقُضُ بِأَحَدِهِمَا عَقْدَ إِيمَانِكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ. وَإِنْ  
عَزَّمْتَ أَنْ تَقْفَ عَلَى بَعْضِ شِعَارِ الْمُتَوَكِّلِينَ حَقًا فَاعْتَصِمْ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ  
الْحِكَايَةِ وَهِيَ أَنَّهُ رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْمُتَوَكِّلِينَ قَدِمَ عَلَى بَعْضِ الْأَئِمَّةِ فَقَالَ:  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ اغْطِفْ عَلَى بِجَوَابِ مَسَالَةِ فِي التَّوْكِلِ وَالْأَمَامِ كَانَ  
يَعْرِفُ الرَّجُلُ بِخُسْنِ التَّوْكِلِ وَنَفِيسِ الْوَرَعِ وَأَشْرَفَ عَلَى صِدْقَهِ فِيمَا سَأَلَ عَنْهُ  
مِنْ قَبْلِ إِبْدَائِهِ إِيَاهُ فَقَالَ لَهُ: مَكَانِكَ وَأَنْظُرْنِي سَاعَةً. فَبَيْنَا هُوَ مُطْرِقٌ بِجَوَابِهِ إِذَا  
اجْتَازَ بِهِمَا فَقِيرٌ فَادْخَلَ الْأَمَامَ عَلَيْهِ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ وَأَخْرَجَ شَيْئًا فَنَاوَلَهُ الْفَقِيرُ  
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى السَّائِلِ فَقَالَ لَهُ: هَاتِ وَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ. فَقَالَ السَّائِلُ:  
أَيُّهَا الْأَمَامُ كُنْتُ أَعْرِفُكَ قَادِرًا مُتَمَكِّنًا مِنْ جَوَابِ مَسْئَلَتِي قَبْلَ أَنْ  
تَسْتَنْظِرَنِي فَمَا شَأْنِكَ فِي إِبْطَائِكَ عَنِّي؟ فَقَالَ الْأَمَامُ عَلَيْهِ:  
لِتَعْتَبِرَ الْمَعْنَى قَبْلَ كَلَامِي إِذَا لَمْ أَكُنْ أَرَانِي سَاهِيًّا بِسِرِّي وَرَكِي مُطَلِّعًّا  
عَلَيْهِ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِعِلْمِ التَّوْكِلِ وَفِي جَيْبِي ذِائقٌ ثُمَّ لَمْ يَحْلِ لِي ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ  
إِيَاثَارِهِ ثُمَّ لِيَعْلَمَ بِهِ فَأَفْهَمُ: فَشَهِقَ الرَّجُلُ السَّائِلُ شَهْقَةً وَحَلَفَ أَنْ لَا يَأْوِي  
عُمْرَانَا وَلَا يَأْنِسَ بِيَشْرِ ما عَاشَ»

## حد التوكل:

إن أدنى مراتب التوكل هو أن لا تسبق قدرك، وأن لا تكون نيتك التقدم عليه وأن لا تخرج عما قدر لك في الدنيا أو تعرض عنه. ولا تشرف أو تواجه ما لا ينبغي أن يقع لك. وبالطبع فإن هذا الإشراف والمطالعة إنما يكون في مرحلة القصد والنية للإنسان، وإلا ففي مرحلة العمل، لا يستطيع الإنسان عمل أي شيء لمقسمه ولما قدر له، ولما كان هذا الإشراف والمطالعة في مرحلة النية، كان ضرره وفساده على الإيمان وحقيقة، ولا يصل إلى مرحلة العصيان والتخلُّف العملي.

وإن عزمت أن تقف وتعرف بعض شعار أهل التوكل حقاً، وترى كيف أنهم في مقام التوكل يؤثرون ويختار الإيثار، عليك بالتدبر والإعتماد في النظر في الحكاية الآتية:

فقد روي أنَّ بعْضَ الْمُتَوَكِّلِينَ قَدِيمٌ عَلَى بَعْضِ الْأَئِمَّةِ فَقَالَ:  
 «رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ اعْطِفْ عَلَى بِجَوَابِ مَسَأَلَةِ فِي التَّوَكُّلِ  
 وَالْأَمَامُ كَانَ يَعْرِفُ الرَّجُلَ بِحُسْنِ التَّوَكُّلِ وَنَفِيسِ الْوَرَعِ  
 وَأَشْرَفَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا سَأَلَ عَنْهُ مِنْ قَبْلِ إِبْدَائِهِ إِيَّاهُ فَقَالَ لَهُ:  
 مَكَانِكَ وَأَنْظُرْنِي سَاعَةً. فَبَيْنَا هُوَ مُطْرِقٌ بِجَوَابِهِ إِذَا اجْتَازَ بِهِما  
 فَقِيرٌ فَادْخَلَ الْأَمَامُ عَلَيْهِ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ وَأَخْرَجَ شَيْئاً فَنَاوَلَهُ الْفَقِيرُ  
 ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى السَّائِلِ فَقَالَ لَهُ: هَاتِ وَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ فَقَالَ  
 السَّائِلُ:

أيّها الإمامُ كُنْتُ أَغْرِفُكَ قادِرًا مُتَمَكِّنًا مِنْ جَوابِ مَسْئَلَتِي قَبْلَ  
أَنْ تَسْتَنْظِرَنِي فَمَا شَانِكَ فِي إِيْطَائِكَ عَنِّي؟ فَقَالَ الْأَمَامُ عَلَيْهِ:  
لِتَعْتَبِرِ الْمَعْنَى قَبْلَ كَلَامِي إِذَا لَمْ أَكُنْ أَرَانِي سَاهِيًّا بِسِرِّي وَرَبِّي  
مُطْلِعًّا عَلَيْهِ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِعِلْمِ التَّوْكِلِ وَفِي جِبِّي ذَاقَ ثُمَّ لَمْ يَحِلْ  
لِي ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ اِبْتَارِهِ ثُمَّ لِيَعْلَمَ بِهِ فَافْهَمْ. فَشَهَقَ الرَّجُلُ  
السَّائِلُ شَهْقَةً وَحَلَفَ أَنْ لَا يَأْوِي عُمْرَانَا وَلَا يَأْنَسَ بَيْشِرٍ مَا  
عَاشَ».

فالأنس والمعاشرة لا تكون إلا مع الأناس الذين يذكرون العبد بحضوره الحق  
سبحانه وتعالى ويكونوا سبباً لرشد وكمال الإنسان.



باب

(٧٦)

في الإخلاص



قال الصادق عليه السلام:

الأخلاص يجمع فوائل الأعمال وهو معنى مفتاح القبول وواقعية الرضا.

فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وإن قل عمله، ومن لا يتقبل منه فليس بمحليص وإن كثر عمله اعتباراً بأدّم عليه السلام وأبابيليس، وعلامة القبول وجود الاستيقامة بذل كل المحاب مع إصابة علم كل حركة وسكنون.

والمحليص ذات روحه وباذل مهجهته في تقويم ما به العلم والأعمال والعامل والمعمول والعمل، لأنّه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل وإذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معانى التنزيه في التوحيد كما قال الأول: هلك العاملون إلا العابدون وهلك العابدون إلا العالمون، وهلك العالمون إلا الصادقون، وهلك الصادقون إلا المحليصون وهلك المحليصون إلا المتفقون وهلك المتفقون إلا المؤمنون وإن المؤمنين لفى خطر عظيم.

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» .١

وأدنى حد الأخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعلمه عند الله قدرأ يوجب به على ربّه مكافأة بعمله، لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجزه، وأدنى مقام المحليص في الدنيا السلامة من جميع الأثام وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة.

«الإخلاص يجمع فوائل الأعمال وهو معنى مفتاح القبول وتوقيعه الرضا فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وإن قل عمله، ومن لا يتقبل منه فليس بمحليص وإن كثر عمله اعتباراً بآدم عليهما السلام وأبليس، وعلامة القبول وجود الاستقامة بيدل كل المحاب مع إصابة علم كل حركة وسكنى، والمخلص ذائب روحه وباذل مهجنة في تقويم ما به العلم والأعمال والمعامل والمعمول والعمل، لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل وإذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معانى التنزيه في التوحيد»

### حقيقة الإخلاص:

لا توجد حقيقة بين الحقائق الأخلاقية والروحية والعرفانية، هي منزلة حقيقة الإخلاص.

يقول الإمام الصادق علیه السلام في هذا الفصل المهم جداً: أن الإخلاص قد جمع كل فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، ففضيلة كل عمل وكماله مرتب بدرجة إخلاصه.

وبعبارة أخرى؛ فالإنسان إذا عمل عملاً وكانت نيته خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، ومن أجل كسب رضا حضرة الحق عز وجل؛ فذلك العمل يكون

جامعاً للفضائل وحاوياً لجميع الكمالات.

والإخلاص حقيقة تُعرف بوسيلة قبول العمل. أي ان مفتاحه القبول، وتوقيعه رضا حضرة الحق عز وجل.

فالذى تكون اعماله مقبولة عند الحضرة الإلهية ويكون الرب عز وجل عنه راضياً فهو من المخلصين ولو كانت اعماله قليلة وضئلة، والذي لا تكون اعماله مقبولة فهو ليس بمخلص وإن كثُر جده وعمله.

أبرز مصداق لهذا؛ هو آدم عليه السلام وإبليس الملعون. فإبليس عبد الله سبحانه وتعالى ستة آلاف سنة ولكنه لم يُقبل منه، بينما لحظة ندم حقيقة لآدم عليه السلام كانت كافية لقبوله عند حضرة المحبوب.

فعلامة قبول الأفعال هي الاستقامةن ولا تحصل إلا ببذل كل المحاسب من أجل المحبوب مع العلم وال بصيرة بكل حركة وسكن وعبارة او ضح؛ إن علامه قبول الأفعال تُعرف بثلاث حقائق:

١ - الاستقامة في العمل.

٢ - الانقطاع عن الأماني وبذل كل شيء من أجل المحبوب.

٣ - العلم وال بصيرة الكاملة بصحبة العمل.

ومخلص يكون مراقباً لنفسه وبصيراً بحقائق ولطائف ودقائق الاعمال ومشغولاً بمجاهدة نفسه لدرجة أنك تراه على إثر هذه المجاهدة والرياضة قد أذاب روحه ونفسه وبذل مهجته حتى يستطيع تطهير الروح وشخصيته وشعاع العلم والعمل والمعمول به من الكدورات النفسية. وأصل هذه التزكية والإخلاص في الحقيقة أنه قد أمضى مراحل الترتيب وصفى نفسه من الغل

والغش في مقام التوحيد.

معنى الإخلاص - في الحقيقة - هو اجتياز مراحل التوحيد، و عندما يُوفّق الإنسان هكذا توفيق، فقد أدرك كل خير و صلاح، وإن حُرم من هكذا توفيق، فإنه في الحقيقة قد حُرم من الخير كله وابتعد عن جميع الحقائق.

يوضح الملا حسن فاني كشميري لنا الحقائق المعنوية في مناجاة له مع ربه فيقول:

يا رب اخرم نار العشق و ليتوهج القلب كالشقائق و لتكن هذه النار برد أو سلاماً و رياضاً كما كانت علا الخليل و لتحترق اشواك الوجود و ليزدهي زهرة الوجود و اذ ما بلغت القلوب رائحة الورد يستحيل النواح الى تخرید بلبل و طريق الحب سلکناه و همومه زادأ حملناه.

و اذ اجتاز السالك في هذا الطريق نفسه حيث يكون قد وعرا المكان المقصود. فيطوف كعبة القلب كل لحظة و المحبوب لا مكان له سوى القلب فيساقط عن ابو الحجاب و الفؤاد و تتذلل الصحاب.

«كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: هَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلَّا الْعَابِدُونَ وَهَلَكَ الْعَابِدُونَ إِلَّا الْعَالِمُونَ،  
وَهَلَكَ الْعَالِمُونَ إِلَّا الصَّادِقُونَ، وَهَلَكَ الصَّادِقُونَ، إِلَّا الْمُخْلِصُونَ وَهَلَكَ  
الْمُخْلِصُونَ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَهَلَكَ الْمُتَّقُونَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَفِي  
خَطَرٍ عَظِيمٍ».

قالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: «وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْيَقِينُ»<sup>١</sup>

## هلاك الإنسان:

يقول مولى الموحدين وأمير المؤمنين ع: هلك العاملون إلا أولئك الذين هم في الحقيقة منشغلين بالعبادة؛ أي العابدون، وخسر العابدون إلا أولئك العالمون ذوي البصيرة وهلك العالمون إلا أولئك الصادقون والمؤمنون، وخسر الصادقون والمؤمنون إلا أولئك الذين كانت نياتهم صادقة؛ أي المخلصون، وهلك وخسر المخلصون إلا أولئك المتقون وخسر المتقون وهلكوا إلا أولئك الذين وصلوا إلى درجة ومرتبة اليقين؛ أي المؤمنون. وعلى أهل اليقين أن يراقبوا أنفسهم دائماً لأنهم في خطر عظيم.

على الإنسان أن يكون في مقام تحصيل الصدق والإخلاص والتقوى واليقين،  
بجميع ما أotti من قوة، وبهمة عاليه كما قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه:  
 ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ !

«وَأَدْنِي حَدَّ الْإِخْلَاصِ بَذْلُ الْعَبْدِ طاقتَهُ ثُمَّ لَا يَجْعَلَ لِعِلْمِهِ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا  
فَيُوجِبُ بِهِ عَلَى رَبِّهِ مُكَافَاهَ بِعَمَلِهِ، لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَوْ طَالَهُ بِوَفَاءٍ حَقُّ الْعُبُودِيَّةِ  
لَعَجَزٌ. وَأَدْنِي مَقَامَ الْمُخْلِصِ فِي الدُّنْيَا السَّلَامَةَ مِنْ جَمِيعِ الْأَثَامِ وَفِي  
الْآخِرَةِ النَّجَاهَ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ»

### حد الإخلاص:

إن أدنى مرتبة الإخلاص هي أن يبذل الإنسان طاقته بقدر استطاعته في مقام العبادة والطاعة ثم لا يتوقع الأجر والثواب لعمله وجهده، لأنه لو خمن العبد الأجر والثواب إثر أداء العبادات والتکاليف، فالله سبحانه وتعالى في المقابل يمكنه ان يطالب العبد بأداء جميع الوظائف العبودية الملقة على عاتق الإنسان، وان يعتبر أقل تقصير عصياناً.

فعلى العبد ان يكون في طريق الطاعة وأداء أوامر المولى والعمل بمسؤولياته بمقتضى حقوق العبودية وعليه ان لا ينتظر او يتوقع اي اجر او ثواب لذلك من حضرة المحبوب، وأدنى وأقل آثار ونتائج الإخلاص هو أن يبقى مصنوناً وبعيداً من جميع المعاصي والآثام في الدنيا، ويكون في أمان من العذاب الإلهي في الآخرة، ويتنعم بالنعم الإلهية ويفوز بالجنة.

## طريق الوصول إلى الإخلاص:

من أجل معرفة الإخلاص والوصول إليه، يجب علينا في الورقة الأولى أن نتعرف إلى جميع جوانب الرياء - الذي تم توضيحه في شرح الحديث الخمسين من كتاب «مصابح الشريعة» بمقدار اللزوم - ومن أجل الوصول إلى الإخلاص - هذا المقام السامي والرفيع - يجب مراعاة ثلات نكت وسائل في جميع أمور الحياة والتي يحصل الإخلاص برعايتها بإرادة الحق وب توفيق حضرة المعبود:

١ - على العامل أن يمتلك الإيمان اللازم لذلك - وهو الاعتقاد بالحق سبحانه وتعالى وبال يوم الآخر والأنباء عليه عليه السلام والكتب الإلهية والملائكة والولاية -

٢ - أن يسير العامل والمكلّف في أعماله وفق الأوامر المطهّرة والمقدّسة للشرع.

٣ - أن تكون نيته خالصة ونقية ظاهرة في الأمور والمسائل العبادية والإلهية. إن الحد الأدنى للإخلاص كما قال إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام هو أداء العمل دون النظر إلى ثوابه وأجره.

وبالطبع، فإن الوصول إلى الإخلاص ليس عملاً بسيطاً وسهلاً، فقد رويت حكاية عن الوجود المقدس للعلامة السيد بحر العلوم أن الشيخ جعفر الكبير كان يمسح أطراف نعلي العلامة السيد بحر العلوم تحت حنك عمامته من أجل رضا الله سبحانه وتعالى، وكان وجهه مغتماً وكثيراً مدة خمسة وعشرين عاماً، حتى شوهد ذات مرة مبتسمًا فسألوه: إن لا بتسامتكم اليوم سبب عظيم، فهلا أخبرتنا به؟ فقال الشيخ جعفر الكبير: إني بقيت أجاهد وأكافح الرياء طيلة خمس وعشرين

سنة، واليوم أشعر أنتي بعون الله سبحانه وتعالى ومشيته قد تغلبت عليه ووقفت في هذا الطريق.

في الوقت الذي فيه الوصول إلى الإخلاص يكون صعباً جداً؛ أي إلى المقام الذي تكون فيه جميع أعماله خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، يجب على كل مكلف أن لا يتأس من الوصول إلى هذا المقام الإلهي؛ الذي هو في الحقيقة مقام الأنبياء والأولياء عليهم السلام، فالله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم الذي يجب دعوة الداعي إذا دعى.

### الإخلاص في القرآن الكريم:

يعطي القرآن الكريم في جميع سوره وتمام آياته النورانية درس الخلوص والإخلاص لكل البشر.

ويجب على جميع المسلمين المكلفين، من كل مذهب وطائفة كانت؛ أن يرددوا في صلواتهم اليومية في اليوم والليلة عشر مرات «إياك نعبد وإياك نستعين» بكل خشوع وتوجه مصحوب بالحقيقة.

فإذا استطاع الإنسان أن يلبس هذه الآية ثوب العمل في جميع شؤون حياته، فإنه يصل إلى التوحيد الذاتي والصفاتي والأفعالي، ويظهر قلبه من صدأ الشرك والرياء، ولا تتوجه عيناه إلى أحد سواه؛ فإن ذلك يحرق جميع ثواب العمل من جذوره.

وما أحلى أن يوصل الإنسان في تصفيته لنيته وعمله؛ نفسه إلى مرتبة كمرتبة عباد الله المخلصين حتى يستطيع أن يدعوا في حضرة الرب المقدسة «ونحن له مخلصون».

يوضح لنا التاريخ المشرق والناسع لأولياء الله أنهم لم يعملوا شيئاً إلا كان فيه رضاً له سبحانه ولأجل جلب يمن وبركة حضرة الحق، ولم يتوقعوا شيئاً في كل حركة وسكنون لهم سوى عنابة حضرة المحبوب، فأولئك لم يشركوا غيره سبحانه وتعالى في نياتهم واعمالهم وتحملوا جميع البلايا والمصائب من أجله، ويدلوا في هذا الطريق مهجمهم وأموالهم بغية محبة المحبوب وعشق المعشوق، احتبti لاحظوا هذه الحقيقة عن لسان الوحي حول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَنَّ يَشْرِي نَفْسَهُ اِتْغَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>١</sup>.

ان الدين الحق هو ان يسلم الانسان كل وجوده وهويته وكيانه لحضرته المحبوب؛ أي بعبارة أخرى لشخص اسلم ظاهره وباطنه وعمله واخلاقه وارادته ونيته لحضرته المحبوب، وهذا لا يكون متيسراً إلا لمن ينظر إلى الكون والوجود من منظار: «لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا مؤثر في الوجود إلا الله». ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾<sup>٢</sup>.

فالتبعة من جميع ذنوب الظاهر والباطن وإصلاح الداخل والخارج؛ أو بعبارة أخرى إصلاح الأخلاق والاعتماد والتوكل على حضرة المحبوب في جميع شؤون الحياة وخلاصة القول تصفية الوجود والنفس من أجل جلب عنابة الحق، كل هذه الحقائق والواقعيات التي تكون في جهة جعل الإنسان مخلصاً، قد أرادها الوجود المقدس لحضرته الرب منه، فهنيئاً لأولئك الذين يسلكون هذا

١- البقرة: ٢٠٧.

٢- النساء: ٤١٢٥.

المسير السامي والرباني والسلوك الإلهي:

**﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾.**

كان الرسول الأعظم للإسلام مكلفاً ومأموراً بالإفصاح والإعلان عن حقيقة إخلاصه للناس، كي يكون ذلك لهم درساً إليها ولثلا يقى لهم حجة يوم القيمة أمام حضرة رب ولثلا يقول أحد انه لم يكن طريق الاخلاص ميسراً امامي، وإلا سلكه.

على أية حال، يستفاد من الآيات الكريمة للقرآن الكريم، أن إخلاص النية في الأمور والواجبات العبادية أمر لا بد منه و واحب. ولا يتعلق الاجر والثواب غداً يوم القيمة إلا بالعمل الخالص ولا يكون هنالك محل للإعراب للمراءين على الاطلاق.

إلهي وسيدي ورببي! اجتياز هذه المرحلة هي من أصعب وأخطر المراحل، إلهي إذا لم يكن لطفك وعنايتك ترافق الإنسان، فكيف يستطيع الإنسان إيصال نفسه إلى منزل المقصود، أم بأي قدرة يفعل ذلك!

### مقام المخلصين في القرآن الكريم:

ان اولئك الذين سلكوا طريق الوصول إلى الاخلاص تحت عنابة ولطف حضرة الحق وخطوا فيه بكل معرفة واهتمام، فإنهم في الحقيقة سينالون درجات ومقامات من حضرة رب العزة والجلال، سوف نشير إلى أهم تلك المقامات في

هذا الفصل:

١ - لهم ما يشاءون في الجنة التي أعدت للمتقين وأكثر مما يريدون.

**﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾**.

٢ - يصلون إلى مقام ومرتبة تكون فيه كل كلمة ينطقونها او شكر يؤدون او وصف يصفونه مطابقاً وصحيحاً للواقع وقد غَيَّر عن هذا المقام العظيم بمقام الكشف والشهود، فأولئك الله وأنبائـه عليه السلام قد وصلوا إلى هذا المقام وكان هذا هو أجر إخلاصهم. فالقرآن الكريم ذكر هذا المقام العظيم بهذه الصورة:

**﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ﴾**.

٣ - يحضر جميع عباد الله - من أي طائفة كانوا - يوم القيمة لعرصة المحشر والحساب حتى يستوفوا أجر وحساب ما كلفوا به من عمل في دار الدنيا، إلا عباد الله المخلصين لأنهم استوفوا حسابهم في الدنيا مطابقاً لما أراده منهم رب العزة والجلال بكل معرفة ودقة.

**﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ﴾**.

٤ - إن الشيطان وأتباعه قد يأسوا من إبعادهم عن الله سبحانه وتعالي، أو أن يطفؤوا نور الله في قلوبهم أو ان يضلهم ويفوغوهم:

١ - ق. ٥٠: ٣٥.

٢ - الصفات: ٣٧: ١٥٩-١٦٠.

٣ - الصفات: ٣٧: ١٢٧-١٢٨.

﴿قَالَ فَبِعِزْتِكَ لَا يُغُوِّنُهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ  
الْمُخَلَّصِينَ﴾<sup>١</sup>

### حكاية عن الإخلاص:

ينقل في هذا المجال حكاية سامية فيها أمور ومسائل عالية، فالذى يستطيع ان يلبسها ثوب العمل، دون أدنى شك سيوفق في الوصول إلى مرحلة الإخلاص العظيمة، والحكاية كالتالي:

أراد شخص أن يسافر في حاجة له، فحضر عند العارف الكبير حاتم الأصم وقال له:

أوصني، فقال له حاتم:

يكفيك الله رفيقاً وصاحبَا ومحبوباً.

يكفيك الكرام الكاتبين أخلاقاً.

تكفيك الدنيا عبرة.

يكفيك القرآن الكريم مؤنساً.

تكفيك العبادة عملاً وجهداً.

وإذا لم تكفل ما ذكرت لك، فالنار تكفيك.

وسئل أيضاً ذات يوم: كيف تؤدي الصلاة؟ فأجاب:

عندما يحين وقت الصلاة، أتوضاً ظاهرياً وباطنياً، فوضوء الظاهر بالماء، ووضوء الباطن بالتوبه، ثم آتي إلى المسجد، ومنه اشاهد المسجد الحرام بتمام

البصرة، ثم أضع مقام إبراهيم عليه السلام - ذلك المقام الروحي والمعنوي العظيم - نصب عيني، ثم أرى الجنة عن يميني والنار عن يساري والصراط تحت أقدامي، وملك الموت من خلفي، عندها أوكل القلب إلى الله وأكبر تكبيرة الإحرام.

### الإخلاص في الروايات:

نُقلت روايات كثيرة في باب الإخلاص في كتابي الكافي وبحار الأنوار، نذكر بعضًا منها:

**عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ الْكَفَافِ: «أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ يَقُولُ:**

طَوْبى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ وَالدُّعَاءَ، وَلَمْ يَشْغُلْ فَلْبَةً بِمَا تَرَى عَيْنَاهُ، وَلَمْ يَنْسِ ذِكْرَ اللَّهِ بِمَا تَسْمَعُ أَذْنَاهُ، وَلَمْ يَخْرُنْ صَدْرَةً بِمَا أَعْطَى غَيْرَهُ».<sup>١</sup>

وخلال معاشرتهم مع حضرة الحق في جميع شؤون الحياة، هي معاملة خالصة وعاشرة، وهم لا يهمهم - في أمور الحياة الظاهرة وليس لديهم قصد - سوى الوصول إلى عنایة حضرة المحبوب والإتصال بطف المعشوق.

ينقل لنا الإمام الرضا عَلَيْهِ الْكَفَافِ عن آبائه عن رسول الله ﷺ روايات مهمة في باب عظمة الإخلاص وفوائده ونتائجها السامية:

**«مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا إِلَّا جَرَتْ بَنَابِعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ».**<sup>٢</sup>

١- الكافي: ١٦٢، باب الإخلاص، حديث ٤٣؛ وسائل الشيعة: ٥٩/١، باب ٨، حديث ١٢٥.

٢- عيون أخبار الرضا: ٦٩/٢، باب ٣١، حديث ٣٢١؛ بحار الأنوار: ٢٤٢/٦٧، باب ٥٤، حديث ١٠.

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْ صُورِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْ قُلُوبِكُمْ». <sup>١</sup>

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ جِبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ قَالَ: «الْإِخْلَاصُ سِرًّا مِّنْ أَسْرَارِ إِسْتَوْدَعَتْهُ قَلْبًا مِّنْ أَحَبَّتْ مِنْ عِبَادِي». <sup>٢</sup>

عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْجَوَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْإِخْلَاصُ». <sup>٣</sup>

### الإخلاص عند العرفاء:

يقول أكابر العرفاء: الإخلاص العام هو ترك الشرك، فعندما تبرأ من الشرك وتقر بوحدانيته يتبدل التوحيد إلى الإخلاص.

وان يكون الإنسان مخلصاً في صفاتـه، بأن لا يشبه أي شيء به، وأن ليس شيء مثلـه في الصفات والأفعال.

فإذا رسم الإيمان على هذا الإعتقدـ، كان مؤمناً مخلصاً وان يأتي بعمل لا يكون فيه رباء او عجب كـي يتخلص عملـه ونفسـه من الفسـاد، وكذلك أن يريـد الإنسان به وجه الله ورضاه وليس طمعاً بثوابـه أو خوفـاً من عـقابـه. كما قال الله تبارـك وتعـالـى:

١- جامـع الأخـبار: ١٠٠، الفـصل السادس والـخمسـون، في الإـخلاص؛ بـحار الأنـوار: ٢٤٨/٦٧، بـاب ٥٤، حـديث ٢١.

٢- منـية المرـيد: ١٣٣؛ بـحار الأنـوار: ٢٤٩/٦٧، بـاب ٥٤، حـديث ٢٤.

٣- تفسـير الإمام العـسـكري: ٣٢٩ حـديث ١٨٦؛ بـحار الأنـوار: ٢٤٥/٦٧، بـاب ٥٤، حـديث ١٩.

**﴿إِنَّمَا يُغَاءُ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾ .**

وأيضاً:

**﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ، أي يريدون رضاه.**

حتى إذا لم يكن في الدنيا والآخرة أجر أو ثواب سوى رضا الله عز وجل اكتفى به.

وكذلك أن لا يرى أي عمل من نفسه، كما أنه ليس هو بحق فعله ليس حقاً فعندما يرى ما فعلت، فإنه يرى أي شيء غيره ليس بحق وليس بأخلاق، فالكون وما فيه إذا لم يعمل العبد، لم يخلص عمله، فالأخلاق معامله بهذه الصعوبة، فاخلاص الاعتقاد كيف يكون؟ فمن هذا الباب فقد دعا رب العباد الخلق جميعاً إلى الأخلاق:

**﴿فَوَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ .<sup>٣</sup>**

فالأخلاق هو أن لا ترى العمل من تلقاء نفسك، إذ عندما ترى العمل من نفسك فإنك ترى نفسك، فالذي يرى نفسه لا يرى الله سبحانه وتعالي.

فلا بد للموحد من التوحيد، والتوحيد لا يحصل إلا برؤية الواحد، والمؤمن لا بد له من الأخلاق، والأخلاق هو التوحيد.

إذا أردتم ان تصبحوا موحدين ومخلصين فعليكم أن تروا انفسكم ولو لحظه، كونوا مطيعين لحضررة الحق سبحانه، وان تروا تلك الطاعة هي منه عليكم

١- الحديث: ٥٧: ٢٧

٢- الأئم: ٦: ٥٢

٣- البيعة: ٥: ٩٨

منه سبحانه وانه قسم ذلك لكم من الازل، ولما صرت جعلك اهلاً لذلك ولما كنت اهلاً فقد وفق له.

فلما نظرت إلى منته عليك ان تكون حقانياً، ومخلصاً، ثم يجب عليك شكر جديد ان وفقك للشكر، وأن تبقى ناظراً لمنته حتى لا تشغل بنفسك وعمل نفسك.

فقد سألو: ما هو العمل الصالح؟ فقالوا: هو العمل الذي خلي من الآفات وكان سالماً، بمعنى من الآفات التي تتلف العمل او عجب النفس او الرياء او طمع المقابل او رؤية العمل لنفسك، فكل واحد من هذه الصفات تهدم جميع اعمال الكوين، فلما تخرج هذه الصفات من نفسك، عندها تصبح مخلصاً.

فالعمل الخالص هو الذي لا يعمله الملك كي يكتبه ولا يعلمه الشيطان كي يضيعه ولا تعلمه النفس كي تعجب به، وهو انقطاع العبد إلى ربه عز وجل ورجوعه إليه من فعله.



الباب

(٧٧)

في معرفة الجهل



قال الصادق ع: <sup>عليه السلام</sup>

حَسِّبْكَ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ تَظْهَرَ لِمَا عَلِمْتَ الْجَهْلُ صُورَةً رَكِبَتْ فِي بَنِي آدَمَ، إِبْلُهَا ظُلْمَةٌ وَإِدْبَارُهَا نُورٌ، وَالْعَبْدُ مُتَقْلِبٌ مَعَهَا كَتَلَبِ الظُّلُمَ مَعَ السَّمْسَ.

اَلَا تَرَى إِلَى الْأَنْسَانَ تَارَةً تَجِدُهُ جَاهِلًا بِخِصَالِ نَفْسِهِ حَامِدًا لَهَا عَارِفًا بِعِيْنِهَا فِي غَيْرِهِ سَاخِطًا لَهَا، وَتَارَةً تَجِدُهُ عَالِمًا بِطِبَاعِهِ سَاخِطًا لَهَا حَامِدًا لَهَا فِي غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْهُ مُتَقْلِبٌ بَيْنَ الْمِعْصَمَةِ وَالْخِدْلَانِ فَإِنْ قَابَلَتْهُ الْعِصْمَةُ أَصَابَهُ، وَإِنْ قَابَلَهُ الْخِدْلَانُ أَخْطَأَهُ.

وَمَفْتَاحُ الْجَهْلِ الرَّضَا وَالْأَعْقَادُ بِهِ، وَمَفْتَاحُ الْعِلْمِ الْأَسْبَدَالُ مَعَ إِصَابَةِ مُوَافَقةِ التَّوْفِيقِ.

وَأَدْنَى صِفَةُ الْجَاهِلِ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ بِلَا إِسْتِحْفَاقٍ وَأَوْسَطُهُ الْجَهْلُ بِالْجَهْلِ وَأَقْصَاهُ جُحُودَهُ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ إِثْبَانُهُ حَقِيقَةٌ نَفْيَهُ إِلَّا الْجَهْلُ وَالدُّنْيَا وَالْحِرْصُ فَإِلَكُلُّ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَآلُواحدٍ مِنْهُمْ كَآلِكُلٍّ.

«حَسِّبْكَ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ تَظْهَرَ لِمَا عَلِمْتَ الْجَهْلُ صُورَةً رُكِّبَتْ فِي بَنِي آدَمَ، إِقْبَالُهَا ظُلْمَةٌ وَإِذْبَارُهَا نُورٌ، وَالْعِبْدُ مُتَفَلِّبٌ مَعَهَا كَتَفْلَبِ الظُّلُمُ مَعَ الشَّمْسِ».

### معرفة الجهل:

قد بيّنا في المجلد الأول في هذا الكتاب معاني العلم والتي بمراجعتها يتبيّن لك معنى الجهل الذي هو في الحقيقة ضد العلم.

فالعلم عبارة عن النور الحاصل في القلب إثر المجاهدة من أجل تحصيله في سبيل الله والجهل عبارة عن تعطية الحجب المظلمة للقلب.

ولا أرى لزاماً أن اشرح مفصلاً معنى الجهل في هذا الفصل الذي خُصص لبيانه واكتفي بتوضيح متن الرواية.

فالجهل مسألة في إقبالها على الإنسان تجلب له الظلمة والكدورة وفي إدارتها تكون سبب لنور ومعرفة الإنسان.

فالإنسان بين هاتين الحالتين، فمع إقبال العلم يكون النور ومع إitan الجهل تكون الظلمة والحجاب مثله كمثل الشمس في إقبالها تأتي بالنور والضياء، وفي إدارتها الظلمة والعتمة.

«اَلَا تَرَى إِلَى الْأَنْسَانَ تَارَةً تَجِدُهُ جَاهِلًا بِخِصَالِ نَفْسِهِ حَامِدًا لَهَا عَارِفًا  
بِعِيْنِهَا فِي غَيْرِهِ سَاخِطًا لَهَا، وَتَارَةً تَجِدُهُ عَالِمًا بِطَبَاعِهِ سَاخِطًا لَهَا حَامِدًا لَهَا  
فِي غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْهُ مُنْقَلِبٌ بَيْنَ الْعِصْمَةِ وَالْخِذْلَانِ فَإِنْ قَابَلْتُهُ الْعِصْمَةُ أَصَابَ  
وَإِنْ قَابَلَهُ الْخِذْلَانُ أَخْطَأً»

### الغفلة عن العيوب:

عندما يحكم الجهل على الإنسان فإنه يغفل عن عيوبه، لذا تراه يحمد نفسه، ويتابع عيوب الآخرين ويدمهم. وهذا هو في زمان إقبال الجهل على الإنسان، وعندما يتزين الإنسان بالعلم والمعرفة، فإنه ينتبه ويعرف عيوبه ونقائصه، غالباً الطرف عن عيوب الآخرين ومشغلاً بنفسه، لذا تراه ساخطاً لنفسه ذاماً لها، متندحاً للآخرين، وهذا هو في زمان إدبار الجهل عن الإنسان.

تكون أحوال الإنسان بجميع أطوارها ذو أهمية بين حالي العصمة والطهارة بعلمه بعيوبه وخذلانه وذاته بجهله لعيوبه.

فرؤية الإنسان لعيوبه وتوجهه لحضررة الحق سبحانه وتعالى، هو دواء ناجع لجميع العيوب، أما غفلته عن عيوبه وعدم توجهه للمولى، هو أكبر سبب وعلة لتأصيل وتجذير الأمراض الروحية والقلبية.

ألا ترى إلى الإنسان تارة يكون غافلاً عن عيوب نفسه ولهذا السبب تراه يمدح نفسه ومتبعاً لعيوب وعورات الآخرين، وتارة أخرى ترى العكس، لذا فالإنسان تتقلب أحواله ما بين العصمة من الخطأ والخذلان والتلوث به. فإذا وهب الباري سبحانه وتعالى له توفيق رؤية عيوب نفسه فهو في الطريق الصحيح وفي الآخرة من أهل النجاة والفوز، أما إذا كان تابعاً لخطوات الشيطان وخطوات النفس، وغير مهم يا صلاح نفسه ومتجسساً على عيوب وعورات الآخرين، فإنه والعياذ بالله سيكون من العاصين وفي الآخرة من أهل العذاب والهلاك.

«وَمَفْتَاحُ الْجَهْلِ الرِّضَا وَالْأَعْتِقَادُ بِهِ، وَمَفْتَاحُ الْعِلْمِ الْأَسْبَدَالُ مَعَ اصَابَةِ  
مُوافَقَةِ التَّوْفِيقِ»

### مفتاح الجهل والعلم:

مفتاح الجهل هو الرضا عن النفس والعجب بها، ومفتاح العلم والمعرفة هو عدم اكتراث الإنسان بما لديه من العلم ولما وصل إليه من مرتبة وعدم عجبه بها مع اصابة موافقة التوفيق.

«وَأَدْنِي صِفَةُ الْجَاهِلِ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ بَلَا إِسْتِحْفَاقٍ وَأَوْسَطُهُ الْجَهْلُ بِالْجَهْلِ  
وَأَقْصَاهُ جُحُودَةُ. وَلَيْسَ شَيْءاً إِثْبَاتُهُ حَقْيَةٌ نَفْيَهُ إِلَّا الْجَهْلُ وَالدُّشْيَا وَالْحِرْصُ  
فَالْكُلُّ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ كَالْكُلِّ»

### حد الجهالة:

إن أدنى وأحسن صفة تكون للجاهل هي دعواه للعلم والمعرفة وهو جاهل لا يستحق ذلك، وأوسط حد الجهل هو جهله بالجهل، لذا تراه لا يدعى العلم والمعرفة، وأقصى حد الجهل هو إنكاره العلم أينما كان، وعداؤته لأهل الفضل والمعرفة والدين، وجحوده لهم.

وليس شيء إثباته حقيقة نفيه إلا الجهل والدنيا والحرص، لأن الانتباه للجهل هو في الحقيقة علم، وكذلك يكون في التوجه إلى الحياة المادية المنحطة والحياة من دون الحق سبحانه، أو التوجه إلى الرذيلة أينما كان الجهل حاكم هنالك، ويجعل قلب الإنسان أسوداً وأسيراً للدنيا من دون أن يشعر، وبالتالي يصبح حريضاً على الدنيا.

باب

(٧٨)

في تعظيم الأخ المؤمن



قالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مُصافَحةُ إخْوَانِ الدِّينِ أَصْلُهَا مِنْ تَحْيَةِ اللَّهِ لَهُمْ.

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَا تَصَافَحَ أَخْوَانُ فِي اللَّهِ إِلَّا تَنَاثَرَتْ ذُنُوبُهُمَا حَتَّى يَعُودُنَّ كَيْوَمٍ  
وَلَدَتْهُمَا أُمَّهُمَا.

وَلَا كَثَرَ حَبَّهُمَا وَتَبَجِيلَهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ لِصَاحِبِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ مَزِيدٌ وَالْوَاجِبُ  
عَلَى أَعْلَمِهِمَا بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ صَاحِبَهُ مِنْ فُنُونِ الْفَوَائِدِ الَّتِي أَكْرَمَهُ  
اللَّهُ بِهَا وَيُرْشِدَهُ إِلَى الْأَسْتِقَامَةِ وَالرَّضَا وَالْقِناعَةِ وَيُبَشِّرُهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَيُنَخِّفُهُ  
مِنْ عَذَابِهِ، وَعَلَى الْأُخْرَ أَنْ يَتَبَارَكَ بِإِهْدَائِهِ وَيَتَمَسَّكَ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ وَيَعْظُهُ  
بِهِ وَيَسْتَدِلُّ بِمَا يَدْلُهُ إِلَيْهِ مُعْتَصِمًا بِاللَّهِ وَمُسْتَعِنًا بِهِ لِتَوْفِيقِهِ عَلَى ذَلِكَ.

قَبْلَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ أَنْتَ؟ قَالَ:

لَا أَمْلِكُ مَا أَرْجُو وَلَا أَسْتَطِعُ بِمَا أَحَذَرُ، مَأْمُورًا بِالطَّاعَةِ مُنْهِيًّا عَنِ  
الْمَعْصِيَةِ، فَلَا أَرَى فَقِيرًا أَفْقَرَ مِنِّي.

قَبْلَ لِأَوِيسِ الْقَرْنَى: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: كَيْفَ يُصْبِحُ رَجُلٌ إِذَا أَصْبَحَ  
لَا يَدْرِي أَيْمَسِي وَإِذَا أَمْسَى لَا يَدْرِي أَيْصَبِحُ!

قَالَ أَبُوذْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَصْبَحْتُ أَشْكُرُ رَبِّي وَأَشْكُو نَفْسِي.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَصْبَحَ وَهُمْ غَيْرُ اللَّهِ فَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ  
الْمُبْعَدِينَ.

«مُصافحة إخوان الدين أصلها من تحيّة الله لهم»

## مصالحة الأخ في الدين:

إن مسألة احترام وتعظيم الإخوة المؤمنين وأداء حق كل مؤمن ومسلم قد جاء ضمن شرح الخامس والخمسين في باب المؤاخاة وكذلك في الحديث الحادي والستين من باب حسن الخلق وأيضاً في حديث حرمة المسلمين من الباب السبعين، وكذلك ضمن الأحاديث التي تم شرحها في الأبواب السابقة، وقد وضحت ذلك ولا أرى حاجة في هذا الفصل لتوضيحه أكثر واكتفي بتوضيح الحديث.

يقول الإمام الصادق ع: عليه السلام

إن المصالحة مع إخوان الدين هي جذر ومنيع المحبة وعناء الباري الرحمن سبحانه وتعالى مع عباده.

قال رسول الله ﷺ: عليه السلام

«ما تصالحَ أخوانٌ في اللهِ إلا تنازَرْتَ ذُنوبَهُمَا حتَّى يَعُودانِ كَيْوَمٍ وَلَدَتْهُمَا أُمُّهُمَا.

ولَا كَثُرَ حَبَّهُمَا وَتَبَجِيلَهُمَا كُلُّ وَاحِدٍ لِصَاحِبِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ مَزِيدٌ»

وَالْوَاجِبُ عَلَى أَعْلَمِهِمَا بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ صَاحِبَةً مِنْ فُنُونِ الْفَوَائِدِ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَا وَيُرْشِدَهُ إِلَى الْأَسْتِفَانِيَةِ وَالرَّضَا وَالْقِناعَةِ وَيُبَشِّرَهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَيُخَوِّفَهُ مِنْ عَذَابِهِ، وَعَلَى الْآخَرِ أَنْ يَتَبَارَكَ بِإِهْدَائِهِ وَيَتَمَسَّكَ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ وَيَعْطُهُ بِهِ وَيَسْتَدِلُّ بِمَا يَدْعُهُ إِلَيْهِ مُعْتَصِمًا بِاللَّهِ وَمُسْتَبِعًا بِهِ لِتَوْفِيقِهِ عَلَى ذَلِكَ.

قَيْلَ لِعَيْسَىَ بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ أَنْتَ؟ قَالَ:

لَا أَمْلِكُ مَا أَرْجُو وَلَا أَسْتَطِعُ بِمَا أُحَادِرُ، مَأْمُورًا بِالطَّاعَةِ مُنْهِيًّا عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَلَا أَرَى فَقِيرًا أَفْقَرَ مِنِّي.

قَيْلَ لِأَوْيِسِ الْقَرْنَىِ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: كَيْفَ يُصْبِحُ رَجُلٌ إِذَا أَصْبَحَ لَا يَدْرِي أَيْمَسِي وَإِذَا أَمْسَى لَا يَدْرِي أَيْصَبِحَ!

قَالَ أَبُو ذَرٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: أَصْبَحْتُ أَشْكُرُ رَبِّي وَأَشْكُو نَفْسِي.

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: مَنْ أَصْبَحَ وَهَمَهُ غَيْرُ اللَّهِ فَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الْمُبَعَّدِينَ».



الباب

(٧٩)

في التوبة



قال الصادق عَلَيْهِ الْكَفَافُ:

الْتَّوْبَةُ حَبْلُ اللَّهِ وَمَدَدُ عِنَايَتِهِ، وَلَا يَبْدَأُ الْعَبْدُ مِنْ مُدَاوَمَةِ التَّوْبَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنَ الْعِبَادِ لَهُمْ تَوْبَةٌ، فَتَوْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ اضْطِرَابِ السَّرِّ، وَتَوْبَةُ الْأُولَيَاءِ مِنْ تَكْوِينِ الْخَطَرَاتِ، وَتَوْبَةُ الْأَصْفَيَاءِ مِنَ النَّفْسِ، وَتَوْبَةُ الْخَاصِّ مِنَ الْأَشْتِغَالِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَوْبَةُ الْعَامِ مِنَ الذَّنَوبِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَعْرِفَةٌ وَعِلْمٌ فِي أَصْلِ تَوْبَتِهِ وَمُتْهِيْهِ أَمْرِهِ، وَذَلِكَ يَطُولُ شَرْحَهُ هِيَهُنَا.

فَإِنَّ تَوْبَةَ الْعَامِ فَانْ يَغْسِلُ بَاطِنَهُ مِنَ الذَّنَوبِ بِمَاءِ الْحَيَاةِ وَالْأَعْتَارِ بِجَنَاحِيَّتِهِ دَائِمًا، وَاعْتِقادُ النَّدَمِ عَلَى مَا مَضِيَّ، وَالْخُوفُ عَلَى مَا يَقِنَّ مِنْ عُمُرِهِ، وَلَا يَسْتَصْغِرُ ذَنْبَيْهِ فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ إِلَى الْكَسْلِ، وَيَدِيمُ الْبُكَاءَ وَالْأَسْفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَخْبِسُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَسْتَغْيِثُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَحْفَظَهُ عَلَى وَفَاءِ تَوْبَتِهِ وَيَعْصِمَهُ عَنِ الْمُعْوِدِ إِلَى مَا سَلَفَ وَيَرْوِضَ نَفْسَهُ فِي مَيْدانِ الْجَهَدِ وَالْعِبَادَةِ، وَيَفْضِيَ عَنِ الْفَوَاتِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَيَرْدُدُ الْمَظَالِمَ وَيَعْتَزِلُ قُرَنَاءَ السَّوِءِ وَيَسْهُرُ لَيْلَهُ وَيَظْمِنُ نَهَارَهُ وَيَفْكَرُ دَائِمًا فِي عَاقِبَتِهِ وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى سَائِلاً مِنْهُ الْأَسْتِعَانَةَ فِي سَرَائِهِ وَضَرَائِهِ وَيَبْتَتْ عِنْدَ الْمِحْنِ وَالْبَلَاءِ كَيْلًا يَسْقُطُ عَنْ دَرَجَةِ التَّوَابِينَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ طَهَارَةً مِنْ ذَنْبِهِ وَزَيْدَةً فِي عَمَلِهِ وَرِفْعَةً فِي دَرَجَاتِهِ، «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» !

«الْتَّوْبَةُ حَبْلُ اللَّهِ وَمَدْدُ عِنَائِيهِ»

## حقيقة التوبة:

يشير الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في هذا الفصل النوراني والحقيقة الربانية؛ إلى أعظم العبادات وأحسن الطاعات، إلى معالج جميع الأمراض القلبية والروحية، إلى الذي يجعل الإنسان يرتقي إلى مقام الكرامة ويوصله من الناسوت إلى اللاهوت ويظهر ظاهره وباطنه، يعني التوجه والرجوع إلى حضرة الأحديّة، يضيف عليه السلام قائلاً: التوبة حبل الله العظيم ومدد عنائه ونصرته ولطفه.

إن هذه المسألة - التوبة - مهمة لدرجة أنه إن أردنا أن نفي بشرحها وتوضيحها احتاجنا لتأليف عدة مجلدات من الكتب، وهنا لا يسع المجال في هذا الكتاب لذلك، هذا ولا زال هنالك عدة أبواب أخرى متبقية لم نقم بتوضيحها وشرحها. لذا نكتفي بذكر أمehات مسائل التوبة من وجهة نظر القرآن الكريم والروايات الشريفة لأهل البيت عليهم السلام، عسى أن يوفقنا ربنا العظيم والعادل الرحمن والخالق الرحيم والمحسن للحصول والوصول إلى هذا المقام السامي وينجينا من ورطة الذنب الخطيرة، ذنب الباطن والظاهر، ويهدينا إلى سبيل طاعته خالصاً وقطع العلاقة مع كل ذنب ومعصية.

## الأثار الإلهية للتوبة:

إن الحديث والكلام عن آثار التوبة ليس أمراً سهلاً كما يتصور البعض؛ ذلك أن للتوبة الحقيقة آثاراً سامية قد ذُكرت في القرآن الكريم والروايات الشريفة. فمن جملة آثار التوبة هي نجاة الإنسان من المهالك وإقباله على الحقائق والواقعيات، و وضع أول خطاه في دائرة السعادة وخروجه من حد الشقاوة والدناءة والرذيلة.

ومن آثار التوبة الحقيقة الأخرى، هي محبوبيته لدى حضرة الرب ونيله للتوفيقات الإلهية وللعزة والشرف.

ومن آثار التوبة الحقيقة، افتتاح أبواب الجنة الثمانية بوجه التائب، وغلق أبواب جهنم السبعة، بمعنى آخر؛ اشتياق الجنة والرضوان إلى التائب وسكون وبرودة نار جهنم عليه.

ومن آثار التوبة الأخرى، نيل الغفران من حضرة الحق سبحانه وتعالى وتكفير جميع خطايا وذنوب التائب.

إن مقدمة التوبة هي الخروج من الغفلة والدخول إلى ديار الإنابة والتوجه - الذي هو أيضاً من آثار التوبة السامية - أي بعبارة أخرى؛ أن يفكر العبد العاصي في ماضيه ومستقبله وينتبه لنفسه ويركز إلى هذا المعنى؛ انه امام اي رب يريد الاستمرار بالعصيان، واما اي محظوظ يستعد للمبارزة وال الحرب؟

إن امتلاء القلب بالندم وشعور الذنب الثقيل والعزم على ترك العلاقة مع المعاصي وقضاء ما فات في الماضي وبناء نفسه في الحاضر والمستقبل؛ هو مشهد من التوبة الحقيقة والرجوع الواقعي إلى حضرة المحبوب سبحانه وتعالى.

إن كمال التوبة هو بحفظ الورع والتقوى والغفوة، ومحاسبة النفس ثم قطع ميول الظاهر وجبران الناقص النفسي.

وكمال التوبة أيضاً هو بحفظ وتنمية الإرادة والعزم على دوام التوبة والعمل الصالح والاجتناب عن المحرمات الإلهية والمشهيات الفسانية.

إذن كمال التوبة هو في التحلية بالزهد والصدق والشعور بالفقر وال الحاجة إلى حضرة المحبوب سبحانه وتعالى ثم الصبر على النوائب والرضا والأخلاق والتوكّل على حضرة المعين عز وجل.

### وجوب التوبة:

إن أغلب فقهاء الشيعة والسنّة الكبار، ومعظم المفسرين العظام للقرآن الكريم والعرفاء وذوي الضمائر النقية الحية؛ قد أوجوا التوبة ورأوا في تركه أو تأخيره معصية وذنب عظيم، كما جاء في آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

إذن، استجابة التوبة لا يعني له على الاطلاق، وتركه أو تأخيره يزيد في شدة الامراض الروحية والقلبية والعملية ويمهد الطريق لشدة المرض الروحي والمعنوي الذي يُعتبر من الخطايا، بل من الذنوب الكبيرة.

يقول الخواجة نصیر الطوسي في نهاية كتابه القيم «تجريد الإعتقاد»<sup>١</sup> :

التوبة واجبة لدفعها الضرر. ولو جوب الندم على كل قبيح أو إخلال بواجب.

وقال العلامة الحلي رحمه الله في شرحه - في مقام إثبات وجوب التوبة إنها بمعنى ترك كل صغيرة وكبيرة قد اثبتت هذا المعنى بالبرهان اليقيني : التوبة هي الندم

١- بحار الأنوار: ٤٢/٦، نقلأً عن تجريد الإعتقاد.

على المعصية لكونها معصية، والعزم على ترك المعاودة في المستقبل لأن ترك العزم يكشف عن نفي الندم، وهي واجبة بالاجماع، لكن اختلفوا فذهب جماعة من المعتزلة إلى أنها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر أو المظنون فيها ذلك، ولا تجب من الصغائر المعلوم أنها صغار.

لا يحق للإنسان العاصي مهما بلغت ذنبه أن ييأس من رحمة وعناء حضرة المحبوب، لأنه كما صرخ القرآن الكريم لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون.

**﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>١</sup>**

وبعد هذه الآية الكريمة، أورد قصة بهلول النباش المعروفة التي جاء توضيحيها في تفاسير القرآن الكريم، وكذلك قصة حميد بن قحطبه التي نقلها الشيخ الصدوق في كتابه القيم «عيون أخبار الرضا» أن حميد بن قحطبه قد قتل ستين من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام في ليلة واحدة، وكان يتاجر بإفطاره في نهار شهر رمضان ويقول: إني آيس من رحمة الله، فقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام<sup>٢</sup>:

إن يأسه من رحمة الله اعظم من ذنبه تلك الليلة، وهذا خير دليل على عظمة ذنب اليأس من روح الله.

عندما يتمعن الإنسان العاصي لكتاب الله العظيم والآيات التي تخص مغفرته ورحمته، وكذلك إلى روایات باب التوبة والأدعية الإسلامية

١- يوسف: ١٢

٢- عيون أخبار الرضا: ١٠٨/١، باب ٩، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٧٧/٤٨، باب ٧، حديث ٢٠.

العجبية كدعاء كمبل وابو حمزة الثمالي ودعا عرفة، لا يكون للبس إليه طريق، إذن يجب عليه ان يشد من همته وعزيمته لجران المعا�ي الماضية والتحرر من مظالم الناس وديونهم وأداء الواجبات كلها، وأن ينوي على عدم العودة إلى الذنوب في المستقبل.

قد بتنا في المجلد الأول من هذا الكتاب ووضحت نظرة كلية عن هذه الحقيقة ولا حاجة لتكرارها مرة أخرى، ونكتفي هنا فقط بذكر آيات من القرآن الكريم والروايات الشريفة التي جاءت في هذا المجال.

### التوبة في القرآن الكريم:

﴿فَلَوْلَا فَضُلَّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>١</sup>.

﴿فَلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّنِي اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>٢</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَيَسِّئُ لَكُمْ وَيَهْدِي كُمْ سُنَّ الدِّينِ مِنْ فَيْلَكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>٣</sup>.

﴿فَأَوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُوراً﴾<sup>٤</sup>.

١- البقرة: ٢٦٤.

٢- آل عمران: ٣٣١.

٣- النساء: ٤٢٦.

٤- النساء: ٤٩٩.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾.  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَبَاتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>١</sup>.

### شأن النزول:

جاء في شأن نزول هذه الآية:

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش وهو ابن عم النبي ﷺ في جمادي الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال: سر على اسم الله، ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين، فإذا نزلت متزلين فافتح الكتاب واقرأه على أصحابك، ثم امض لما أمرتك، ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك، فسار عبد الله يومين، ثم نزل وفتح الكتاب، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة، فترصد بها غير قريش، لعلك أن تأتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله الكتاب قال: سمعا وطاعة، قال لاصحابه ذلك، وقال إنه قد نهاني أن أستكره واحدا منكم، ومضى عبد الله بأصحابه حتى وصل بطن نخلة بين مكة والطائف، في بينما هم

١- النساء: ٤: ٦٤

٢- البقرة: ٢: ٢١٨

كذلك إذا مرت بهم غير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف، فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن غيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان، فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم، فقال عبد الله ابن جحش: إن القوم قد زعزعوا منكم فاجلقوا رأس رجل منكم فليعرض لهم، فإذا رأوه محلقاً آمنوا وقالوا قوم عمار، فحلقوا رأس عكاشه ثم أشرف عليهم فقالوا: قوم عمار لا بأس عليكم فأمنوه، وكان ذلك في آخر يوم من جمادي الآخرة، وكانت يرون أنه من جمادي أو هو رجب، فتشاور القوم فيهم وقالوا: لئن تركتموه هذه الليلة ليدخلن الحرث فليمتنعن منكم، فأجمعوا أمرهم في مواجهة القوم، فرمى واقد بن عبد الله السهemi عمرو بن الحضرمي بسهم قتله، وكان أول قتيل من المشركين، واستأسر الحكم وعثمان، فكانا أول أسيرين في الإسلام، وأفلت نوفل وأعجزهم، واستنقذ المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموه على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، شهراً يأمن فيه الخائف وينذر الناس في معايشهم فسفك فيه الدماء وأخذ فيه الحرائب، وغير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين، فقالوا: يا معشر الصباء استحللت الشهر الحرام فقاتلتم فيه، وتفاءلت اليهود بذلك وقالوا: قد وقفت الحرب نارها سعرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لابن جحش وأصحابه: ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، ووقف العير والاسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا، وسقط في أيديهم وقالوا: يا رسول إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب، فلا ندرى أفي رجب أصبهناه أو في جمادي، وأكثر الناس في ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَتَالٍ فِيهِ قُلْ قَتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ  
وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفُرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ  
أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرٌ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَّالُونَ  
يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنَّ اللَّهَ اسْتَطَاعَهُ وَمَنْ  
يَرْتَدِدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأَوْلَئِكَ حَبَطَتْ  
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وبعد نزول هذه الآية المفصلة قال عبد الله بن جحش واصحابه: إننا من أجل نيل الثواب قد جاهدنا في هذا الشهر. فسألوا رسول الله ﷺ: هل لهم أجر المجاهدين أم لا؟ فنزلت الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا...﴾.

### التوبة في الروايات:

عن أبي عبيدة قال: «قلت: جعلت فداك أدع الله لى فانلى  
ذنوباً كثيرةً فقال: مه يا أبي عبيدة لا يكون الشيطان عوناً على  
نفسك، إن عفوا الله لا يُشبهه شيء».<sup>٣</sup>

١- البقرة: ٢١٧.

٢- تفسير نموذج: ذيل تفسير الآية ٢١٨ من سورة البقرة.

٣- الزهد: ٩٩، باب ١٨، حديث ٢٦٧؛ بحار الأنوار: ٥٦، باب ١٩، حديث ٦.

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ يَقُولُ: إِذَا دَخَلَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ فَإِنْ عَنِتَهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ»<sup>١</sup>.

عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: إِذَا نَابَ الْعَبْدُ تَوْبَةً نَصُوحاً أَحَبَّ اللَّهَ فَسَرَّ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَقَلَّتْ: وَكَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ»: قَالَ:

بُنْسَى مَلَكِيَّهُ مَا كَتَبَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُوحِي إِلَى جَوَارِحِهِ أَكْتُمِي عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ وَيُوحِي إِلَى بِقَاعِ الْأَرْضِ أَكْتُمِي مَا كَانَ يَعْمَلُ عَلَيْكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَيَلْقَى اللَّهُ حِينَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ»<sup>٢</sup>.

عَنْ أَبِي عَبْيَدَةَ الْحَذَاءِ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشَدُ فَرَحَّاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ فَوَجَدَهَا فَاللَّهُ أَشَدُ فَرَحَّاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ حِينَ وَجَدَهَا»<sup>٣</sup>.

قَالَ النَّبِيُّ: «إِنَّ اللَّهَ يُقْبِلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغَرِّغِرْ، تُؤْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّاكِيَّةِ قَبْلَ أَنْ

١- أمالى الشيخ الطوسي: ١٧٩، المجلس السابع، حديث ٤٠٠، بحار الأنوار: ٥/٦، باب ١٩، حديث ٥.

٢- الكافى: ٤٣٠/٢، باب التوبة، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٧١/١٦، باب ٨٦، حديث ٢١٠٠٩.

٣- الكافى: ٤٣٥/٢، باب التوبة، حديث ٨، بحار الأنوار: ٤٠/٦، باب ٢٠، حديث ٧٣.

تَشْتَغِلُوا، وَصِلُوا إِلَى الَّذِي يَبْنَكُمْ وَبَيْنَهُ بَكْثَرَةٌ ذِكْرُكُمْ إِيَّاهُ<sup>١</sup>.

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «لَا شَفِيعٌ أَنْجَحُ مِنَ الْتَّوْبَةِ»<sup>٢</sup>.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَلْزَمُ الْحَقُّ لِأَمْسَى فِي أَرْبَعٍ: يُحَبُّونَ التَّائِبَ، وَيَرْحَمُونَ الْمُضَعِّفَ، وَيُعْنِيُونَ الْمُخْسِنَ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمُذْنِبِ»<sup>٣</sup>.

قَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَادْخُلُوا فِي مَحِبَّتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ وَالْمُؤْمِنِ تَوَابَ»<sup>٤</sup>.

عَنِ الرَّضَا عَنْ أَبَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَثَلِ مَلَكٍ مُقْرَبٍ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعَظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ تَائِبٍ أَوْ مُؤْمِنَةً تَائِبَةً»<sup>٥</sup>.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»<sup>٦</sup>.

عَنْ الشَّعَبِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ: «الْأَعْجَبُ

١- الدعوات، الرواوندي: ٢٣٧، حديث ٦٥٩؛ بحار الأنوار: ١٩/٦، باب ٢٠، حديث ٥.

٢- من لا يحضره الفقيه: ٥٧٤/٣، حديث ٤٩٦٥.

٣- بحار الأنوار: ٢٠/٦، باب ٢٠، حديث ١٠.

٤- بحار الأنوار: ٢١/٦، باب ٢٠، حديث ١٤.

٥- بحار الأنوار: ٢١/٦، باب ٢٠، حديث ١٥.

٦- عيون أخبار الرضا: ٧٤/٢، باب ٣١، حديث ٣٤٧؛ وسائل الشيعة: ٧٥/١٦، باب ٨٦، حديث

**مِنْ يَقْنُطُ وَمَعَهُ الْمِمْحَاةُ فَقَيلَ لَهُ وَمَا الْمِمْحَاةُ قَالَ  
الْأَسْتَغْفَارُ!**

من المسائل المهمة التي يجب ذكرها في باب التوبة العظيم، هو أن حضرة الحق سبحانه وتعالى من باب فضله ورحمته وعنايته وكرمه، لم يغلق باب التوبة في وجه أحد من عباده، بل متى ما انتبه فيه العبد العاصي لوضعه المزري وأراد الرجوع الحقيقي نحو مولاه الرحيم شريطة لا تغمره سكرات الموت وآثاره، وفق الآيات الكريمة والروايات الشريفة، فإن باب التوبة مفتوح له ويستطيع الإنسان إيصال نفسه إلى مغفرة ورحمة حضرة المحبوب وتخلص نفسه من العذاب الخالد والهلاك الأبدى.

### توبه اليهودي:

عن أبي جعفر ع عليهما السلام قال: كان غلام من اليهود يأتي النبي ﷺ كثيراً حتى استخفه وربما أرسله في حاجته، وربما كتب له الكتاب إلى قومه، فافتقده أيام، فسأل عنه فقال له قائل: تركته في آخر يوم من أيام الدنيا، فأناه النبي صلى الله عليه واله في أنس من أصحابه - وكان له عذر بركة لا يكلم أحداً إلا أجابه - فقال: يا فلان ففتح عينه وقال: ليك يا أبا القاسم ! قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله، فنظر الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً، ثم ناداه رسول الله ﷺ ثانية وقال له مثل قوله الأول، فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً، ثم ناداه

١- أمالى الشیخ الطوسي: ٢٨، المجلس الثالث، حدیث ١٣٤؛ بحار الأنوار: ٢١/٦، باب ٢٠، حدیث

رسول الله ﷺ الثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه، فقال: إن شئت فقل وإن شئت فلا، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ومات مكانه. فقال رسول الله ﷺ لابيه: اخرج عنا، ثم قال ﷺ لاصحابه: اغسلوه وكفونوه، وآتوني به أصلبي عليه، ثم خرج وهو يقول: الحمد لله الذي أنجى بي اليوم نسمة من النار.<sup>١</sup>

وروى في الكتب المعتبرة عن الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قال:

«وَاللَّهِ مَا أَعْطَى مُؤْمِنًا قَطُّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا بِحُسْنِ ظَنِّهِ  
بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجَائِهِ لَهُ وَحَسْنِ خَلْقِهِ وَالْكَفَّ عَنِ اغْتِيَابِ  
الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ عَبْدًا بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفارِ إِلَّا  
بِسُوءِ ظَنِّهِ وَتَقْصِيرِهِ فِي رَجَائِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُوءِ خَلْقِهِ  
وَأَغْتِيَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ».<sup>٢</sup>

وجاء في كتاب «وسائل الشيعة» أيضاً:

عن أبي عبد الله عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: سمعته يقول: أوحى الله إلى داود النبي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يا داود، ان عبدي المؤمن إذا أذنب ذنبًا ثم رجع وتاب من ذلك الذنب واستحبى مني عند ذكره غفرت له وأنسنته الحفظة وأبدلته الحسنة ولا أبالي وأنا أرحم الرحيمين.<sup>٣</sup>

١- أمالى الشيخ الطروسى: ٤٣٨، المجلس الخامس، حديث ٩٨٠؛ بحار الأنوار: ٢٦/٦، باب ٢٠، حديث ٢٧.

٢- مستدرک الوسائل: ٢٤٨/١١، باب ١٦، حديث ١٢٨٩٨؛ بحار الأنوار: ٢٨/٦، باب ٢٠، حديث ٢٩؛ فقه الرضا: ٣٦٠.

٣- وسائل الشيعة: ٧٤/١٦، باب ٨٦ حديث ٢١٠١٧.

### التوبة الحقيقة:

يمكن ان يوجد بين الناس أشخاص يتصورون أن التوبة والرجوع إلى حضرة الحق يتحقق بالندم أو البكاء والعويل أو قراءة جملات من الدعاء والاستغفار، فعلى هؤلاء ان يعلموا ان التوبة الحقيقة تتحقق بثلاث اشياء هي العلم والحال والعمل، وان هذه الأمور الثلاثة مستفادة بشكل صريح من القرآن الكريم والروايات الشريفة.

التوبة من أي ذنب يجب ان يكون متناسباً مع ذلك الذنب، فمثلاً توبة الإنسان الذي ترك أداء الصلاة والصيام والحج و الزكاة وسائر العبادات الأخرى هو في قضائتها جميعاً، وتوبة الشخص الذي في عنقه حق الناس وعباد الله هو في إرجاع ذلك المال والحق إلى أصحابه، وكذلك الحال مع جميع الذنوب والأمور التي مرت على الإنسان من باب الغفلة.

### شروط التوبة:

جاء في «نهج البلاغة» الشريف، أن قاتلاً قال بحضوره عليه عليه عليه «أستغفر الله» فقال عليه عليه عليه:

«نَكِلْتَكَ أَمْكَ أَتَدْرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ وَ هُوَ إِسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ أَوْلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى وَ الثَّانِي الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبْدَاً وَ الثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبَعَّهُ وَ الرَّابِعُ أَنْ تَعْمَدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتَوَدُّي حَفَّهَا وَ

**الخامسُ أَنْ تَعْمَدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّخْتِ فَتَذَبَّبُهُ  
بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُصْبِقَ الْجَلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَا بَيْنَهُمَا لَحْمًا جَدِيدًا  
السَّادِسُ أَنْ تُذَبِّقَ الْجِسْمَ الْمَطَاعَةَ كَمَا أَذْفَتَهُ حَلَاوةَ  
الْمَعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ !**

قال رسول الله ﷺ: أتدرؤون من التائب؟ قالوا: اللهم لا، قال: إذا تاب العبد  
ولم يرض الخصماء فليس بتائب، ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب،  
ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير رفقاءه فليس بتائب،  
ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير فراشه ووسادته  
فليس بتائب ومن تاب ولم يغير خلقه ونيته فليس بتائب، ومن تاب ولم يفتح  
قلبه ولم يوسع كفه فليس بتائب، ومن تاب ولم يقصر أمله ولم يحفظ لسانه  
فليس بتائب، ومن تاب ولم يقدم فضل قوته بدننه فليس بتائب، وإذا استقام على  
هذه الخصال فذاك التائب.<sup>٢</sup>

١- نهج البلاغة: الحكمة ٤١٧.

٢- مستدرك الوسائل: ١٣١/١٢، اب ٨٧ حديث ١٣٧٠٩؛ بحار الأنوار: ٣٥/٦، باب ٢٠، حديث ٥٢؛  
جامع الأخبار: ٨٨

«وَلَا يَبْدِي لِلْعَبْدِ مِنْ مُدَاوَمَةِ التَّوْبَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنَ الْعِبَادِ لَهُمْ تَوْبَةٌ، فَتَوْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ اضْطِرَابِ السَّرِّ، وَتَوْبَةُ الْأُولَيَاءِ مِنْ تَكْوِينِ الْخَطَرَاتِ، وَتَوْبَةُ الْأَصْفِيَاءِ مِنَ التَّنَفُّسِ، وَتَوْبَةُ الْخَاصِ مِنَ الْأَشْتِغَالِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَوْبَةُ الْعَامِ مِنَ الذُّنُوبِ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَعْرِفَةٌ وَعِلْمٌ فِي أَصْلِ تَوْبَتِهِ وَمُنْتَهِي أَمْرِهِ، وَذَلِكَ يَطُولُ شَرْحَهُ هِيَهُنَا»

### أنواع التوبة:

يجب على العبد أن يكون دائماً في حالة التوبة، وتوجد لكل فرقه وطائفة من العباد توبة خاصة. فتوبة الأنبياء والمرسلين هي من اضطراب الباطن والسرّ. وأما توبة الأولياء فهي من العوارض المختلفة والمتنوعة للخاطر، وتوبة الأصفياء هي من الاستراحة والفراغ والغفلة والكدوره، وتوبة الخواص هي من انشغالهم بغير الحق سبحانه وتعالى، واخيراً فتوبة العوام وبقي الناس فهي من الذنوب والمعاصي. ولكل واحدة مما مر آنفاً - من موضوع التوبة و نتيجتها - علم و معرفة خاصة لا تكون لغيرها، ولا يسعنا هنا شرحها وبسطها، ونشرير فقط إلى توبة العوام.

«فَإِنَّمَا تَوْبَةُ الْعَامِ فَإِنَّ يَغْسِلَ بِأَطْنَاهُ مِنَ الذُّنُوبِ بِمَاءِ الْحَيَاةِ وَالْأَعْتَارِفِ  
 بِجِنَاحِيَّتِهِ دَائِمًا، وَاعْتِقَادِ النَّدَمِ عَلَى مَا مَضِيَ، وَالْخُوفُ عَلَى مَا يَقِنُ مِنْ  
 عُمَرٍ، وَلَا يَسْتَصْغِرُ ذُنُوبَهُ فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ إِلَى الْكَسَلِ، وَيُدِيمُ الْبُكَاءَ وَالْأَسْفَ  
 عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَحْسِنُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَسْتَغْفِثُ إِلَى اللَّهِ  
 تَعَالَى لِيَحْفَظَهُ عَلَى وَفَاءِ تَوْبَتِهِ وَيَعْصِمَهُ عَنِ الْعُودِ إِلَى مَا سَلَفَ وَبِرُوضَ  
 نَفْسَهُ فِي مَيْدَانِ الْجُهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَيَقْضِيَ عَنِ الْفَوَاتِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَبِرَدَّ  
 الْمَظَالِمِ وَيَعْتَزِلُ قُرَنَاءِ السَّوَءِ وَيُسْهِرُ لَيْلَةً وَيُظْمِنُ نَهَارَهُ وَيَتَفَكَّرُ دَائِمًا فِي  
 عَاقِبَتِهِ وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى سَائِلًا مِنْهُ الْأَسْتِعَانَةَ فِي سَرَائِهِ وَضَرَائِهِ وَيَثْبُتُ  
 عِنْدَ الْمِحْنِ وَالْبَلَاءِ كُلُّا يَسْقُطُ عَنْ دَرَجَةِ التَّوَابِينَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ طَهَارَةً مِنْ  
 ذُنُوبِهِ وَزِيادةً فِي عَمَلِهِ وَرِفْعَةً فِي درَجَاتِهِ، «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا  
 وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»<sup>۱</sup>.

## توبه العوام:

إن حقيقة توبه العوام هي أن يغسلوا باطنهم من المعاصي بدموع الندم وأن

يعترفوا بتقصيرهم وجنابتهم على أية حال كانوا، وان يكون ندمهم من أعماق قلوبهم على ما فرطوا في جنب الله، وعلى غفلتهم، وان يديموا الخوف على ما بقي من عمرهم ولا يستصرغوا ذنباً أو معصية حتى لا يحملهم ذلك على التجراً على الله سبحانه وتعالى والكسالة.

على الإنسان أن يديم البكاء والندم على ما فاته من العبادات والطاعات في جنب الله، وأن يحبس نفسه عن الميول والشهوات والمطالب الشيطانية وان يطلب من حضرة الحبيب ان يثبت قدمه على بساط التوبة وان يحفظه من الرجوع إلى ما كان عليه في الماضي.

وعليه ان يروض نفسه في ميدان الجهد في طريق الحق ويقضي ما فاته من الفرائض والعبادات وان يرجع المظالم وحقوق الناس إلى أهلها وأن يترك اصدقاءسوء ويقضي ليه بالقيام لله بالعبادة وينور نهاره بالصيام.

وعلى الانسان أن يتذكر دائماً في عاقبة أمره، وان يطلب العون من الله سبحانه وتعالى، أن يوفقه حتى لا يسقط من درجة التوابين وعليه الانتباه إلى أن جميع تلك المحن والبلايا هي سبب ووسيلة لطهارة النفس وغفران الذنوب وتزايد الدرجات وعلو المراتب الملكوتية:

قال الله تعالى:

\* ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \*  
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا  
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾!

الباب

(٨٠)

في جهاد ورياضه النفس



قال الصادق عليه السلام:

طُوبى لِعَبْدٍ جَاهَدَ لِلَّهِ نَفْسَهُ وَهُوَأَهْ، وَمَنْ هَزَمَ جُنْدَ نَفْسِهِ وَهُوَأَهْ ظَفَرَ  
بِرِضَا اللَّهِ، وَمَنْ جَاوزَ عَقْلَهُ نَفْسَهُ الْأَمَارَةَ بِالسَّوْءِ بِالْجَهَدِ وَالْأَسْكَانَةِ  
وَالْخُضُوعِ عَلَى بِسَاطِ خِدْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا.

وَلَا حِجَابَ أَظْلَمَ وَأَوْحَشَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنَ النَّفْسِ وَالْهَوَى وَلَيْسَ  
لِقَتْلِهِمَا وَقَطْعِهِمَا سِلَاحٌ وَاللَّهُ مِثْلُ الْأَفْتَارِ إِلَى اللَّهِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ  
وَالْجُحُوعِ وَالظُّمَاءِ بِالنَّهَارِ وَالسَّهَرِ بِاللَّيلِ، فَإِنْ ماتَ صَاحِبُهُ ماتَ شَهِيدًا، وَإِنْ  
عَاشَ وَاسْتَقَامَ أَدَى عَاقِبَتَهُ إِلَى الرَّضْوَانِ الْأَكْبَرِ.

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيهِمْ سَبَلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.  
وَإِذَا رَأَيْتَ مَجْتَهِداً أَبْلَغَ مِنْكَ فِي الْاجْتِهادِ فَوَتَّخْ نَفْسَكَ وَلْمُهَا وَعَيْرَهَا  
تَحْسِيْنَا عَلَى الْأَزْدِيَادِ عَلَيْهِ وَاجْعَلْ لَهَا زِمامًا مِنَ الْأَمْرِ وَعِنَانًا مِنَ النَّهَىِ،  
وَسُقْهَا كَالرَّائِضِ لِلْفَارِهِ الَّذِي لَا يَدْهَبُ عَلَيْهِ خَطْوَةً مِنْ خَطْوَاتِهِ إِلَّا وَقَدْ  
صَحَّ أَوْلَاهَا وَآخِرَهَا.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُصَلِّى حَتَّى يَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ وَيَقُولُ: أَفَلَا أَكُونُ  
عَبْدًا شَكُورًا؟ أَرَادَ بِهِ أَنْ تَعْتَبِرَ بِهَا أُمَّةً وَلَا يَغْفِلُوا عَنِ الْاجْتِهادِ وَالْتَّعْبُدِ  
وَالرِّيَاضَةِ بِحَالٍ.

أَلَا وَإِنَّكَ لَوْ وَجَدْتَ حَلَاوةَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَأَيْتَ بَرَكَاتِهَا وَاسْتَضَاءَتِ  
بِنُورِهَا لَمْ تَصِيرْ عَنْهَا سَاعَةً وَاحِدَةً وَلَوْ قُطِعْتَ إِرْبَأً إِرْبَأً، فَمَا أَغْرَضَ مَنْ  
أَغْرَضَ عَنْهَا إِلَّا بِحِرْمَانِ فَوَائِدِ السَّلَفِ مِنَ الْعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ.  
فَبِلَ رِبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ: مَا لَكَ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ؟ قَالَ: لِأَنِّي أَخَافُ الْبَيَاتِ.

«طوبى لِعَبْدٍ جاَهَدَ لِلَّهِ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ ظَفَرَ بِرِضَا اللَّهِ»

## جهاد النفس:

وهو أمر ذو منافع كثيرة ومهم، كان جهاد النفس وترويضها - هذا المنبع الحساس - أمراً توجه إليه عشاق الكمال والعاقلين المفكرين بعاقبة الامر منذ ابتداء الحياة في الكرة الأرضية.

فاول مرتبة من قوانين وقواعد جهاد النفس التي تجلت للإنسان كانت من قبل حضرة الفياض الكريم و وجود حضرت الرب الأقدس، ثم كان الانبياء والائمة عليهم السلام والآولياء والعرفاء كل حسب عشقه ومحبته للإنسان قد هدوه في هذا الطريق ونحو الكمال المطلوب - فالطريق للوصول إلى ذلك هو طريق رياضة وجihad النفس فقط -

يجب أن نعلم أن النفس بمساعدة المشاعر والاحاسيس وخصوصاً العين والأذن والحواس الذائقة واللامسة، لها اثر عجيب، فالمشهور هو انه لا توجد لوحه في عالم الخلقة تتقبل الاثر اكثراً من النفس.

فلما ترى بوسيله العين، وتسمع بوسيله الأذن، وتتذوق بوسيله الذائقة، وتلمس بمساعدة الجلد، تتحرك بجميع وجودها في طلب ذلك الشيء، ويسوق بجميع أماله وغراائزه في هذا الميدان الخطير، ولا يخاف في هذا المجال من اي شيء،

ولا يبرز احتراماً لاي قاعدة او قانون، فلما يترك في هذا المكان، فإنه يريد دون اي سؤال، ويطلب دون قانون، ولا يقبل سوى الوصول إلى مبتغاه، ويعرض بكل قوة لهدف الخلقة ورمزاها الذي هو مقام خليفة الله في الأرض، ويحرر امياله وغراائزه وشوائه من قيد التقوى والفضيلة والكرامة، ويحكم على نفسه دخاناً غليظاً الذي يسمى بالهوى، ويجعل عقله وفطرته مغلوبة، ثم تفضح صاحبها وتورطه بالغفلة والشهوة في الدنيا، وفي الآخرة بالعذاب الاليم والنار الابدية.

فالاوضاع الاخلاقية والعملية لاسيري الهوى قد أرتها التجربة المرة للتاريخ، ولا اظن ان هنالك احتياج لتوضيح وشرح ذلك، فتنوع التلوثات العملية والرذائل الاخلاقية والبلايا الفردية والاجتماعية والاسرية التي كانت على مر التاريخ الانساني إنما هي محصول ونتيجة هوى النفس وجعلها حرة في ميدان الحياة هذا ومعتركه، هذا العنصر الذي إذا ما نمى بالتنسيق مع مطالب حضرة الحق سبحانه، فسيكون سر الإنسان أعلى من العرش وجوده منبعاً للخير والبركة والكرامة والفضيلة.

فأثنين عمل تربوي هو تربية النفس دون شك وفق البرامج الربانية والقواعد الملكوتية، وهي عبارة عن جعل جميع الاموال والغرائز في منطقة التقوى الالهية التي تجلت قواعدها وحدود هذه الحقيقة في آيات القرآن الكريم والروايات الشريفة، وتحقق هذه التربية تحتاج إلى معرفة هذه القوانين من طرف، ومن طرف آخر تحتاج إلى عزم راسخ وقدم ثابت، وعمل عاشق وفق هذه القواعد وهذا السبيل الملكوتى القيم والثمين هو في القرآن الكريم قد عبر عنه بشكل مكرر بالصراط المستقيم، فالسالك لهذا الطريق سيصل إلى مقام القرب ولذت الوصال، وينور بصيرة قلبه بلقاء محبوبه.

بتعبير العارف المشتاق، الحاج ميرزا حبيب الخراساني:  
بهذا البدن كل حين ترد روح أخرى ومن هذا الباب تدخل دوماً مائدة  
جديدة.

بهذا المحفل الذي هو متزه الروح يصل كل ساعة ضيف آخر.  
في كل ذرة من ذرات الإمكان يختبئ عالم أماكن آخر.  
لو نظر الإنسان كل لحظة، جيداً لرأى نفسه إنساناً آخر.  
انظر إلى منابت ورود البال إذ ينمو كل ساعة ورد وريحان آخر.  
هو غذاء البدن هذا الماء والخبز غذاء الروح ماء وخبز آخر.  
مائتنا سفينة تمخر بهذه البحر لكل منها بيان آخر.  
خضراء وزهية هي منبت ورود الروح من سحاب آخر ومطر آخر.  
الآف يوسف المصري بهذا السبل لكل بئر وسجن آخر.  
ترى مائتي يعقوب على الطريق لكل كنعان آخر.  
ينبغي طي مسار الحياة يمتهن الدقة والمراقبة وأن لا تحطم الميل الخطأة  
الداخلية والخارجية عناصر شخصية النفس، إذ الوصول إلى مقام قرب الحبيب  
ونيل الحالات الملكوتية الرفيعة لا يتهيأ إلا من خلال تهذيب و التربية و تزكية  
النفس، ليس الأ.

يقول بالذاك وهو من مفكري الغرب:  
الوصول إلى الشخصية الرفيعة ممكن، شريطة أن لا يسمح الإنسان في  
احتياكه بأمور الحياة وبالسهولة التي يخسر الكبش لدى مروره بأماكن الشوك  
صوفه، أن تتمزق روحه! لو ندع النفس وطلباتها وموتها وغراائزها ستتحول في

المرحلة الأولى إلى بهيمة ثم حيوان خطر، وستصبح بعد ذلك مفترساً وفي الخاتمة شيطاناً يجتمع فيه كل الرذائل والمعافسات.

لو تركنا النفس حرّة في طلباتها الخاطئة، ستكون محرومة من لذة العبادة وتخرج تدريجياً من أمور الحياة وتورّد الآدمي سبيل الهلاك، وتورّطه بعذاب الخلد. قيل لأحد العباد الحقيقين: إننا لانلذ من العبادة والعمل الصالح وفعل الخيرات، قال: إنّ بنت الشيطان وهي الحب الخارج عن حدوده لحياة الدنيا في قلوبكم، والأب لا بدّ له من أجل زيارة البنت أن يذهب إلى بيت ابنته وهو حينما حلّ ولد فساداً، فينكم وبين التلذذ بالعبادة و فعل الخير، مانع وهو الشيطان ولا سبيل لكم للنجاة من هذه البلية بالعودة عن الميول والغرائز إلى الحدود الالهية.

### سبيل الجنة:

قيل لأحد المتيقظين والعرفاء العاشقين: ما هو سبيل الجنة؟ قال: المداومة على خمسة أشياء:

#### ١- صدّ النفس عن المعصية:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾<sup>١</sup>.

٢- الرضا والقناعة بالقليل من الدنيا وهو حلال الله، اذ جاء في الخبر: ثمن الجنة الزهد في الدنيا.<sup>٢</sup>

٣- أن يكون حريصاً على العبودية الخالصة والعبادة العاشقة

١- النازعات .٧٩ .٤٠

٢- غر الحكم: ٢٧٦، حديث .٦٩٠

والسلوك العرافي:

﴿تُلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>١</sup>.

٤- ان يعشق الصلحاء والصادقين والعباد الحقيقيين الذين يتحلون بالمعونة والعمل:

﴿كُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>٢</sup>.

٥- أن يكثر من الدعاء اذ الدعاء أفضل أنواع العلاقة للعبد بحضوره الحق وقد جعل الله الرؤوف الاستجابة، ثمرة الدعاء:  
﴿إِدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>٣</sup>.

عدم الاكتئاث بالدنيا:

كان عارف متيقظ القلب وعاشق متحرق يمشي نحو بيت الله، قال له راكب جمل عربي ومن تعلق قلبه بالدنيا والمال: الى أين؟ أجاب: بيت الله، قال: مشياً وبلا زاد؟ قال: لا، كلما نابتني مصيبة امتنع مركب الصبر وحيثما نالتني نعمة اعني مركب الشكر وحيثما يحل القضاء الالهي، أكون على مركب الرضا، ولو حصل في النفس رغبة وشهوة، اعلم أن الباقي أقل من الماضي وليس من الصالحة متابعة الرغبات والشهوات وما عدا ذلك تجارة خارة قال راكب الجمل: يا بصير السبيل والسايك الخبير! إنك أنت الراكب وأنا الراجل!

١- الأعراف:٧.٤٣.

٢- التوبية:٩.١١٩.

٣- غافر:٤٠.٦٠.

## منشأ كل المزالق:

قال متيقظوا درب الحبيب ونظراً لآيات الكتاب المجيد أن جميع المآسي والذنوب تدرج في ثلاثة أمور:

١- متابعة هوى النفس، الذي هو منشأ البدعة، الارتداد، الضلال، الشبهة، طلباً لشهوات وترك العبارات، يقول القرآن المجيد:

﴿وَ لَا تَتَّبِعُ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

٢- حب الدنيا والعشق الخارج عن الحد الإلهي لظاهر الحياة والذهب والزينة الفانية التي تؤدي إلى القتل والظلم والغضب والتجاوز والسرقة والربا واكل مال اليتيم ومنع الزكاة وشهادة الزور وتحليل الحرام وتحريم الحلال، يقول القرآن الكريم:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتُهُ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

وجاء في حديث مشهور:

«حب الدنيا رأس كل خطيئة».<sup>٣</sup>

٣- تحويل النظر عن الله والتحديق بالرأس والقلب للغير، الآخر الذي ليس بسبيله، الآخر الذي هو منشأ الشرك، النفاق، الرياء، الكبر والأسر، يقول القرآن الكريم:

١- ص ٣٨: ٢٦.

٢- الشورى ٤٢: ٢٠.

٣- الكافي: ٢/ ١٣٠، باب ذم الدنيا و...، حديث ١١؛ وسائل الشيعة: ٩/ ١٦، باب ٦١، حديث ٢٠٨٢٤.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>١</sup>.

### العبدات الظاهرية الباطنية:

من أجل تربية النفس وتزكيتها وبعبارة أخرى لأجل وضع النفس في طريق النمو والكمال، يلزم لجسمها بقوه بنوعين من العبادة.

١- العبادة الظاهرية وهي عبارة عن: وضع أعضاء البدن في إطار العمل الصالح، مقتربوناً بالنية الخالصة ويتجلى العمل الصالح ذلك في الصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخمس والزكاة وترك صنوف المحرمات.

٢- العبادة الباطنية وهي عبارة عن تقوى القلب والروح وتتجلى تقوى القلب والروح، في الأخلاق الحميدة ومطلع فجر تلك الأخلاق الحميدة: هي التوبه والصبر والشكراً والتوكلاً والتسللاً والجود والكرم والسخاء والفتواه والرجولة والابتعاد عن الملائكة الرذيلة مثل الكبر والحسد والضرورة وعدم الصفاء والعجب وسائر الاوصاف الشيطانية والعلم الذي يتکفل بيان العبادة الظاهرية هو الفقه والعلم الذي يشرح العبادات الباطنية، هو علم السر، أو علم الاخلاق والعرفان ولتفسير وشرح هذين العبارتين فقد ألفت أفضل الكتب الفقهية والعرفانية والاخلاقية، بأيدي اكبر الفقهاء والعرفاء وأصحاب الاخلاق وأثبتوا في تلك الكتب وفق الآيات الكريمة والروايات الشريفة أن التحلی بالعبدتين معاً

من الواجبات الالهية الاصلية وتم مساءلة كل الرجال والنساء يوم القيمة عن العبادتين كلتيهما.

هنا يلزم الاشارة الى قسم من آيات الفصلين، كي تتضح أكثر مما مضى أهمية و قيمة هاتين المسألتين.

#### العبادات الظاهرة:

أما الآيات الكريمة التي تبين العبادات الظاهرة، فهي عبارة عن:

﴿اقِمُ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>١</sup>.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَةَ وَأَفْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَنَا﴾<sup>٢</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ﴾<sup>٣</sup>.

﴿وَوَدَرُوا ظَاهِرَ الْأَئِمَّةِ وَبَاطِنَهُمْ﴾<sup>٤</sup>.

#### العبادات الباطنية:

الآيات الالهية التي توجب العبادات الباطنية، هي عبارة عن:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>٥</sup>.

١- لقمان ٣١:١٧.

٢- المزمل ٧٣:٢٠.

٣- البقرة ٢:١٥٣.

٤- الانعام ٦:١٢٠.

٥- النور ٢٤:٣١.

﴿بِإِيمَانِهِمْ أَمْنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَنْتُمُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>١</sup>.

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>٢</sup>.

في هذه الآيات وكثير من نظائرها في القرآن الكريم، تعتبر العبادات الظاهرة والباطنية سبيل النمو والكمال وصراط الحق المستقيم، ووصلة الإنسان إلى الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.

نعم، ان النفس تترفع من خلال العبادتين كليهما وتتجدد من التلونات والأحوال الشيطانية، وحينئذ يتجلّى في الباطن نور الحب والعشق والمعرفة بحضور الحق ويجعل من وجود الإنسان، عاشقاً لا يقر له قرار ومتعلّق القلب ولهان لا علاج لوجعه سوى الوصول إلى مقام الوصال ونيل محل القرب وليس أي دواء آخر.

يقول في هذا المجال، المولى أحمد التراقي، ذلك العاشق المجدوب:

بشرى يا قلب سأنصب خيمة خارج العالم.

سأنصب خيمة فوق سبع سماوات.

سأحل حيث ارفع من الكون والمكان.

على اللامكان، خمس مرات.

سأصنع عشاء على غصن القدس.

١- آل عمران: ٣٠: ٢٠٠

٢- الحج: ٢٢: ٧٧

سأناذى بصغريري القدسين.

سامد يد الهمة الى وجه الكون والمكان.

بالغيرة على رأس النفس والعالم.

سأقطع الود طرأً من هؤلاء اللاحتونين.

سامسك بثوب الحبيب الودود.

### و صفة الشفاء:

الأمراض الروحية والمعنوية والرذائل والتلوثات النفسانية، وكالامراض البدنية، يمكن معالجتها، وسبيل الشفاء مفتوح أمام كل من أصيب بالغفلة وخفة النفس واللاطهارة الباطنية.

يستفاد من الآيات القرآنية الكريمة أن للشفاء ثلث مراحل:

١- الشفاء العام

٢- الشفاء الخاص

٣- الشفاء الخاص الخاص

أما الشفاء العام: يتعلق بالأمراض الظاهرة وقد جعل الله الودود تحقق ذلك من خلال المواد الغذائية والأدوية، يقول بشأن النحل وهي صانعة أحد أفضل المواد الغذائية والأدوية:

**﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ﴾.**

أما الشفاء الخاص: يتعلق بالأمراض النفسية والروحية وقد جعل حضرة الحق تحقق ذلك في معرفة القرآن والعمل بآياته:

﴿وَنَزَّلْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>١</sup>.

أما شفاء خاص الخاص: فيتعلق بأوليائه الخاصين الراغبين بكل وجودهم في نيل مقام قربه، ولا توجد في عمق باطنهم وسر وجودهم أي شائبة مادية ولو بمقدار خردل وهذه الشائبة وإن لم تعتبرها نحن مرضًا فإنهم يعدونها مرضًا وهكذا شفاء ليس له سوى حضرة الحبيب ذاته، التفتوا إلى قول إبراهيم عليه السلام:

الوارد في القرآن الكريم:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>٢</sup>.

الحاصل: شفاء كل أحد بمقدار ألمه وقابليته، وعلى كل صاحب ألم أن يبادر إلى معالجة نفسه ويستفيد من شفاء مرضه من رحمة حضرة الحبيب.

شفاء المذنبين هو في التوبة والتجلّي بالإيمان والعمل الصالح وأخذ نصيبهم من رحمته تعالى.

شفاء المطهعين بتنفيذ الأوامر والأقبال على العبادات الظاهرة والباطنية وخدمة خلق الحق تعالى.

شفاء العارفين بزيادة القرابة وطريق السلوك والحركة في درب العشق والحب.

شفاء الواجبين في الوصول إلى مقام الكشف وثم التوجه نحو منزل الشهد

١- الاسراء:١٧

٢- الشعراء:٢٦

والتواجه مع المحبوب ولقاء حضرته بعين القلب.  
شفاء العاشقين والمحبين هو في الوصول إلى لذة المناجاة والانس بحضوره  
المحظوظ.

### كلام لصدر المتألهين في تزكية النفس:

إن فلسفه الإسلام الكبير فضيلة المولى صدرا قد أمضى عمراً في الرياضة  
والسلوك والسفر في درب العشق للحق ومنازل العرفان، يوضح استناداً إلى آيات  
الكتاب الكريم والروايات الشريفة، سبيلاً لمجاهدة النفس، كالتالي:

١- تهذيب الظاهر وطريقه هو استعمال التواميس والقوانين الالهية من القيام  
والصيام وباقى العبادات الحقة.

٢- تهذيب الباطن من المھلكات الرديئة والأخلاق الدنيا، حيث الرياضة في  
هذه المرحلة هو تنقية لصفحة النفس لرسم النقوش الملكوتية وتحليتها بالصفات  
الحميدة.

٣- التحلی بالصور القدسية لاقامة المحامد الالهية والصفات الحسنة.

٤- تجاوز الذات والماضي نحو واد الفنا، وبعبارة اوضح الغفلة التامة عن  
النفس والتوجه الكامل التام إلى الحبيب وشغل كل اللحظات بالذكر القلبي  
والعملي والأخلاقي.

نتائج هذه المنازل الاربعة: الورع، الزهد، التوكّل، التسليم، الرضا، الفناء،  
الكشف، الشهود والبقاء بالله.

لاشك أنه دون طيّ هذه المراحل لن تسلم النفس زمامها ولن تتوجه صوب  
حضره الحبيب اذ السبيل الوحيد للجم هذه النفس الصعبة، هو عقلها بقيد

المجاهدة والرياضة.

يقول العاشق العارف المرحوم النراقي:

قلت إحدى من دعائي أنا محبي الليل قال اذهب اذهب ورعاً في محل آخر.

قلت أخطو في درب عشقك قال أخط لـ لكن برأسك.

قلت أريد نظرة الى وجهك الجميل قال اذهب غض طرفك عن العالمين كليهما.

قلت قلبي، قال اطلب سبيلنا قلت رأسي، قال انظر الى....

قلت ماذا أفعل لكي أجده الطريق الى مطلع زفافك قال اذهب إقلب بيتك وجهها لظهور.

قلت سائئن من الغم قال اجتنب لست اشكو الظلم قال احذر.

قلت ان لـ «صفائي» رغبة في وصالك قال أخرج من رأسك التشهي بلاطائل.

المسائل الملكوتية في محور النفس:

بالطبع أن استعراض المطالب العامة جداً الواردة بشأن النفس في الآيات والروايات والكتب الأخلاقية والعرفانية، لا تستوعبه هذه الرسالة المختصرة، إنما نكتفي هنا بذكر نموذج من تلك الآثار.

يقول النبي الاسلام المكرم الرسول العظيم القدر ﷺ وهو من قد تجاوز كل المقامات الملكوتية والمنازل العرفانية ومراحل السلوك:

طوبى لمن كان عقله اميراً ونفسه اسيراً، وويل لمن انعكس. أولئك الذين في سبيل تزكية النفس من خلال الرياضة والمجاهدة، يبلغون المقامات الرفيعة الانسانية والمراتب الالهية المتعالية وعرش المعنوية والروحانية، هم للآخرين كصحاب رحمة ومطر مرحمة، تسبب في اول فصل الربع أن تتبع كل النباتات. التفتوا في هذا الخصوص الى الجمل التورانية أدناه التي وصلتنا من

الرحمة للعالمين محمد ﷺ:

«إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادًا أَمْجَادًا مَحَلُّهُمْ كَمَحَلِّ الْمَطَرِ إِنْ وَقَعَ عَلَى  
الْبَرِّ أَخْرَجَ الْبَرَّ وَإِنْ وَقَعَ عَلَى الْبَحْرِ أَخْرَجَ الدُّرَّ».

هؤلاء اذا ما القوا بظلال التربية على اهل الجسم فستظهر منهم الطاعة والخيرات والبرات والحسنات واذا ما مطروا على أهل القلوب فستظهر منهم درر المعرفة ومقام الكشف والشهود.

يقول رسول الاسلام الاعظم ﷺ سيد الكائنات ذلك وروح الموجودات وسر الحقائق في كلام نوراني وسري سبحانی ما مضمونه: قال الله الرحيم بشأن الذين يرفضون التلوثات والقدرات ويسعون نحو ذلك الحاكم الدائم بتحلية أنفسهم بمحامد الاخلاق والحسنات الالهية وعبارات الظاهر والباطن:

«مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِذِرَاعٍ، وَمَنْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ بِذِرَاعٍ  
تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِبَيْاعٍ وَمَنْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ مَا شَيْأْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ هَرْوَلَةً».

هكذا أناس وكأجرة على ما يتحملونه من مصاعب في سبيل الرياضة والمجاهدة لأجل تربية النفس، يجلسون على مائدة لا سبيل لها في كل عالم الخلقة، يقول الرسول الأكرم ﷺ معلم الأخلاق ومدير الأمور ومرجع الجن والأنس والمتوفر على مرتبة قاب قوسين أو أدنى، يقول في هذا المخصوص: «إِنَّ لِلَّهِ مَا نِدَاءٌ... مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذْنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى

قُلْبٍ بَشَرٍ»<sup>١</sup>.

يخاطب النبي ﷺ أهل القلب:

«اَعْلَمُوا اِخْوَانِي فِي التَّقْوَى وَأَعْوَانِي عَلَى الْهُدَى وَفَقَنَ اللَّهُ وِإِيَّاكُمْ لِلتَّرَقَى مِنْ حَضِيبِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى ذِرْوَةِ الْعُبُودِيَّةِ وَرَزَقَنَا وِإِيَّاكُمْ التَّخَلَّى عَنْ صِفَاتِ النَّاسُوَيَّةِ وَالْتَّجَلَّى بِصِفَاتِ الْاَلْهَوَيَّةِ».

قال عارف مدهوش وعاشق لا يقر له قرار: فرعت باب الحق تعالى بكل الأيدي لم تفتح إلا بيد الحاجة، طلبت بكل الالسنة اذناً للدخول لم يسمح لي إلا بلسان الحزن، ذهبت بكل الأقدام، لم أصل إلا بقدم القلب حيث وصلت إلى منزل القرب.

قال رجل الهي: جئت منتصف ليلة إلى جنابه الانور ورحاب قدسه وقلت له: كيف الوصول إليك؟

كأني سمعت بأذن روحي من حضرة رب العزة:  
طلق نفسك ثلاثة ثم قل الله.

١- أمالى الشيخ الصدقى: ٥٣٦، المجلس الثمانون؛ بحار الأنوار؛ ٢٨/٩٤، باب ٥٥، حديث ١.

إذ بتطليق النفس ثلاثةً تيسر السبيل لمقام الوصال والقرب.

### سبيل نمو وكمال النفس:

ما يستفاد من اقوال وارشادات هؤلاء المرشدين، انه لاجل الوصول الى المقامات الملكوتية والخلاص من الغرائز المستصبة والميول الشيطانية، يجب الهرب من عوامل الخطر والاسباب المؤدية الى اثارة الحالات الحيوانية ومحافظة الذات وبكل الوجود من تلك الاسباب والعوامل ولا سهل غير هذا للوصول الى حضرة الحبيب وتلك الاسباب والعوامل تتحقق في ثلاثة محاور:

- ١- الابتعاد عن مساحة نفوذ العدو وتلك عبارة عن هوی النفس والاصدقاء شيطاني الصفات والغفلة والجهل.

رسول الله ﷺ يقول حول نور العقل الذي تجلى حين الايمان والعمل الصالح وظلمة الجهل المسيبة عن البعد عن الحق:

«لَوْ صُورَ الْعَقْلُ لِأَظْلَمَ الشَّمْسَ فِي شَعَاعِ نُورِهِ، وَلَوْ صُورَ الْحِمَاقةُ لِأَضَاءَ اللَّيلَ كَالشَّمْسِ فِي مُقَابَلَةِ ظَلَامِهِ!»

إن لم يتبع الإنسان عن حريم نفوذ العدو فسيؤدي ختاماً الى تكذيب آيات الحق.

فقد أوردوا بشأن عبدالمالك بن مروان أنه أمر لدى الموت أن يحمل سريره إلى غرفة في أعلى البناء، نظر حوله وقال: الهي! إني آسف من ماضيي كله، أود أن أتوب لكن بما أني لا أحبك، فلا أتوب، هكذا تكلم ظالماً وهو في قعر نار جهنم.

---

١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٢٠، مع اختلاف يسير.

٢- يجب الهرب من العجاذبات الخاطئة للدنيا، الدنيا التي تبعد الانسان عن الحق والحقيقة، الدنيا التي لا تسجم مع الحلال والحرام وتورث فساد الاخلاق ولن تنتج سوى العجب والغرور والرياء والكبر والأنانية.

٣- يجب الهرب من حلقة الافات، آفات مثل: الأمان من مكر الله، حب الشهوة التي في غير محلها، حب الرئاسة، حب المال، حب العجاه، التي كل منها مهلك للروح وقاتل للقلب اذ كلما لم تكن حب الاشياء والامور منسجماً مع البرامج الالهية، فستؤدي بالانسان الى شتى المعاصي والذنوب وتغلق بوجه الانسان أبواب رحمة الحق تعالى.

يا حسرة أنّ في الدنيا التي محلّ الحيرة لانخفاض مؤونتنا، فنقش الجدار، نحن.

أنت يا مركز الفيض، أمدداًنا اذ حيارى كالفرجال، نحن.  
في المحشر حيث تطالعون بالاعمال الحسنة صفر الأيدي ومتآخرين عن العمل نحن.

حيث لم نصف مرآة القلب متأسفين على حال قلتنا نحن.  
بما أنّ عين قلنا في سبات الغفلة فما الجدوى لو كنا متيقظين في الليل المظلم، نحن.

شدّ الرفاق، حمل القيامة الجميع ابتغوا سبيلاً حلّ والذى لا حيلة له، نحن.  
نحن اطباء الخلق المداوون لو نظرت جيداً فالمرضى، نحن.

الذين يستسلمون امام كل طلبات النفس الخاطئة، أي تلك الطلبات التي هي خارج نطاق الحدود الالهية، يهبون في الحقيقة النفس قوة وقدرة على اتيان

الذنب ويتأدون إلى أن تتسبّب انفسهم ختاماً في هلاكهم .  
عندما تناول النفس في برنامج المعصية، قدرة كالكلب المسعور الهارب،  
فسيكون علاجها عملاً في غاية الصعوبة وتصبح أحياناً اعادتها عن الذنب كالأمر  
المحال !

الدنيا ولذائتها، الزينة والتجميل الظاهري، ليست ثمناً كي يعرض الانسان  
نفسه النافثة إلى خطر المعصية والذنب وعدم الامتثال لله ولحق حقوق عباد الله  
تعالى الحقة. يجب معرفة ان الذنب والمعصية مما ليس له أي جدوى للانسان  
ولن يكون للمذنب سوى الضرر والخسران والتخلّف ولم يتخد لنفسه غير خزي  
الدنيا وعداب الآخرة.

تمت الاشارة في مجلدات هذا الكتاب وفي مختلف المناسبات الى مسألة  
النفس و تمام حالاتها الملوكية والشيطانية، لذا نتهي هذا الموضوع بذكر أصل  
الرواية.

يقول الإمام الصادق ع عليهما السلام :

طوبى لعبد جاهد الله نفسه و هداء و من هزم جند نفسه ؟؟؟ برضا الله؛ و  
من جاوز عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والاستكانة و الخضوع على  
بساط حذمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً هنيئاً لذلك العبد الذي في  
سبيل رضا حضرة الحق يحارب النفس ورغباتها الخاطئة و يحط الجيش  
الخطير والجند النفسي مصاص الدماء ويحالفه النصر والتوفيق في سبيل  
ميل رضا حضرة الحبيب واطاعة أوامره .

«وَمَنْ جَاوَرَ عَقْلَهُ نَفْسَهُ الْأَمَارَةَ بِالسَّوْءِ بِالْجَهَدِ وَالْاسْتِكَانَةِ وَالْخُضُوعِ عَلَى  
بَسَاطِ خِدْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا».

وَلَا حِجَابَ أَظْلَمَ وَأَوْحَشَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنَ النَّفْسِ وَالْهَوَى وَلَيْسَ  
لِقْتَلِهِمَا وَقْطَعِهِمَا سِلَاحٌ وَاللَّهُ مِثْلُ الْأَفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ  
وَالْجُوعِ وَالظُّمَاءِ بِالنَّهَارِ وَالسَّهَرِ بِاللَّيلِ، فَإِنْ ماتَ صَاحِبُهُ ماتَ شَهِيدًا، وَإِنْ  
عَاشَ وَاسْتَقَامَ أَدْى عَاقِبَتَهُ إِلَى الرَّضْوَانِ الْأَكْبَرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ  
جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ».

### العقل والنفس:

دون شك ان الذي تتسلط قدرة عقله على نفسه وطلباتها الخاطئة اثر الرياضة  
والمجاهدة والاستقامة والصبر والخضوع امام حريم الحق، فهو مفلح لا محالة.  
ليس بين الحق والعبد من حجاب اشد حلقة وأكثر ايحاشاً من النفس  
والهوى.

في ميدان مكافحة ومقابلة هوى النفس ليس ثمة سلاح أكثر تأثيراً وأقطع من  
عرض الفقر وال الحاجة والعبودية تجاه حضرة الحق ولا عمل أفضل من الخضوع

أمام جلال حضرة الحبيب والصيام نهاراً والقيام ليلاً.

اذا ما قتل شخص في ميدان هذه المحاربة والمجاهدة فهو من الشهداء يوم المحشر، ولو بقي حياً واستقام في هذا الطريق فختام حياته الرضوان الاكبر.

جاء في القرآن المجيد:

**﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**.

«وَإِذَا رَأَيْتَ مُجْتَهِدًا أَبْلَغَ مِنْكَ فِي الْاجْتِهادِ فَوَبِخْ نَفْسَكَ وَلِمْهَا وَعَيْرِهَا تَحْثِيًّا عَلَى الْأَزْدِيَادِ عَلَيْهِ وَاجْعَلْ لَهَا زِمامًا مِنَ الْأَمْرِ وَعِنَانًا مِنَ النَّهْيِ، وَسُقْهَا كَالرَّائِضِ لِلْفَارِهِ الَّذِي لَا يَذْهَبُ عَلَيْهِ خُطْوَةً مِنْ خُطُواتِهَا إِلَّا وَقَدْ صَحَّحَ أَوْلَاهَا وَآخِرَهَا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلهُ: يُصَلِّي حَتَّى يَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ وَيَقُولُ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ أَرَادَ بِهِ أَنْ تَعْتَبِرَ بِهَا أُمَّتُهُ وَلَا يَغْفِلُوا عَنِ الْاجْتِهادِ وَالْتَّعْبُدِ وَالرِّيَاضَةِ بِحَالٍ. إِلَّا وَإِنَّكَ لَوْ وَجَدْتَ حَلاوةَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَأَيْتَ بَرَكَاتِهَا وَاسْتَضَاتَ بِنُورِهَا لَمْ تَصِيرْ عَنْهَا سَاعَةً وَاحِدَةً وَلَوْ قُطِعْتَ ارْبَا إِرْبًا، فَمَا أَغْرَضَ مَنْ أَغْرَضَ عَنْهَا إِلَّا بِحِرْمَانِ فَوَائِدِ السَّلَفِ مِنَ الْعِصْمَةِ وَالْتَّوْفِيقِ. قَيلَ لِرَبِيعِ بْنِ خَثْبَيْ: مَا لَكَ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ؟ قَالَ: لِأَنِّي أَخَافُ الْبَيَاتَ»

## لوم النفس:

اذا رأيت شخصاً اعلى منك في مقام اداء الواجب وانجاز التكاليف سعياً واجتهاداً، فقرع بنفسك ولهمها وعاتبها، كي تتهيأ اكثر للرياضة والمجاهدة وترغب اكثر فأكثر في الخير والعبادة وحارب الهوى وضع على نفسك زماماً من الاوامر الالهية، كي تتقدم عبر ذلك في الامور المعنوية والجمها بنواهي حضرة

الحبيب كي تكف عن التعدي والمخالفة والتمرد والمعصية، سير نفسك وهي كمركب للحياة . وكأنك استاذ ماهر محنك لاتخطو خطوة وتضع رجلاً ما لم يتم تصحيح أولها وآخرها.

كان رسول الله ﷺ يتبعد بحيث تورم قدماه، ثم يقول:  
أفلأكون عبداً شكوراً؟

كان مراد حضرته ﷺ أن تتيقظ امته واتباعه ولا يغفلوا أو يتسامحوا أدنى شيء في المجاهدة والرياضة والسعى في الامور العبادية وتنقية النفس ويراقبوا أفسهم في كل الاحوال.

ينبغي أيضاً ملاحظة أن من أدرك حلاوة ولذة مناجاة حضرة قاضي الحاجات وأستفاد من أنوار وبركات ذلك فلن يقصر أو يفتر أبداً في هذا المجال ولن يرضى في وقت مابترك ذلك والإعراض عنه، حتى لو قطع في هذا السبيل إرباً، اذن لن يكتف الشخص عن المجاهدة والعبادة والرياضة ومحاربة هوى النفس، الا من كان محروماً من الفوائد والآثار والأنوار، جاهلاً بالخصائص الرفيعة لحياة الماضين.

كان جمع من القدماء عارفين بكثير من هذه الحقائق وكانوا اثر التوفيقات الالهية وحفظ وحراسة الدين، يراقبون دوماً جاهدين في هذا المسار.  
قبل لربيع بن خثيم، لم لا راحة ولا نوم لك في الليل؟ قال: أخشى أن يبتني العدو ليلاً ويقهري.

الباب

(٨١)

في الفساد



قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَسَادُ الظَّاهِرِ مِنْ فَسَادِ الْبَاطِنِ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهَ عَلَيْنَاهُ،  
وَمَنْ خَانَ اللَّهَ فِي السَّرِّ هَنَكَ اللَّهُ عَلَانِيَّتُهُ.  
وَأَعْظَمُ الْفَسَادِ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدَ بِالْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، هَذَا الْفَسَادُ يَتَوَكَّلُ  
مِنْ طُولِ الْأَمْلِ وَالْجُرْصِ وَالْكِبْرِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ قَارُونَ فِي  
قَوْلِهِ:

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، وَكَانَتْ  
هَذِهِ الْخِصَالُ مِنْ صُنْعِ قَارُونَ وَاعْتِقادِهِ، وَأَصْلَهَا مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِها  
وَمَتَابِعَةِ النَّفْسِ وَهَوَاهَا وَإِقَامَةِ شَهْوَاتِهَا وَحُبِّ الْمَحْمَدةِ وَمُوافَقَةِ الشَّيْطَانِ  
وَاتِّبَاعِ خُطُواتِهِ. وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْتَمِعُ بِحَسْبِ الْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَنِسْيَانِ مِنْهُ.  
وَعَلَاجُ ذَلِكَ الْفِرَارُ مِنَ النَّاسِ وَرَفْضُ الدُّنْيَا وَطَلاقُ الرَّاحَةِ وَالْأَنْقِطَاعُ  
عَنِ الْعَادَاتِ وَقَطْعُ عُرُوقِ مَنَابِتِ الشَّهَوَاتِ بِدَوَامِ ذِكْرِ اللَّهِ وَلِزُومِ الطَّاعَةِ لَهُ  
وَاحْتِمَالِ جَفَاءِ الْخُلُقِ وَمَلَامَةِ الْقُرْبَى وَسَمَاتِ الْعَدُوِّ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ  
وَالْقَرَابَةِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحْتَ عَلَيْكَ بَابَ عَطْفِ اللَّهِ وَحُسْنِ نَظَرِهِ  
إِلَيْكَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَخَرَجْتَ مِنْ جُمْلَةِ الْغَافِلِينَ وَفَكَكْتَ نَلْبِكَ مِنْ  
أَسْرِ الشَّيْطَانِ وَقَدِيمْتَ بَابَ اللَّهِ فِي مَعْشَرِ الْوَارِدِينَ إِلَيْهِ وَسَلَكْتَ مَسْلِكًا  
رَجُوتَ الْأَذْنَ بِالدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ الرَّحِيمِ وَاسْتِبْطَاءَ بِسَاطِهِ  
عَلَى شَرْطِ الْأَذْنِ وَمَنْ وَطَئَ بِسَاطَ الْمَلِكِ عَلَى شَرْطِ الْأَذْنِ لَا يُحْرِمُ  
سَلَامَتَهُ وَكَرَامَتَهُ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الْكَرِيمُ وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

«فَسَادُ الظَّاهِرِ مِنْ فَسَادِ الْبَاطِنِ، وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَيْتَهُ، وَمَنْ خَانَ اللَّهَ فِي السُّرُّ هَنَكَ اللَّهُ عَلَيْتَهُ».   
وَأَعْظَمُ الْفَسَادِ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ بِالْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى»

### فساد الظاهر والباطن:

في هذا الفصل، يشير محضر قدس الامام، الناطق بالحق جعفر الصادق عليه السلام إلى مسألة الفساد الخطرة وأسبابها وسبيل علاج هذا الألم الذي يكون من مداعي الحسرات.

يلفت في هذه الرواية إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن: فساد الظاهر، أي فساد العين والأذن واليد والرجل والبطن والشهوة، فساد الفكر واللسان وفساد الأخلاق والعمل، على علاقة بفساد الباطن. القلب هو مركز الأسرار ومحل الأنوار ومرآة عكس اسماء وصفات الحق تعالى والمخرج لكل كيان وهوية الإنسان حينما تصاب بالغفلة وتصد عن حضرة ذي الجلال ولا يبذل الإنسان الاهتمام بتربيتها وتصفيتها ولم يبق له سوى الحركة المادية الظاهرة وينحصر أداؤها في عمل قلب الحيوانات، فطبعي ان صاحبه سيصاب بالفساد في كل شؤونه وجميع اموره.

تقوى القلب، التوجه الى الحق، الاعتقاد الصحيح، حرقة القلب، الرحمة والمرحمة، الحب واللطف، العشق لحضره الحبيب والأنبياء والائمه، الارتباط المعنوي بالقرآن الكريم، كل هذه حقائق تؤدي الى ظهور الخبرات والمبرات والأخلاق الحسنة والاعمال لدى الانسان.

إن كان تحرك القلب، تحركاً الهياً وكان النشاط المعنوي للقلب نشاطاً انسانياً، فستكون كل اعضاء كيان الانسان تبعاً للقلب ذات حركة ايجابية ونشاط صحيح.

والشطر ذو المغزى «كل إماء بالذى فيه ينصح» والمثل الذي ملؤه معنى «كلُّ أحد يشرب ماء قلبه» يدلل ذات الحقيقة التي تم بيانها في أول الرواية. لأجل تحلية الباطن وتنقية السر، ليس من سبيل سوى اكتساب المعرفة من خلال المعارف الالهية التي تتجلى في القرآن المجيد وروايات أهل البيت ع.

التدقيق في الحقائق والتتبّع الى المعارف يؤدي الى تزكية النفس ونورانية القلب ونتيجة ذلك هو سبب تداعي وظهور الاعمال الصالحة والأخلاق الحسنة.

أي مشغلة لك في هذا القلب أي أصنام تنشقها في هذا القلب.  
حلَّ الربيع حان وقت الزرع من يعلم ماذا تزرع في هذا القلب.  
إنْ عقدت حجاب العزة من خارج فأنت واضح للغاية داخل قلبك.  
غاصت في الماء والوحل قدم الطالب يحك رأسه بهذا القلب.

إن لم يكن القلب أكبر من الأفلاك لم تقبل الدهر في هذا القلب.

إن لم يكن القلب مدينة عظمى لم تتولَّ في هذا القلب.

أي مرعى ذي عجائب بدا من الروح وأنت صاحب الصيد بهذا القلب.

ترتفع آلاف الأمواج ببحر القلب إن جئت بالجواهر في هذا القلب.

صَمَتْ إذ لاتنهض بذلك الفكرة إذا أحصيت وصف القلب في هذا القلب.

هذا الفساد يَتَوَلَّدُ مِنْ طُولِ الْأَمْلِ وَالْجُرْحِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي  
قِصَّةِ قَارُونَ فِي قَوْلِهِ:  
﴿وَلَا تَنْجُو الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>١</sup>، وَكَانَتْ  
هَذِهِ الْخِصَالُ مِنْ صُنْعِ قَارُونَ وَاعْتِقَادُهُ

### منشأ الفساد:

يعتبر الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في نص الرواية أن منشأ الفساد هو ثلاثة أشياء: سواء الفساد في الفكر، أو الفساد في الأخلاق، أو الفساد في العمل:

١- الآمال البعيدة.

٢- المرض

٣- الكبر

كما يخبر في القرآن الكريم عن قصة قارون الذي أصيب بالرذائل الأخلاقية وابتلي بكل فساد ثم وصى الجميع أن لا يتبعوا الباطل والظلم والتكبر والفساد، ولا تسعوا نحو ذلك فان الله تعالى لا يحب المفسدين. فهو منشأ كل ما كان مجتمعًا في قارون من صفات وأدى به إلى عاقبةسوء الغناء.

نعم، حينما يكون الإنسان مصاباً بالأمنيات العجيبة الغريبة والأمال والميل المتطاولة والمتباعدة ويرى أنّ ليس من سبيل حق لنبيل الآمال هذه ولا يستطيع أيضاً حرف قلبه عن آماله سيخطو في درب الفساد والافساد وصولاً إلى تمنياته، دون خشية من شيء في سفره ورحلته هذه، فسيصل الباطل والمسيرة الشيطانية غير مكترث بالتعدي على أي حق حتى حق حياة الآخرين.

هكذا إنسان سيعاني الحرص تلقائياً تجاه كل الأمور المادية والشؤون الدنيوية سواء المال والشهوة والمنصب ولن يصدّه شيء وسترده الحالة الشيطانية هذه إلى كل عمل فذر و فعل دني.

لاشك أنّ الإنسان الذي يعاني من آمال متطاولة متباعدة وقد تلوّث بصفة الحرص، سيمتّع من تقبّل الحق ويتكبر أمام الحقيقة ويُثقل عليه جداً التحلّي بالحقائق. الكبر والتّكبير يعني ظهور الفساد بشتى أنواعه، إلى حيث قد عدّ نبي الإسلام عليه السلام كبير الكبائر الكبر من أصول الكفر.

«وَأَصْلُهَا مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَمَتَابِعَةِ النَّفْسِ وَهَوَاهَا وَإِقَامَةِ شَهْوَاتِهَا  
وَحُبِّ الْمُحَمَّدَةِ وَمَوْافِقَةِ الشَّيْطَانِ وَاتِّبَاعِ خُطُواتِهِ. وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْتَمِعُ  
بِحَسْبِ الْفَقْلَةِ عَنِ اللَّهِ وَنِسْيَانِ مِنْهُ».»

### الفقلة عن الله:

يقول الإمام علي عليه السلام في تتمة الرواية:

جذر هذه الخصال والآوصاف هي في خمسة أشياء:

- ١ - حب الدنيا وجمع الجمال والزينة وأمثال ذلك.
- ٢ - اتباع هوى النفس والرغبات الخاطئة.
- ٣ - حب اتيان الشهوات واللذائذ.
- ٤ - الرغبة في مدح الناس وتمجيدهم.
- ٥ - الموافقة للشيطان ومنابعة خطواته.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

تتجذر كل هذه الصفات الرذيلة والخصال الذميمة في مرض الفقلة الخطير.  
حين لا يرى الإنسان نفسه في محضر الحق ولا يلحظ كل اموره مغفلًا جهود  
الأئمة والأولياء والآئمدة عليهما السلام و المعارف الكتب السماوية وغافلًا عن التفكير في

العاقبة. بالطبع يصاب بهذه الرذائل والتلوثات وثم بعد ابتلائه بهذه الرذائل يقدم على كل فساد ويتعثر نظام حياته الفطري والديني هو والآخرين ويؤدي به الأمر كما يقول تعالى إلى ما يلي:

- ١- الفساد في الأرض بعد ما صلحت بجهود أهل الله.
- ٢- قطع ما أمر الله به أن يوصل.
- ٣- أهلاك النسل.
- ٤- اعدام الزرع.
- ٥- الاستعلاء.
- ٦- التفريق بين الناس وزعزعة وحدة المجتمع.
- ٧- قتل الناس واهلاك النفوس المحترمة.
- ٨- اشاعة الذنب والمعصية بين الناس.

حقاً، كم هي الغفلة خطيرة وكم عدم الالتفات إلى الحق تعالى يكون طريق خاسر وكم علاج هذا الداء هو مربיע وهو العمل النافع لمفتاح التجاة وسبب لخير الدنيا والآخرة ومدعاة لسعادة وفلاح هذا العالم وعالم الآخرة.

### خطر فساد الباطن:

اختصر العالم الإسلامي الكبير محمد فطب، في كتابه القائم «جاهلية القرن العشرين» خطر فساد الباطن، في عدة جمل:

لم تدع الجاهلية الحديثة أياً من أبعاد تصور البشر دون أن تفسده، إذ كل تصورات الإنسان وعلاقته من علاقته بالخالق وحتى العلاقة بعالم الكون والحياة

والعلاقة بأبناء نوعه، أفسدت كل ذلك وأبدلتها إلى سلسلة انحرافات: الانحراف الاصلي والأساسي في تصور الحقيقة الإلهية وعلاقة الإنسان بالله. الانحراف في تصور عالم الكون وعلاقته بالله وعلاقة الإنسان بالعالم وعلاقة العالم بالانسان.

الانحراف في تصور الحياة وترتبطها واهدافها. الانحراف في تصور النفس البشرية وعلاقات الإنسان بالانسان والفرد بالمجتمع والزوجين ببعضهما وباختصار الانحراف في كل أبعاد وشئون الحياة. الفساد، نار خطرة ومحرقه اذا التهبت، فستحرق الاخضر واليابس وتذهب بالأمن والاستقرار وتجعل سلامه الجميع الباطنية والظاهرية في معرض الخطر والفناء.

تقدير نعمة ودور وبركة الانبياء والائمه عليهم السلام والآولىء وشكر نعمة كالقرآن المجيد وحقائق مثل جهود الصالحين وشهادة الشهداء وحكمة الحكماء وصدق الصديقين وتعاليم المعلمين وعرفان العرفاء بأن نجنب جميعاً أنفسنا وبكل كياننا من أي فساد.

الفساد، يمنع وصول الإنسان الى الذات الحقيقية، الفساد أفضل مصيدة للشيطان ليصطاد الإنسان، الفساد يلهب حصيلة العبودية بشعلته المحرقة ويورط الإنسان الى ان يحيط كل محاسنه وأعماله الصالحة.

الفساد، يحدث أشد المشاكل في علاقات الناس بعضهم ويفرق المجتمع، محدثاً، الكراهية، العداوة، الحقد، سوء الظن و يقضي على منابع السعاده و الفرح و يدفع بالأمة و البلاد الى حافة الفناء و يتسبب في ادوات هلاك وسوء

مصيربني آدم ويعطل جهود كل اطهار العالم.

كم هو جميل نغير أنفسنا جميعاً إلى منع الخير والكرامة في ضوء المعارف الالهية و يصبح كل منافي المجتمع انساناً يحل المشاكل و طبيباً شافياً، حالاً للعقد عاشقاً، اذ لا جدوى للنرم بعد الفساد ولا نهاية لغم يوم الفقر والفاقة.

### رأي الملا صدرا في صلاح وفساد الإنسان

يقول هذا الحكيم الكبير في كتاب «مفاتيح الغيب» القيم:

يمتاز الانسان من بين كل الكائنات بميزة وهو قدرته على السير في مختلف الحالات وتشكله بأنحاء متفاوتة وقبوله التصور بجميع الصور والمواصفات؛ خلافاً لباقي الكائنات إذ هي محدودة ومؤطرة كل في مقدار وحدة معين ومرتبة ومقام خاص وكل من يلاحظ احوال الانسان من أولى مراحل تكوينه، الى حيث للناس من مقام، يجد أنه كانت له انتقالات وتحولات كثيرة.

أولاً فقد مضت عليه مدة لم يكن شيئاً مذكوراً وهي أحاط الحالات وأنزل المراتب، اذ ليس ادنى من العدم وهذه مرتبة هيولانيه حيث كان قوة خالصة والعطاء المحض، ثم تقدم قليلاً عن هذا المقام وأول صورة تلبس بها وغطت عراءه، الصورة المقدارية ثم الصورة العنصرية، ثم الصورة الجمادية وهي الصورة المنوية والنطفوية والتي هي أحاط خلق الله من حيث الضعف ثم تترقى نحو الباتية وبعدها الحيوانية، اشار الله الى ذلك في آيات متعددة، قائلاً بأنه: جعلناه سميعاً، بصيراً، وذلك أول ما يحصل بالولادة الجسمانية وأول مقامات النفس وبمنزلة الهيولي التي هي اولى مقامات الجسم وهو أيضاً لا يعرف كسائر الحيوانات غير الاكل والشرب والتوم، ثم يترقى بعد ذلك، فيظهر فيه الصفات

الآخرى للنفس، واحدة تلو الأخرى، كالشهوة والغضب والطمع والبخل والاحتيال والغش والخداع والجور وغير ذلك من هذه الصفات مما هو نتيجة الستر والحجاب والبعد عن العوالم الالهية وهو في هذا المقام حيوان بكل الوجود، ويصدر ويظهر عنه شتى الاعمال وفق مختلف الرغبات الداخلية والافكار والمقاصد، لذا فهو غريق في بحر الظلمات واسير بأيدي الهولى والشهوة تسحبه الشهوة جنباً ويزلّه الشيطان حيناً آخر، اذ هو في مقبرة الجهل والغفلة وعن عالم الوحدة في سبات الغفلة.

لكن لو شمله اشراق من أنوار الرحمة الالهية، و يصحو من نومة الجهالة وينأى بنفسه عن رؤيا الطبيعة ويقف على سر أن في وراء هذه المحسوسات عالماً آخر وان ثمة لذات أخرى افضل من المشتهيات الحيوانية.

حيثئذٍ ينصرف عن مزاولة التافهات من الامور، ويرجع الى الله متضرعاً لأجل الخلاص من منهيات الشرع هذه.

عندئذٍ يبتدىء التدبر والتفكير في الآيات الالهية واستماع نصائحه ومواعظه، متفكراً في احاديث الرسول ﷺ، عاماً طبق شريعته، بادئاً بترك الزوائد الدنيوية من جاه ومال وباقى الأشياء وتقوى ارادته لتحصيل الكمالات الاخروية بحيث لو شملته العناية الالهية لجانب كل المسائل الشيطانية والشيطانيين وانقطع عن الدنيا الى الله وبالسلوك من مقام النفس والهوى يطوي المراحل ويصل الى الله. حيثئذٍ تظهر له أشعة أنوار الملائكة وتنفتح بوجهه أبواب الغيب وتتصفح له اشراقات انوار عالم القدس واحداً بعد الآخر، لذا يشاهد الامور الخفية بالصور البرزخية واذ تذوق من ذلك قليلاً يرغب في الاختلاء والتوحد والانعزال عن

الناس ويشتق إلى الذكر الالهي دائماً وباستمرار ويتجاوز القلب عن الاشتغالات الحسية، ويتوجه بالنية كلها إلى الله تعالى حينئذٍ تفيس عليه العلوم اللدنية والاسرار الالهية وتظهر له الانوار المعنوية، أحياناً وتعقب، إلى أن يتجاوز مرتبة التلوين ويستحكم في مرتبة التكوين وتنزل عليه السكينة والاستقرار الروحي فيدخل عوالم الجبروت ويشاهد العقول المفارقة ويتحقق ويستقر بأنوار تلك العقول، ويستضيء ويستنير بباطن تلك العقول وتظهر له في هذا الحال سلطنة الاحدية وتشرق عليه أنوار العظمة والكبرياء الالهية وينفلق جبل إنيته وأنانيته وتصبح هباء متوراً. عندئذٍ يسجد أمام حضرته وذلك مقام الجمع والتوحيد. في هذا المقام ينمحى في نظره كل ما سوى الله ويسمع نداء لمن الملك؟ لله الواحد القهار وحده.

على كل حال حينما يعرض القلب عن الحق وتستر غشاوة الغفلة كل كيان القلب وهويته، يخرج المرء عن اطار قواعد الشرع وقوانين الحق في الاخلاق والعمل والسلوك والقول ويصاب بالفساد في كل أبعاد وشؤون الحياة. ويزاول كل حركاته على أساس هوى النفس وإغواءات شياطين الجن والانس ويصبح مصدر فساد من كل جانب، إذ الفساد اتيان العمل واظهار الحال خلاف البرامج الالهية وأوامر الأنبياء والائمة عليهما السلام.

«وَعَلَاجٌ ذَلِكَ الْفِرَارُ مِنَ النَّاسِ وَرَفْضُ الدُّنْيَا وَطَلاقُ الرَّاحَةِ وَالْأَنْقِطَاعُ عَنِ الْعَادَاتِ وَقَطْعُ عُرُوقِ مَنَابِتِ الشَّهَوَاتِ بِدَوَامِ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَزُومِ الطَّاعَةِ لَهُ وَاحْتِمَالُ جَفَاءِ الْخَلْقِ وَمَلَامَةِ الْقُرْبَى وَشَمَائِتَةِ الْعَدُوِّ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْقَرَابَةِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحْتَ عَلَيْكَ بَابَ عَطْفِ اللَّهِ وَحْسِنِ نَظَرِهِ إِلَيْكَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَخَرَجْتَ مِنْ جُمْلَةِ الْغَافِلِينَ وَفَكَثْتَ قَلْبَكَ مِنْ أَسْرِ الشَّيْطَانِ وَقَدِيمَتْ بَابَ اللَّهِ فِي مَعْشِرِ الْوَارِدِينَ إِلَيْهِ وَسَلَكْتَ مَسْلَكًا رَجَوْتَ الْأَذْنَ بِالدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ الرَّحِيمِ وَاسْتِطَاءَ بِسَاطِهِ عَلَى شَرْطِ الْأَذْنِ وَمَنْ وَطَئَ بِسَاطَ الْمَلِكِ عَلَى شَرْطِ الْأَذْنِ لَا يُحْرَمُ سَلَامَتَهُ وَكَرَامَتَهُ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الْكَرِيمُ وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ».

### اساليب النجاة من الفساد:

علاج جميع هذه الرذائل، يرتبط بالأمور أدناه:

- ١- الهرب من شرار الناس والانفصال عن الناس الفاقدين للتربية وشياطين الانس.
- ٢- ترك الدنيا التي تخرب الآخرة والعازلة للانسان عن الحق.
- ٣- ترك الراحة ونزعة التعافي والاستبدانية وثم التمحور على الجهد والجهاد.

- ٤ - إبعاد العادات الخاطئة، بالرياضة والمجاهدة.
  - ٥ - قلع منشأ الشهوات والميول والغرائز الشيطانية والحيوانية، من الجذر.
  - ٦ - المداومة على ذكر الله قلباً وخلقاً وعملاً.
  - ٧ - ملازمنة ومراعاة والمداومة على عبادة الحق تعالى وهي عبارة عن أداء الفرائض وترك المحرمات.
  - ٨ - تحمل تنزل مستوى عامة الناس وايذاءاتهم مما لا ينشأ سوى عن الحسد والكبير والجهل.
  - ٩ - عدم الاكتئاث بسلامة الناس والاقرباء.
  - ١٠ - إستسهال شماتة العدو والقريب.
- اذا لاحظت هذه الامور العشر وتحمّلت الحقائق الالهية هذه، فقد فتحت على نفسك بكل يقين باباً من العطوفة والشفقة الالهية وصرت منظوراً اليك بنظر رحمة الرحيم وكنت خارجياً من سلك الغافلين، وارداً في فرقة المتيقظين وخلصت قلبك من قيد الشيطان والتحقت بجمع السالكين صوب الحبيب وصرت على سبيل، ينال سالمك بكل سرعة اذن ولوح الجنة ويرخص له في الخطوة على بساط مالك الملوك وكل من خطأ على تلك البساط فاز بالسلامة من العقاب والعقاب وتحلى بالكرامة الالهية.

الباب

(٨٢)

في التقوى



قال الصادق عليه السلام:

الْتَّقْوَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُوهٍ: تَقْوَى بِاللَّهِ فِي اللَّهِ وَهُوَ تَرْكُ الْحَلَالِ فَضْلًا عَنِ الشُّبُهَةِ وَهُوَ تَقْوَى خَاصٌ الْخَاصُّ.  
وَتَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَهُوَ تَرْكُ الشُّبُهَاتِ فَضْلًا عَنِ الْحَرَامِ وَهُوَ تَقْوَى الْخَاصُّ.

وَتَقْوَى مِنْ خَوْفِ النَّارِ وَالْعِقَابِ وَهُوَ تَرْكُ الْحَرَامِ وَهُوَ تَقْوَى الْعَامِ.  
وَمِثْلُ التَّقْوَى كَمَا يَجْرِي فِي النَّهَارِ وَمِثْلُ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ الْثَّلَاثِ فِي مَعْنَى التَّقْوَى كَأَشْجَارٍ مَغْرُوسَةٍ عَلَى حَافَةِ ذَلِكَ النَّهَارِ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَجِنْسٍ، وَكُلِّ شَجَرٍ مِنْهَا يَسْتَمْصُ مِنْ ذَلِكَ النَّهَارِ عَلَى قَدَرِ جَوْهَرِهِ وَطَعْمِهِ وَلِطَافِيهِ وَكَتَافِيهِ، ثُمَّ مَنَافِعُ الْخُلُقِ مِنْ تِلْكَ الأَشْجَارِ وَالشَّمَارِ عَلَى قَدَرِهَا وَقِيمَتِهَا.

قال الله تعالى:

﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْل﴾.

فَالْتَّقْوَى لِلْطَّاعَاتِ كَالْمَاءِ لِلأَشْجَارِ وَمِثْلُ طَبَاعِ الْأَشْجَارِ وَالشَّمَارِ فِي لَوْنِهَا وَطَعْمِهَا مِثْلُ مَقَادِيرِ الْأَيْمَانِ، فَمَنْ كَانَ أَعْلَى دَرَجَةً فِي الْأَيْمَانِ وَأَصْفَى جَوْهَرًا بِالرَّوْحِ كَانَ أَتَقْنَى، وَمَنْ كَانَ أَتَقْنَى كَانَ عِبَادَتُهُ أَخْلَصَ وَأَطْهَرَ، وَمَنْ كَانَ كَذِلِكَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَفْرَبَ، وَكُلُّ عِبَادَةٍ غَيْرُ مُؤَسَّسَةٍ عَلَى التَّقْوَى فَهِيَ هَباءٌ مُّتَشَوِّرٌ. قال الله تعالى:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾<sup>١</sup>.

وَتَفْسِيرُ التَّقْوَىٰ تَرْكُ ما لَيْسَ بِأَخْذِهِ بِإِيمَانٍ حَذَرًا عَمَّا يُهْبِطُ بِهِ إِيمَانُ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ طَاعَةٌ بِلَا عِصْيَانٍ وَذَكْرٌ بِلَا نِسْيَانٍ وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلٍ، مَقْبُولٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ.

«الْتَّقْوَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُودٍ: تَقْوَى بِاللَّهِ فِي اللَّهِ وَهُوَ تَرْكُ الْحَلَالِ فَضْلًا عَنِ  
الشَّبَهَةِ وَهُوَ تَقْوَى خَاصٌّ الْخَاصُّ.

وَتَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَهُوَ تَرْكُ الشَّبَهَاتِ فَضْلًا عَنِ الْحَرَامِ وَهُوَ تَقْوَى الْخَاصُّ.  
وَتَقْوَى مِنْ خَوْفِ النَّارِ وَالْعِقَابِ وَهُوَ تَرْكُ الْحَرَامِ وَهُوَ تَقْوَى الْعَامِ».

## التقوى أو الحقيقة العليا:

في هذا الفصل النوراني، يتحدث الامام الصادق عليه السلام عن أثمن مبدأ وأجدى حقيقة وأنور مصباح ومدعاة خير الدنيا والآخرة وجذر كل السعادات وحقيقة التقوى جميع الحقائق وروح كل واقع، أي التقوى.  
التقوى على ثلاثة أنواع:

- 1- التقوى بالله في الله، أي في سبيل الله والله وبعبارة أخرى تجاوز غير الله والالتحاق بالمحبوب وفي هذه المرتبة لا يترك اهل التقوى الحال إلا بمقدار الضرورة، فضلًا عن الشبهة وهذه أعلى مراتب التقوى وتدعى تقوى خاص الخاص وهي قليلة الوجود بين الناس وهذه المرحلة من التقوى، عمل الانبياء والائمة عليهم السلام وأولياء الله المخاصين.
- 2- التقوى من الله، وهو تجاوز الشبهة بالخوف من الحرام وهذه التقوى الخاصة.

٣- التقوى المتحققة من الخوف من عذاب جهنم المؤدية الى ترك الحرام سواء للحرام المالي أو الحرام العملي وهذه التقوى العامة.

من بين المسائل التي كانت مطروحة لدى الانسان من ابتداء الحياة والى الان، لن تجد مسألة بقدر وقيمة التقوى.

التقوى وصية حضرة الحق المؤكدة والأنبياء والأئمة والعرفاء والحكماء والصلحاء والأولاء والمفكرين وذوي الاهتمام بالانسان.

التقوى حافظ الشخصية، مربى خطوط الانسانية منور روح الانسانية، معطي الاعتبار، مجلبي للهوية، مزكي للنفس عن الرذيلة، دال على الوجه الحقيق، مبرز آثار الحقيقة في الانسان.

التقوى مصباح الطريق، ضياء القلب البصير، علامة أمان الله، منجية من الهموم المنهكة ومداعاة السفر الى الله القيمة. وحرارة القلب المتأوه ومنورة الانسان من شر ظواهر الحشمة والجاه.

يستحيل دون التقوى تحصيل خير الدنيا والآخرة، بغير التقوى يكون السير الى الحبيب من أشد المشكلات، بدون التقوى لا يمكن التخلص من قيد الشيطان والدنيا والرذائل الاخلاقية.

التقوى زاد القيامة، مفتاح النجاة في الدنيا والآخرة، التقوى سبب القرب من الحق، مداعاة النمو والكمال، التقوى سبب اكتساب ماء الوجه والكرامة، من لاتقوى له لا معرفة وعلم له، من لاتقوى له لا بصيرة ونور له، من لا تقوى له لا محظوظ، من لا تقوى له فهو اسير النفس ومحكوم لها، من لا تقوى له فهو حطب جهنم، من لاتقوى له محروم من كل الف gioض الالهية، من لا

تقوى له ملعون في محضر الباري، من لا تقوى له لاسيلاً له إلى الجنة ولا تتوفر لغير المتنقي رحمة ومرحمة ولطف وشفقة حضرة الحبيب.

ما لم تكن التقوى؛ يغدو القلب أسير الشهوات ويتوقف الدماغ عن العمل ويتعطل العقل وتصبح الحياة إلى الفساد والفناء ويصل المعنوس عن الإنسان وتتوقف الحركات المعنوية ولا يبقى للإنسان سوى الأكل والشرب والشهوات، وذلك أيضاً بالظلم والمعصية.

الذى لا يكون متقياً هو غير آمن من الآفات، التقوى أحکم سور صيانة للإنسان من أخطار وشرور الدنيا والآخرة، فمن ليس لهم تقوى هم أفقر الناس وأكثر أهل العالم سواد عيش.

التقوى حالة روحية وحقيقة نفسية تحصل بتكرار ترك الذنب ومداومة الطاعة والاستقامة على الحسنات الأخلاقية.

فمحافظة الفكر عما يلوثه من أفكار وصيانة النفس عن الرذائل واجتناب والتزه عن أعمال السوء هي التقوى الإلهية.

الفرد والاسرة والمجتمع بحاجة إلى التقوى بنحو الوجوب ولا تخفي على أحد ضرورة تحقق التقوى في جميع شؤون الحياة.

عندما يتحلى الفرد بالتقوى، فلن يتسبب في مشاكل في تشكيل الأسرة ويراعي الحقوق الاقتصادية في الكسب والعمل.

عندما تتصف الأسرة بالتقوى فسيتخرج عنها أولاد صالحون وكفوؤن وستغدو مصدر لطف وبركة للمجتمع.

حينما تمازج المجتمع التقوى سينجلي مجتمع أفضل وأمة مثلى وأمة مقتدرة واسوة وقدوة لباقي المجتمعات.

حين تتحلى السلطة التشريعية بالتفوى فلن تسير في غير طريق حفظ حقوق المستضعفين والمحرومين ونمو وكمال المجتمع والناس للدنيا والآخرة. بينما تكون السلطة التنفيذية ملتزمة بالتفوى، فستنهض بكل كيانها لإقامة القانون حفاظاً لشؤون المجتمع الإنسانية.

حينما تكون السلطة القضائية متصفه بالتفوى، فلن يضيع حق أحد من أهالي البلد وستساوي امام القانون بين الأمير والرعية.

القوة العسكرية وقوات الدرك الذين يتحلون بالتفوى، سيحفظون البلد والناس والدين من خطر الأجانب والمستعمرين.

المفكرون والعلماء، والفقهاء حينما يكونون متقيين ورعاين، فستحفظ حرمة الإنسان والانسانية وسيبقى المجتمع في ظلهم مجتمعاً حكيمًا ومجتمعاً رشيداً واعياً.

و هكذا يكون الأمن والاستقرار والسلام والمحبة والوفاء والتودّد والانسجام مما سمعته من خلال القرآن والروايات كأوصاف لأهل الجنة، بالأمكان تحقيقه في هذه الدنيا وعبر التقوى الإلهية، اذ لو سادت التقوى جميع أفراد المجتمع، فلن يكون اثر للذنب والمعصية ولن يفوت شيء من الطاعة والعبادة والفضيلة، حيث ستنتهي اسطورة الاستهتار والجنون والقتل والنهب وسحق الحقوق والظلم والعدوان والذنب والمعصية، على الاقل على نطاق المجتمع الاسلامي وفي داخل حدود ما ظل لطف التقوى على رؤوس الجميع، وستعد كل شؤون حياتها درسها للحياة لامم جمیعاً وستعتبر رمز البقاء.

التفوى في الانبياء والائمة المعصومين عليهم السلام

إن أنبياء الله وائمه الهدى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع أنهم أصيروا في أول النبوة والامامة بالمصاب الشديدة والعذابات المضنية وكل طوفان مدمّر وبعد الاستقرار في البرامج تيسّر لهم كل شيء في النهاية، لكنهم لم يتأخروا لدى البلاء خطوة عن اداء المهمة ولا حين الاستقرار تلوثوا بالمكره قدر خردلة فضلاً عن الحرام، تحلى أولئك العظماء بالتقوى الالهي بعدها التام واودعوا اهل العالم من تقوتهم الشديدة العظيمة الى صبح القيامة أجلى وأفضل الدروس واتموا بذلك الحجة الالهية على جميع أناس التاريخ.

انتبهوا في هذا الخصوص الى رواية هامة اوردها الصدوق العجليل في كتاب «معاني الأخبار»:

عن محمد بن أبي عمر قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيء أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الامام فإني سأله يوماً عن الإمام فهو معصوم؟ فقال: نعم. فقلت: فما العصمة فيه؟ وبأي شيء تعرف؟ فقال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، فهذه منفية عنه لا يجوز أن يكون حريضاً على هذه الدنيا وهي تحته قائمة لأنها خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد، فكيف يحسد من هو دونه؟ ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عزوجل فان الله عزوجل قد فرض عليه اقامة الحدود وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رأفة في ذنبه حتى يقيم حدود الله عزوجل، ولا يجوز له أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عزوجل حب اليه الآخرة كما حب

إلينا الدنيا فهو ينظر الى الآخرة كما ننظر الى الدنيا فهل رأيت أحداً ترك وجهاً  
حسناً لوجهه فبح وطعاماً طيباً ل الطعام مر وثواباً ليناً لثوب خشن ونعة دائمة باقية  
لدنيا زائلة فانية<sup>١</sup>.

كم هو جيد أن نقتدي نحن أيضاً بالأنبياء والائمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ونجترب بتمرير  
الحالات المعنوية عن الحرص والحسد والغضب والشهوة ونرد مقام الامن  
الالهي ونحافظ على أنفسنا من شر كل خطر.

نقل عن توراة عهد موسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنه:

«فَنَعَ ابْنُ آدَمَ فَاسْتَغْنَى، إِعْتَزَلَ النَّاسَ فَسَلِمَ، تَرَكَ الشَّهَوَاتِ  
نَصَارَ حُرًّا، تَرَكَ الْحَسَدَ فَظَهَرَتْ مُرْوَثَةُ صَبَرَ قَلْبًا فَتَمَّتَ  
طَوْبِيَاً»<sup>٢</sup>.

وبتعبير العارف الهائم والعاشق البصير، الفيض الكاشاني:  
ساحة اللامكان محلى هذه المترية القديمة كيف تكون مكاني.  
قلبي يصبح دماً من الغم والحزن لو لم يكن مونس روحي ربي.  
من يتبعني ليل نهار هو أيضاً مرهمي وشفائي.  
كل من فاح منه ريح الألم فصحته مداعاة دوائي.  
كل من كان أجنبياً عن العالمين كليهما فهو في درب الحبيب من معارفي.

نصيحة المذنب:

جاء في كتاب «مجموعة ورام» الثمين:

١ - معاني الاخبار: ١٣٣، حديث ٤٣؛ الخصال: ٢١٥/١، حديث ٣٦.

٢ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٩/١٠

## عن الصادق عليهما السلام:

إن رجلاء جاء إلى عيسى بن مريم عليهما السلام: ياروح الله إني زنت فطهري فأمر عيسى عليهما السلام أن ينادي في الناس أن لا يبقى إلا خرج لتطهير فلان فلما اجتمع واجتمعوا وصار الرجل في الحفرة نادى الرجل: لا يحدتني من الله في جنبه حد فانصرف الناس كلهم إلا يحيى وعيسى فدنا منه يحيى فقال له: يا مذنب عظني قال له: لا تخلين بين نفسك وبين هواها فترديك، فقال له: زدني. قال: لا تعيّرْ خاطئاً بخطيئته، قال: زدني، قال: لا تنقضب، قال: حسبي<sup>١</sup>.

انكم لو نظرتم إلى هذه الجمل الثلاث بدقة، ستجدون أن التحلي بتلك الحقائق إنما يتيسر بقدرة التقوى والتزه والاعتصام.

## ثمار التقوى:

الذين هم وعلى أساس معرفة الحقائق الإلهية والمعارف الملكوتية، يكونون أهل تقوى الله ويتنزهون في أيام هذه الدنيا القلائل، عن كل ذنب وعيان، سواء في أمر المال أو في مرحلة الأخلاق، سواء في مجال العمل أو فيما يخص العلاقات الأسرية والاجتماعية، سيسكبون فوائد لا تحصى ويستفيدون منها تماماً في الدنيا والآخرة.

يشير العلامة الجعفري إلى قسم من تلك المنافع في الشرح أدناه، قائلاً<sup>٢</sup>:

وقد مفاد الآيات، فإن المتقين الذين استطاعوا حفظ وإنقاذ شخصيتهم

١ - مجموعة ورام: ١٠/٢؛ وسائل الشيعة: ٥٦/٢٨، باب ١٣، حديث ٣٤٢٠١

٢ - ترجمة وتفسير نهج البلاغة: ٢٥٩/٣، تفسير الخطبة ١٦

الإنسانية من مهب عوامل الانحراف والتلوثات، يتصرفون بما يلي:

١- الفهم والوعي الرفيع وهو عامل تميز الحق عن الباطل وتحليل المعرف الرفيعة:

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.**

٢- الروية الرفيعة بشأن التحولات والكائنات السماوية والارضية والمعرفة المثلث بخصوص تلك الكائنات وأنها آيات الهبة وهذه الرؤية مما لا يتيسر من المعلومات المعرفة:

**﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.**

٣- الإرادة والقرار المنطقي تجاه حوادث الحياة المادية والمعنوية.

ان صفة التقوى هذه وان لم تعد شيء بالنظرية السطحية لكن يتضح بقليل من الدقة والتأمل الحاد، أن اساس حياة الآدمي يرتبط بارادته وقراره؛ اذ غالباً ما تتعدد ارادات الاشخاص في الحياة ونظراً لتغير المواقف تجاه الحوادث والواقع التي هي في تحول دائم، كانت كيفية الارادة والقرار لها اهم دور واكثره مصيرية بحيث يمكن ببساطة اكتشاف الوضع النفسي واستهداف وكيفية استعدادات انسان ما من خلال كيفية اراداته وقراراته:

**﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ﴾.**

٤- الایمان بالله والمعاد والملائكة والكتاب السماوي - وهو النسخة الفصل

١- الأنفال ٨: ٢٩.

٢- البقرة ٢: ٢٨٢.

٣- آل عمران ٣: ١٨٦.

لعلاج آلام البشر - والأنبياء. هذه المعتقدات وهي من أوصاف المتقين، اضافة الى أن العدالة والنظام الحقيقي للعالم ليس ممكناً بدونها فإنها تربى الاستعدادات وعظمات الروح وأداة خلاص من العيشية في الحياة.

٥- الاستفادة من المذخورات في سبيل قلع جذور الفقر وحرية العباد.  
فحاصل صفة المتقين هذه، تنظيم المسائل الاقتصادية، ولا يمكن أي فرد أو مجتمع أن يدعى الحياة بدون ذلك.

٦- إقامة الصلاة التي وبتعبير «فيكتور هيجو» هو وصل لانهابة صغر «الإنسان» بلا نهاية كبر «الله».

٧- اداء الضرائب بعنوان الزكاة.

النكتة الهامة جداً المائلة في آية التقسيم<sup>١</sup> أنها و اضافة الى بيان ضرورة التأديات التي تقتل الفقر بمختلف أشكاله من الجذور، تعد الزكاة استقلالاً من صفات المتقين، يتبيّن ان ما ينبغي أن يؤدى من حقوق أنها ليست ذات كمية معينة جزماً بوصف الزكاة، بل ينبغي أن يكون مقدار الأداء كافياً لسد الاحتياجات المادية للمجتمع.

٨- العمل بالعهد والميثاق.

١- ﴿لَئِنِّي لِبِرٌّ أَنْ تُؤْلِوا وَجْهَكُمْ قَبْلَ الْمَسْرُقِ وَالْمَغْرُبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حَبَّةِ ذُوِي الْفُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَآتَى السَّبِيلَ وَالسَّائِلِينَ وَنَفِي الرَّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقِونَ﴾.

٩- الصبر تجاه المحن والمشاق وعوامل الخشبة والخوف مما أحاط بالحياة البشرية.

١٠- العدالة.

﴿إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾<sup>١</sup>.

١١- ان قيادة المصير النهائي لحياة الآنس في الكورة الأرضية، ستكون للمنتقبين:

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>٢</sup>.

١٢- تجنب الاستقلالية والافساد في الأرض:

﴿تُلْكَ الدَّارُ الْأُخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>٣</sup>.

إن لم تتمكن هذه الاوصاف من ايجاد المدينة الفاصلة على الارض، فأي الاعيب فكرية واحتيالات ونهب وأكاذيب ومظالم ستوجد هذه المدينة المثلى؟!

انهضوا يا عشاق لنذهب صوب السماء.

رأينا هذا العالم لكي نذهب الى ذلك العالم.

١- المائدة: ٥

٢- الاعراف: ٧

٣- القصص: ٢٨

لا لا فإن هذين البستانين و ان كانوا طيبين وجيدين.  
 لتجوازهما ونذهب الى صاحب البستان ذلك.  
 نذهب نحو البحر ساجدين كالسيل.  
 فوق البحر بعد ذلك نذهب، مصففة.  
 لترحل من زفاف التعزية هذا الى العرس.  
 لنذهب من وجه الزعفران هذا الى وجه الأرغوان.  
 طريق كثير البلاء لكن العشق هو الرائد.  
 يعلمنا في ماذا وعلى ماذا يُذهب.  
 وإن كان ظل كرم الملك يحفظ.  
 في الطريق الافضل أن ترافق القافلة.  
 لنجعل الروح مرأة طلباً ليوسف.  
 لنذهب نحو جمال يوسف بهدية<sup>١</sup>.

التقوى من وجهة نظر العرفان:

أهل القلب، عشاق الحق، المترىون بالحقيقة، الوعون، قالوا في معنى  
 التقوى ما يلي:  
 «أن يُطاع ولا يعصى ويَذْكُر ولا يَنْسَى ويَشْكُر ولا يَكُفِر»<sup>٢</sup>.

١- مولوى.

٢- روضة الوعاظين: ٤٣٠/٢

اصل التقوى على معنيين:

أحدهما الخوف والآخر الاجتناب وتقوى العبد لربه تعالى على معنيين:  
إما خوف العقاب أو خوف الفراق وعلامة خوف العقاب أن لا يخالف حكم  
أوامر ونواهي الحق تعالى ويحفظ حقوق وحدود الصحبة كيف لا يستوجب  
العقاب وإن كان خوف الفراق، فهو يجتب مادون الحق تعالى ولا يقرّ مع غيره  
كي لا ينفصل عن الحق تعالى.

التقوى، وهو أن تظهر من نفسك ما استطعت فقراً وفاقه، ذلك أن صفة العبد  
هو الفقر والفاقة وكلّ ينبعي له ابداء ما عنده.

التقوى، هو ترك غير الله وليس معنى ذلك أن لا يعرف غير الله، فالأنبياء غير  
الله وما لم يؤمن بهم لم يكن متقياً لكن المعنى أن يرفع الرغبة والرهبة عما سوى  
الله تعالى، ذلك أن العبد مهما صاحب فأما رغبة أو رهبة، فلو انتفيا جميعاً ترك  
الجميع لديه وإذا تم ترك ما دون الله، تحققت التقوى.

التقوى هو المجانية وهذا هو الاخلاص، أي مجانية الذات وكل ما لديه  
وكلما كان التبرّي أكثر كلما كان الاخلاص أقوم، ما لم يتبرّأ العبد من الخلية  
ومن النفس، لا يصح إخلاصه.

التقوى والتزه هو الاجتناب عن المنهي والانفصال عن النفس وبمقدار ما  
ينفصل العبد عن لحاظ النفس، يجد اليقين.

أي لأجل أن اليقين يكون بالغائب وسكون النفس إلى الشاهد، فلو حضرت  
مبغيات النفس قرت مع الشاهد، وفات الغائب وذهب اليقين، من جديد وحيث  
فات مبغي النفس في الشاهد، قرت مع الغائب، يصبح الغائب يقيناً، الدليل على

ذلك خبر حارثة، اذ ما دام أن النفس لابد لها من الدنيا والأكل والذهب والمال فلما عَيَّبَ النَّفْسَ عَنْ هَذَا، حَضَرَ الْغَائِبَ حَتَّى صَحَّ الْيَقِينُ كَمَا اَنْ طَلَبَ رَغَبَاتِ النَّفْسِ اَنَّ الْفَاعِلَ الْأَنَا وَلَيْسَ الْحَبِيبُ وَلِقَاءُ رَغَبَاتِ النَّفْسِ دَلِيلٌ اُنِي لَا أُرِيدُ مِنَ الْحَبِيبِ سَوْيَ الْحَبِيبِ.

محمد بن محمد الدارابي وهو من له قدم راسخة في تبيين الطائف العرفانية يكشف عمق التقوى في شرح بيت من المنزل حافظ بالمضمون أدناه:  
ليس في كل «دير المفعان» مأوى العباد مثلِي، الخرقة رهن في مكان لأجل  
الخمرة والدفتر بمكان.

المقصود بهذا البيت أن على السالك في طريق الطلب أن لا يجعل شيء يسد سبل المراد، أن تقيم على ما للحبيب قيحاً كان ذلك الدور أو جميلاً. بتخصيص المحب الروحاني وهو عبارة عن مراتب الفضل وكمالات الظاهر والأئمة والعجب قيد بطريق.

كل رأس أعطوه قبة تناسب وهمته، فضابط المجانين وهامون الشمس<sup>١</sup>.

المراد من «دير المغان» باصطلاح العرفاء أول مقام الطلب والهياط هنا عبارة عن مقام الوله والحيرة، اذ السالك منذ أول لا يعلم الى ما سيؤول عمله والخرقة عبارة عن الزهد والستر الذي يغطي به القشريون عيوبهم ليبدوا أنفسهم في نظر الظاهريين في كمال مراتب السير والسلوك، ويتأدوا بذلك الى انجذاب اغراضهم الافسدة وادفتر كنایة عن العلوم المتداولة والحانوت بيع الذات ومراتب المتعلسين والعلم الظاهري وهو حجاب روحاني أشد من الحجاب الجسماني والظلماني.

١- صائب نيريزى.

مغورو الفضيلة بمنأعن الله السلسلة لو كانت ذهبية مع ذلك هي قيد قدم.  
شبّه العرفاء بشأن أن رفع الحجاب الروحاني أشد من الحجاب الظلماني  
كالتالي:

لو كان هنالك بستان غاية في اللطافة وملؤه مختلف الورود والرياحين  
والازهار وكان ثمة جدار ملوث بالاقدار يحجب عن مشاهدة هكذا بستان،  
فسيقول كل أحد بأن هذا الجدار ينبغي إزالته كي يتراءى دائماً هكذا موضع  
زهي، لكن لو كان الجدار مطلياً بالذهب ومرصعاً كتب عليه بخطوط جميلة جداً  
وبذل لستين عديدة اساتذة كثر مبدعون وفنانون فاضلون فهم في ذلك الجدار  
وأبدوا يداً بيضاء وهو يمثل به الفضائل الظاهرة، فهو حجاب لايسع كل أحد أن  
يتجاوزه ولو من الجدار القذر من مشاهدة هكذا بستان، فالجدار المرصع يمنع  
المشاهدة ويسبب الحرمان.

لكن تلزم همة لغض الطرف عن التكلفات الظاهرة والسعى في هدمها كي  
يمكنه أن يتلذذ بالمقامات المعنوية والمراتب الروحانية. اذ متوفّر في هذه المائدة  
ما يراد من رزق معنوي وشراب روحي وادراك للمعاني، ولا يمنع أحد.

### الغرض من الشريعة والطريقة والحقيقة:

يقول الشيخ عزيز النسفي في الرسالة القيمة «المقصد الأسمى»، في بيان حقيقة  
القوى والطريق للتخلّي بها:

هل تعلم ما الغرض من الشريعة والطريقة والحقيقة؟ الغرض الكلّي ان يصح  
الناس صحيحي القوي وصحيحي الفعل وصحيحي الاخلاق وإن لم تفهم هذه  
العبارة، فأقول بعبارة أخرى:

**عمل أهل الشريعة:****اعلم ان الغرض ثلاثة أشياء:**

**الاول:** أن لا يكون الناس كباقي الحيوانات، أن يقبلوا أمر النبي ونهيه ويأتموها ويتناهوا.

**ثانياً:** أن يتحلوا بالعمل والتقوى ويسعوا ويجتهدوا في صحبة العارف إلى أن يعلموا يقيناً أن الله واحد.

**ثالثاً:** عليهم بعد معرفة الله أن يعرفوا كل حكم في جواهر الأشياء كما هي ويروا ذلك. اذا ما أتموا هذه المراتب، فإنهم يصلون إلى مقام القرب والتحلي بالشريعة والطريقة الحقيقة.

أمسكني! اذ عرفت ما الغرض من الشريعة والطريقة والحقيقة، فتجاوز الآن عن الحديث واعمل كي تصلوا إلى شيء اذ القول بلا عمل والصورة دون معنى لاتجدي شيء، العمل هو الذي وصل السالكين إلى المقامات الرفيعة «والعمل الصالح يرفعه».

**عمل أهل الطريقة:****و عمل أهل الطريقة عشرة أشياء:**

**اولاً:** طلب الله.

**ثانياً:** طلب العارف اذ لا يقطع الطريق بغير مرشد.

**ثالثاً:** اراده العارف نسبتاً إلى مولاه، ينبغي للسالك أن يكون مرید ومحب مولاه، اذ المودة مركب السالك، وكلما كان المودة أقوى فالمركب أكثر قوة.

رابعاً: الانقياد، على السالك مودة وطاعة العارف والانقياد للعارف ولا يعمل عملاً دنيوياً أو اخروياً الا بأمر العارف.

الولاية محبة أهل البيت واتباعهم في الدين وامثال أوامرهم ونواهيهم والتأسي بهم في الأعمال والأخلاق<sup>١</sup>.

خامساً: الترك أن يترك بتنويه من العارف الفضولات.

سادساً: التقوى، أن يكون متقياً متزهاً صحيحاً العمل صادق القول حلال الطعام، معز الشريعة، يعلم يقيناً أن كل الفتوحات تحصل للسالك فهي من متابعة النبي وآلـهـ.

السابع: الإقلال الكلام.

الثامن: الإقلال من النوم.

التاسع: أقلال الأكل

العاشر: اعتزال شرار الخلق وأولئك الذين لا يتقبلون الحق ومجاهدة ومكافحة الذين يسدون طريق الحق.

هذا عمل أهل الطريقة ولهذه الامور العشرة آثار قوية في السلوك.

حين يواظب السالك وبمعية العارف، على هذه الامور العشر يثبت اذا مع الثبات يكون الوصول، تبرى الحقيقة ولو نقصت واحدة من العشرة، فلن يتيسر السلوك ولن يبلغ السالك، شيء.

أرى الكل جمالك حين افتح عيني كلـهـ شرابـكـ اـشـرـبـ حتىـ أـبـلـ شـفـتيـ.

حرام على محادثة الناس وحين يأتي حديثك اطيل الكلام.

الف نحو من العرج يبدو مني حينما يأخذون بي الى المسالك بينما الطريق  
اليك اطويه مجدأ.

لو أتيح لي كالخضر ماء الحياة لو شحنته ذلك الماء بتراب رفاقت<sup>١</sup>.

### عمل اهل الحقيقة:

يا طالب الخير! عمل اهل الحقيقة عشرة أشياء:

**الاول:** أن يكون واصلاً الى الله وعرف الله وبعد معرفة الله قد عرف جميع  
جواهر الاشياء كما هي ورأى ذلك.

**الثاني:** السلم مع جميع المؤمنين وال المسلمين وعلامة وصول السالك الى الله أن  
يسالم الخلق دفعه ويتحرر من الاعتراض والانكار «إن لم يكن الاعتراض  
والانكار، بمقتضى الشرع» ولا يعادي أحداً، بل يحب الجميع.

**الثالث:** الشفقة على الجميع والشفقة أن يقال للناس ويعامل معهم، ما لو عمل  
الناس بذلك، انتفعوا في الدنيا والآخرة وأهل الشفقة ينصحون و يؤذبون وأهل  
العلم ينصحون وأهل الافتخار يؤذبون كي يأمن الناس بعضهم.

**الرابع:** التواضع مع الجميع، ان يعز الناس وينظر الجميع بعين الحرمة والعزة.

**الخامس:** الرضا والتسليم والحرية والفراغ.

**السادس:** التوكل والصبر والتحمل.

**السابع:** عدم الطمع اذ الطمع ألم الخبائث.

**الثامن:** القناعة اذ القناعة والفراغ هما اللذان يوصلان السالك.

الناسع: عدم الإيذاء وراحة الجميع.

العاشر: التمكين للعمل، تمكين واستقامة وثبات.

هذه علامات أهل الحقيقة وهذا عمل أهل الحقيقة، من احتواه فمبارك له، السالك ما لم يصل إلى كمال العلم والحكمة ولم يتم السير إلى الله والسير في الله فلن تظهر فيه هذه العلامات وهذه الصفات وهذا الخلق.

إجعلني ظمآنًا لك لا تسقني ماءً إجعلني أعشقك خذني إلى نومي.

ما دمنا ليل نهار في صلاة أي خيال طيب أنت محرا بي.

إن وجدت خيالك والفناء حيناً أسعى نحو الموت.

إرحم وكن ملكاً فلست أطيق فراقك هذا<sup>١</sup>.

كنت أرغب في الاشارة في هذا الفصل إلى آيات القرآن المجيد التي نزلت في باب التقوى واذكر أيضاً فصلاً في الروايات بهذا الشأن، لكن عندما راجعت كتاب الله رأيت أن ليس في القرآن صفحة إلا وجاء فيها ذكر التقوى وليس ثمة باب من الروايات إلا وطرق للتفوي، فاستنتجت أن مرد كل الآيات والروايات إلى مسألة التقوى، فالأفضل لقارئ هذه الرسالة، لأجل ادراك مسألة التقوى مراجعة القرآن الكريم أولاً، ثم كتب مثل «الكافي» في ثاني أجزائه و«بحار الأنوار» المجلد السابع والستين و«مجموعة وراثم» و«تحف العقول» و«ثواب الأعمال» و«المحجة البيضاء» وكل كتاب محوره الحديث. ينبغي هنا تيمناً وتنبركاً ان نشير إلى آيات واحاديث بهذا الشأن، عسى أن يغينا قدس حضرة

الحبيب بلطقه وعنايته وعلينا من باب رحمته ومراحمه، بتقواه في كل الشؤون.

### التقوى في القرآن المجيد:

التقوى التي هي سبب الفلاح والفتح والنصر في الدنيا والآخرة:

**﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**<sup>١</sup>.

التقوى التي لو تحصلت في الفكر والعمل والخلق فقد حصل في الحقيقة مقام الشكر وعندئذٍ فقد بدلت كل نعمة في محلها وأدي شكر كل النعم:

**﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**<sup>٢</sup>.

التقوى التي باكتسابها توجه الى الانسان المعاية الالهية ويفدو وجود قدس الحبيب انيس ومونس ومستند الانسان دائمًا:

**﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**<sup>٣</sup>.

التقوى التي لو تحصلت، لكان الانسان في الدنيا والآخرة حبيب الحق تعالى وأحاطه وجود الانسان سور من عشق المحبوب تعالى:

**﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾**<sup>٤</sup>.

التقوى سبب سرعة الحساب يوم القيمة وتدفع عن الانسان التعطل في صحراء الهميمة تلك، بين كل ذلك ثم من المحن والغم والوحشة والاضطراب.

**﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**<sup>٥</sup>.

١- البقرة: ٢: ١٨٩.

٢- آل عمران: ٣: ١٢٣.

٣- البقرة: ٢: ١٩٤.

٤- آل عمران: ٣: ٧٦.

٥- المائدة: ٥: ٤.

التقوى التي هي افضل واجدى زاد لدينا واحرى الانسان ولا سبيل الى النجاة بدونها.

﴿تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾<sup>١</sup>.

التقوى التي تحصل لاحد، ستحفظه من كيد المكارين وخدع الخداعين وحقد الاعداء وحسد الحساد وجرم المجرمين:

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلَا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُكُمْ شَيْئًا﴾<sup>٢</sup>.

التقوى المؤدية بالانسان الى جنة عرضها السماوات والأرض وحيث كل ما يريد الانسان فثم في موقع الملوك ذاك، متوفرا له:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>٣</sup>.

التقوى التي تورث العدالة في كل شؤون وأطوار الحياة وتحدث من كيان الانسان مصدراً من نزعة العدل والكرامة لكل الناس:

﴿إِعْدِلُوا هُوَ أَفْرَبٌ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>٤</sup>.

التقوى التي هي بجد مدعوة قبول العمل وقيمة وقدر عمل الانسان بمحضر المحبوب:

١ - البقرة: ٢٩٧.

٢ - آل عمران: ٣١٢٠.

٣ - آل عمران: ٣١٣٣.

٤ - المائدة: ٥٨.

﴿إِنَّمَا يَتَبَلَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>١</sup>.

القوى التي تنتفتح بها على الانسان باب برکات السماوات والأرض، برکات تبقى آثارها الى يوم الحشر ولها هناك حالة البقاء والخلود:  
 ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>٢</sup>.

القوى التي في وجود الانسان كصلاح فتاك وقوه وقدره تدفع عنه الشياطين ووساوسمهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ نَذَرَكُرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾<sup>٣</sup>.

القوى التي لو حصلت، تسبب للأدمي الغفران والرحمة وتکفر عن ذنوب الماضي:

﴿هُبَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ﴾<sup>٤</sup>.

القوى التي لولاها فلن يؤمن المرء من عقاب القيمة العظيم:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>٥</sup>.

نعم، هذا جانب من ثمار القوى مما ذكر في الكتاب الالهي، القوى التي هي

١- المائدة: ٥. ٢٧.

٢- الاعراف: ٧. ٩٦.

٣- الاعراف: ٧. ٢٠١.

٤- الانفال: ٨. ٢٩.

٥- البقرة: ٢. ١٩٦.

وصية الله والأنبياء والأئمة والمصلحين والعرفاء للناس أجمعين.

جاء النداء إلى الروح من مدار الفلك أن ارتفع لاتحط إلى الحضيض.

لن يبقى أحد كثيراً في السفر بمثأى عن بلده واصحابه السابقين.

سمعت أخيراً نداء إرجعي من ذلك السلطان والملك المحبب.

يسكن في هذه الخربة اليوم لماذا سكنت أيها البازي المسكين.

كيف يرتاح بأي مكان كان ذلك الذي يصنع من الشوك غرساً.

أي صلة للطرف ومن يغش العملة أي نسبة بين الزاغ والبازي والشاهين.

لِمَ تجمّل بالجص خربة ففوق نقش ومن تحت سرجين.

اللهي أوصل الروح إلى الأرواح بذلك الدرب الذي سار فيه آل ياسين.

امزج دعاءنا نحن وهم بحث من الدعاء ومنك الاستحسان<sup>١</sup>.

### التفوي في الروايات:

جاء في الروايات الرفيعة في كتب الشيعة:

«إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي نَفْسِهِ شُغْلًا وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيلُ فَرَشَ وَجْهَهُ وَسَجَدَ لِلَّهِ بِمَكَارِمِ بَدِئِهِ يُنَاجِي الَّذِي خَلَقَهُ فِي فَكَاكِ رَقَيَتِهِ، أَلَا فَهَكَذَا فَكُونُوا»<sup>٢</sup>.

روى عن رسول الله ﷺ قال: «خَصَّلَةٌ مَنْ لَزِمَّهَا أَطَاعَتْهُ الدُّنيَا  
وَالْآخِرَةُ وَرَبِّحَ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ». قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال:

١- مولوى.

٢- تفسير العياشي: ٢١٣/٢، حديث ٥٠؛ بحار الأنوار: ٢٨٢/٦٧، باب ٥٦، حديث ٢.

التقوى<sup>١</sup>.

**سُئلَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ الْكَفَافُ عَنْ تَفْسِيرِ التَّقْوَى فَقَالَ: أَنْ لَا يَقْدِكَ اللَّهُ حَيْثُ أَمْرَكَ وَلَا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ<sup>٢</sup>.**

جاء في الكتاب الثمين «مشكاة الأنوار»:

أن رسول الله ﷺ دخل البيت عام الفتح ومعه الفضل بن عباس واسامة بن زيد ثم خرج فأخذ بحلقة الباب ثم قال: الحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، وغلب الأحزاب وحده، إن الله أذهب نخوة العرب وتکبرها بآبائهما وكلكم من آدم، وآدم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقيمكم<sup>٣</sup>.

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «أَنْتَى النَّاسَ مَنْ قَالَ الْحَقَّ فِيمَا لَهُ وَعْلَيْهِ<sup>٤</sup>.

**سُئلَ عَلَيْهِ: «أَيُّ عَمَلٍ أَفْضَلُ؟ قَالَ: التَّقْوَى<sup>٥</sup>.**  
**عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَفَافُ قَالَ: «الْقِيَامَةُ عُرْسُ الْمُتَّقِينَ<sup>٦</sup>.**

١ - كنز الفوائد: ٤٠/٢؛ بحار الأنوار: ٢٨٥/٦٧، باب ٥٦، حديث ٧.

٢ - عدة الداعي: ٣٠/٣؛ بحار الأنوار: ٢٨٥/٦٧، باب ٥٦، حديث ٨

٣ - مشكاة الأنوار: ٥٩، الفصل الأول في ذكر صفات الشيعة؛ بحار الأنوار: ٢٨٧/٦٧، باب ٥٦، حديث ١٠.

٤ - أمالى الشيخ الصدوق: ٢٠، المجلس السادس، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٢٨٨/٦٧، باب ٥٦، حديث ١٥.

٥ - بحار الأنوار: ٢٨٨/٦٧، باب ٥٦، حديث ١٦.

٦ - الخصال: ١٣/١، حديث ٤٦؛ بحار الأنوار: ٢٨٨/٦٧، باب ٥٦، حديث ١٨.

فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَا يَبْذَرُ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلُّهُ»<sup>١</sup>.

يروي الشيخ المفید عن الكليني:

جلس جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ينتسبون ويفتخرون، وفيهم سلمان رضي الله عنه فسألهم عمر: ما نسبك أنت يا سلمان؟ وما أصلك؟ فقال: أنا سلمان بن عبد الله كنت ضالاً فهداني الله بمحمد ﷺ وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمد ﷺ وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمد ﷺ فهذا حسي ونبي يا عمر، ثم خرج رسول الله ﷺ فذكر له سلمان ما قال عمر، وما أجابه، فقال رسول الله ﷺ: يا معشر قريش إن حسب المرء دينه، ومرؤته خلقه، وأصله عقله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وَّقَبَائلًا لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكمُ﴾<sup>٢</sup> ثم أقبل على سلمان رضي الله عنه فقال له: يا سلمان إنه ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله عزوجل، فمن كنت أتقى منه فأنت أفضل منه<sup>٣</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حِيثُ كُنْتَ، وَخَالِقُ النَّاسِ بَخْلُقِ حَسَنٍ وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ حَسَنَةً يَمْحُو هَا».

يقول الفيض ذو الكرامة:

١- بحار الأنوار: ٢٨٩/٦٧، باب ٥٦، حديث .٢١

٢- الكافي: ١٨١/٨، خطبة أمير المؤمنين ع، حديث .٢٠٣؛ بحار الأنوار: ٢٨٩/٦٧، باب ٥٦، حديث .٢٣

٣- أمالی الشيخ الطوسي: ١٨٦، المجلس السابع، حديث .٣١٢؛ بحار الأنوار: ٢٩٠/٦٧، باب ٥٦، حديث .٢٤

من الكبائر أن أظن لنفسي وجوداً  
 الذنب الآخر أنني سكران من خمرة الأنما  
 ذنبي وجهنمي وذاتي  
 إن تحررت من أنا نياتي فقد جاوزت هول الصراط  
 فتح بوجهه عده أبواب الى الحق تعالى  
 كيف سددت بوجهه الباب أنا  
 إن لم اصنع لنفسي الأنما، سأصل الى الله  
 لن أثال وصاله مادمت رهين ذاتي  
 لا تؤاخذني أنا المسكين إن أسأت  
 فأنت كريم و أنا صفر اليدين من العقل  
 نظراً للآيات القرآنية والروايات التي قد مرّت، فلا يظن ان ثمة في جميع  
 العالم رأس مال أربع وأثمر للإنسان من التقوى.  
 كان الأولياء والعشاق، دائمًا ساعين في سيرهم وسلوكهم نحو جناب الحبيب  
 أن يصلوا الى القمة العظيمة للتقوى.  
 التقوى حصن حصين كل من ولجه فقد تخلص من جميع مخاطر الدنيا  
 والآخرة وحصل بذلك رضا حضرة رب العالمين.  
 العيش بلا تقوى عرضة للاختار والبليات ويعتبر الخلاص من تلك  
 المخاطر دون قوة وقدرة التقوى هو من المحالات.  
 لا تقضوا أيام الدنيا القلائل بالذنب ولا تعاملوا العمر الثمين بالشيطان  
 والهوى اذ ذلك كله خسران.

«وَمِثْلُ التَّقْوَى كَمَا يَجْرِي فِي نَهْرٍ وَمِثْلُ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ الْثَّلَاثِ فِي مَعْنَى التَّقْوَى كَأَشْجَارٍ مَغْرُوسَةٍ عَلَى حَافَّةِ ذَلِكَ النَّهْرِ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَجِنْسٍ، وَكُلِّ شَجَرٍ مِنْهَا يَسْتَحْصَصُ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ عَلَى قَدَرِ جَوْهَرِهِ وَطَعْمِهِ وَلَطَافِيهِ وَكَثَافِيهِ، ثُمَّ مَنَافِعُ الْخَلْقِ مِنْ تِلْكَ الأَشْجَارِ وَالشَّمَارِ عَلَى قَدَرِهَا وَقِيمَتِهَا.

«صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي  
الْأَكْلِ»<sup>١</sup>:

مثل التقوى:

النقوى والتزه هما مثل ماء جاري في نهر، ومراحل النقوى الثلاث هذه هي كأشجار أنبت على حافة النهر، بحيث أن كلًا من هذه الأشجار وحسب قدرتها وجوهرها وطاقتها جذبها ولطافتها وكثافتها تسحب الماء من ذلك الجدول وحافة النهر ويتنفس الخلائق من جهة الأشجار باختلافها، كذلك فكل أحد وفق طهارته وزاهدة روحه وحسب رياضته ومجahدته لنفسه يصل إلى مرتبة من مراتب النقوى ويتنفس من هذه الشجرة الطيبة على قدر طاقته.

يقول الله تعالى: صنوان أي أغصان متعددة من جذر واحد وغير صنوان: أي أغصان لكل منها جذره يستفيد على الأرض من ماء واحد لكن مع وحدة المنبع فهي متفاوتة شكلاً ولوناً وطعمها وتختلف ثمارها كذلك التقوى فهي حقيقة وهي روح اجتناب الذنب لكن الناس وحسب اختلاف قابلياتهم والطهارة والإيمان والخلوص، يستفيدون من تلك الحقيقة الواحدة، من كان إيمانه ومعرفته أكمل فهو يتحلى بتقوى أعلى ولمتوسط الإيمان تقوى وسطى ومن كان في المرتبة الدنيا من الإيمان، فتقوى ضعيفة.

«فَالْتَّقْوَى لِلطَّاعَاتِ كَالْمَاء لِلأَشْجَارِ وَمَثَلُ طَبَاعِ الْأَشْجَارِ وَالثَّمَارِ فِي لَوْنِهَا وَطَعْمُهَا مَثَلُ مَقَادِيرِ الْأَيْمَانِ، فَمَنْ كَانَ أَعْلَى دَرَجَةً فِي الْأَيْمَانِ وَأَصْفَى جَوْهِرًا بِالرُّوحِ كَانَ أَنْقَى، وَمَنْ كَانَ أَنْقَى كَانَ عِبَادَتُهُ أَخْلَصَ وَأَطْهَرَ، وَمَنْ كَانَ كَذِيلَكَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَقْرَبَ، وَكُلُّ عِبَادَةٍ غَيْرُ مُؤَسَّسَةٍ عَلَى التَّقْوَى فَهِيَ هَباءٌ مَنْثُورٌ». قالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانُ خَيْرٍ أُمَّ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جَرْفٍ هَارِ﴾.

وَتَفْسِيرُ التَّقْوَى تَرَكُ ما لَيْسَ بِأَخْذِهِ بِأَبْسٍ حَذَرًا عَمَّا بِهِ بِأَبْسٍ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ طَاعَةٌ بِلَا عِصْيَانٍ وَذَكْرٌ بِلَا نِسْيَانٍ وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلٍ، مَقْبُولٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ».

## التقوى في العبادات:

التقوى للطاعات والعبادات كالماء للأشجار، كما أن اختلاف الأشجار والطبيعة والثمرة والطعم حسب اختلاف قابلياتها، كذلك اختلاف طبقات الإيمان بسبب الاختلاف في مراتب التقوى، أي كل من كانت درجة إيمانه

اعلى وجوهر روحه أكثر صفاء ازداد رغبته في التقوى وترك المحرمات وكل من زادت تقواه كانت عباده أكثر اخلاصاً وكل من زاد اخلاص عبادته كان قربه من حضرة الحبيب أكثر وأي عبادة لم تؤسس على التقوى فهـي كغبار تحاذته الرياح، أي ليس لتلك العبادة قدر وقيمة، كما يقول تعالى:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ مُبْنِيَّهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ...﴾

حقيقة التقوى الطاعة بلا عصيان والذكر دون نسيان والعلم بلا جهل والقبول

بغير رد.

ان كنت عاشقاً فدع الغم، انظر العرس واترك الماتم.  
 كن أنت بحراً وحطـم السفينة، كن عالماً ودع العالم.  
 تب كـآدم وادخل الجنة، اترك بئر وسجـن الأدـمي.  
 اعتـل السماء كعيسـى بن مريم، اترك حمار عيسـى بن مريم.  
 ولو أـن عـشق يـوسـف قـطـع الـاصـابـع، فـخـذ هـمـه هـمـه وـدعـ المـرـهمـ.  
 ولو ايـقـظـك بـرـيقـ الدـرـهـمـ، دـعـ خـيـالـ وـرـؤـياـ الدـرـهـمـ.  
 وـصـلتـ نـفـخـتـ مـنـهـمـ روـحـيـ، اـتـرـكـ غـمـ الـاـكـثـرـ وـالـأـقـلـ.  
 أـسـلـمـ قـلـبـيـاـ عـنـ وـجـودـ الـمـسـلـمـ، دـعـ أـمـلـ غـيرـ الـمـسـلـمـ.  
 خـذـ يـاـ بـنـ الـأـسـوـدـ صـفـةـ الـأـسـوـدـ، دـعـ الـكـلـابـ غـيرـ الـمـعـلـمـةـ<sup>1</sup>.



الباب

(٨٣)

في مسألة الموت



قال الصادق عليه السلام:

ذِكْرُ الْمَوْتِ يُمْتِ الشَّهَوَاتِ فِي النَّفْسِ وَيَقْطَعُ مَنَابَتَ الْغَفْلَةِ وَيَقْوِيُّ  
الْقَلْبَ بِمَوَاعِدِ اللَّهِ تَعَالَى وَيُرِقُّ الطَّيْبَ وَيَكْسِرُ أَعْلَامَ الْهَوَى وَيَطْفَئُ نَارَ  
الْحِرْصِ وَيَحْفَرُ الدُّثْنِ.

وَهُوَ مَعْنَى مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِكْرٌ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ سَيِّئَةٍ وَذَلِكَ عِنْدَ مَا  
يَحْلُّ أَطْنَابَ خِيَامِ الدُّثْنِيَا وَيَسْدُدُهَا فِي الْآخِرَةِ.

وَلَا يَشْكُّ بِنَزْولِ الرَّحْمَةِ عَلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ بِهَذِهِ الصَّفَةِ وَمَنْ لَا يَعْتَبِرُ بِالْمَوْتِ  
وَقَلْبَهُ حَبْلَتِهِ وَكَثْرَةُ عَجْزِهِ وَطَوْلُ مَقَامِهِ فِي الْقَبْرِ وَتَحْيِيرِهِ فِي الْقِيَامَةِ فَلَا خَيْرٌ فِيهِ.  
قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثَرُهُمْ ذِكْرُ هَادِمِ الدُّنْدَنَاتِ، قيل: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟  
فَقَالَ الْمَوْتُ.

فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي سَعَةِ إِلَّا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّثْنِيَا وَلَا فِي شِدَّةِ  
إِلَّا اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ. وَالْمَوْتُ أَوَّلُ مَنْزُلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ وَآخِرُ مَنْزُلٍ مِنْ  
مَنَازِلِ الدُّثْنِيَا فَطُوبِي لِمَنْ كَانَ أَكْرَمٌ عِنْدَ النَّزْولِ بِأَوْلَاهَا، وَطُوبِي لِمَنْ أَحْسَنَ  
مُشَايِعَتَهُ فِي آخِرِهَا.

وَالْمَوْتُ أَفْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ وُلْدِ آدَمَ وَهُوَ يَعْدُهُ أَبْعَدَ فَمَا أَجْرَأَ الْأَنْسَانَ  
عَلَى نَفْسِهِ وَمَا أَضْعَفَهُ مِنْ خَلْقِ !

وَفِي الْمَوْتِ نَجَاةُ الْمُخْلُصِينَ وَهَلاكُ الْمُجْرِمِينَ وَلَذِكْرِ اشْتَاقَ مَنِ  
اشْتَاقَ إِلَى الْمَوْتِ وَكَرِهَ مَنْ كَرِهَ.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهَ لِقاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ  
كَرِهَ اللَّهَ لِقاءَهُ.

## «ذَكْرُ الْمَوْتِ يُمِيتُ الشَّهَوَاتِ فِي النَّفْسِ»

### حقيقة الموت:

الموت وهو محطة انتقال من هذا العالم إلى عالم الآخرة وفق آيات الكتاب السماوي وصدق الأنبياء الإلهيين والأئمة الطاهرين عليهم السلام، حقيقة لا مناص منها لأي كائن حي وخاصة الإنسان، ولو استند إلى أقوى البرامج وتسلح بأقوى الأسلحة وتتوفر على أفضل مراحل السلامة، عن أن يقع في فمه.

عقدة الموت عقدة لا تفكها كفٌّ وحقيقة ثابتة ولا تزال على عنق كل أمر.

من جرم حضيض التراب حتى فمة زحل      حللت كل مشكل الكون

خرجت من قيد أي مكر وحيل      كل قيد انفك إلا قيد الأجل

الموت حقيقة، يبطل أمامها طب الأطباء وحكمة الحكماء وقدرة الفادرين ومن كان على حافة الموت فإن رجاعه أمر محال وغير مقدور، الموت لا يعرف ضعيفاً وقوياً، شيخاً وشابةً، ملكاً ومستعطاياً، فقيراً وغنياً، عالمً وجاهلاً، أبيض وأسود، مدیني أو قروي، أو العروس والعریس، فإذا حان وقتها، تسود وجود الإنسان وستأخذه من عالم الفناء إلى عالم البقاء.

القصور الأسمانية الغایة في الاستحكام، والأبراج الصخرية الشديدة الصلابة، والأبنية التي تقوى على الدوام آلاف السنين قبل الحوادث، كل ذلك لا يدفع الموت.

﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ  
مُّشَيَّدَةٍ﴾<sup>١</sup>.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِكُمْ ثُمَّ تَرَدُّونَ  
إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾<sup>٣</sup>.

الموت خاتمة حياة الدنيا وفاتحة حياة الآخرة وعودة الحياة بعد الموت حتمية وفق الآيات وإعلان الأنبياء والأئمة عليهما السلام، ذلك أنه لو لا الحياة بعد الموت لتوقف جزاء الأخيار وعقاب الأشرار ولكان العدالة في الدنيا حرفة جوفاء عابثة ولا يبقى سبيلاً سوي قلب كل الحقائق حينما تنكر الحياة بعد الموت.

ينبغي لتوسيع الجمل أعلاه أن يقال:

إن كان الموت نهاية الطريق ولم تكن بعده حياة وعيش، فينبغي القول: قد فاز قوم نوح الطالمون وخسر نوح مع كل جهوده ومحنته وما تحمله من مشاق، دون أن يثاب أو يؤجر ربع نمرود والنمروديون وخسر إبراهيم وآل إبراهيم، ربع فرعون والفرعونين وخسر موسى والموسىون وغلب قوم اليهود الظلمة، ربع أبو سفيان وأبو لهب وعتبة وشيبة وجميع رؤوس الكفر والإجرام والخيانة والظلم بمكة والمدينة وخسر رسول الله عليهما السلام مع كل مالاقي من أذى وكذلك ياسر وسمية وعبد الله بن مسعود وسلمان وأبو ذكر، غالب معاوية ووزيره الظالم

١ - النساء : ٤ . ٧٨

٢ - العنكبوت : ٢٩ . ٥٧

٣ - الجمعة : ٦٢ . ٨

الخائن عمرو بن العاص بعد سنين من الإجرام والتلوث والسرقة والنهب وقتل النفس المحترمة وخسر على ملائكة وأصحابه الكرام بعد سنين من العبادة والطاعة والطهارة والفضيلة والكرامة، فاز يزيد وجماعته شارب الخمر، اللاعب بالكلاب والقردة وكل ما أتوه من جرم وإرجاء البلاد وما أوقعه بالثقافة الإسلامية من ضربات قاضية وخاصة مقتلة كربلاء والمدينة ومكة وسيد الشهداء ذلك رجل التاريخ ومصدر الكرامة خسر هو وأصحابه الخالدون و...

هل يعقل العقل قلب الحقائق وهل يرضى أي ضمير في تاريخ البشرية بأن صالحى العالم وأخيار الدنيا ممّن واجه حدّ الموت - لأجل كماله هو ولهدایة البشر. كل تلك المصائب والبليات والمحن والاتعاب ثم لم يحصلوا لقاء ذلك على أي مكافأة في هذه الدنيا أن يكون الموت خاتمة عملهم وثم اشرار فذرون أمثال قايبيل وفرعون ونمرود وشداد ونرون وهتلر... مع كل جرائمهم التي استمرت حتى الموت ولم يواجهوا أي عقوبة تجاه تلك ثم راجعوا المعرف الإلهية كي تتضح لكم حقيقة العامل الآخر.

الفيلسوف الكاشاني ذلك العارف الحميد الخصال يخاطب أبناء البطن والشهوة من بات غافلاً عن كل شيء وحتى عن نفسه:

أنت من أين تعرف هممة السكارى، أنت كيف تعرف حماس هواة الخمر.  
تعالى إلى مجرة العشق يا قطرة، اختفى، مادمت قطرة فمن أين تعرف عمان.  
بطرق اذنك حديث من تلك الشفة، كيف تعرف أنت منبع الروح.  
إذا كنت عديم المعرفة، فكيف تعرف رموز أهل العرفان.  
لا تعرف البوابين، أي معرفة لك بلطف وقهر السلطان.

لما كنت لا تعاني هجران الحبيب، فكيف تعرف قدر وصال المحبوب.  
إذا ذهب عن ذاكرتك صبح الوطن، فكيف تعرف حزن ليل الغرباء.  
حيث لا شراراة في قلبك للعشق، فمن أين تعلم نيران الخفاء.  
كحصاة ملقاء على حافة الساقية، كيف تعرف إذن قدر ماء الع gioan.  
إذا لم تتلذذ بغير البدن، كيف تعرف نعيم عالم الحبيب.

### عودة الحياة للأموات:

كان يصعب على البشر من قبل عودة الحياة للأموات ومنذ أقدم العصور، يُبَدِّأ أن الكتب السماوية وخاصة القرآن المجيد وأقوال الأنبياء الثمينة جداً قد حلّت هذه المشكلة بأسهل نحو، بعد حل المشكلة هذه فإنكار المنكريين عنادي وعدم تقبلهم دليلاً تكبرهم الشديد تجاه الحق والحقيقة.

القواعد الحكيمية للوحي والأنبياء والأئمة الظاهرين عليهم السلام قد استلت هذه المشكلة وفي جملة واحدة وهي انتبهوا إلى انكم لم تكونوا ثم خلقكم الله القادر بإرادته وحكمته، كذلك بعد موتكم وعودتكم التراب وهو موطن نشوئكم الأول فمن جديد يحييكم بتلك القدرة والارادة ذاتها ويهيئكم لتلقي جراء الأعمال، دققوا الان في هذه الجملة الواحدة من آيات القرآن الشريفة:

**﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَرْتُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾**

بصائر<sup>١</sup>!

﴿كَيْفَ تَكُفُّرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ بُخْيِكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

انظروا إلى الاستدلال والبرهان والحججة في الآية أعلاه، كم هو طبيعي ومعهود ومحكم ومتيقن، في رأيي إن أفضل سبيل لتصديق عودة الحياة الأموات هو التدقيق في هكذا آيات.

بما أن الحق سبحانه قد استدلّ بوجود الإنسان نفسه الذي لم يكن ثم كان، على عودة الحياة إلى الأموات، فأي عجب يا ترى عن عودة الحياة إلى الأموات في يوم القيمة ويوم الحساب، هذا الاستغراب استغراب أحمق بعيد عن المنطق وخلاف الحكمة ويخالف الاستدلال والبرهان العقلاني والطبيعي.

في هذا المجال دققوا في الآيات العجيبة في أوائل سورة الحج، مما لا سبيل إلى أنكار المنكر وكبار المتكبر:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِنَبِيِّنَ لَكُمْ وَتَقْرُرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجْلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَادَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرْدَى إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكِيلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

١ - البقرة: ٢٨.

٢ - الحج: ٢٢، ٥-٧.

وردت في الآيات ٧٧ إلى ٨١ من سورة يس المباركة نظير هذه المسائل وأمور آخر لأجل أن يقبل أهل الإنكار بها. بإمكانكم مراجعة تلك الآيات وتفسيرها في التفاسير المعترفة.

نظراً لهذه الآيات وكذلك بلحاظ الاستدلالات العقلية المحكمة يتضح أن الموت باب للدخول إلى عالم آخر وحدّ ليواجه الأشرار والفحار جزاء أعمالهم المشينة وينال الصالحين والأبرار ثمار أعمالهم الخيرة ويصلوا إلى المقام العظيم «اللقاء والوصال».

### زاد الآخرة في القرآن الكريم:

بما أن العالم الآخر أبدى والحياة والعيش هناك بحيث يرضي الإنسان ويعتبر القرآن الكريم لهم «عيادة راضية» لذا كانت الحاجة إلى الزاد ويعتبر آخر الحاجة للأدوات التي تخص ذلك العالم وينبغي توفير ذلك الزاد والوسائل تلك، من هذا العالم إلى هناك وجعل هذه الدنيا بتعتير رسول الله صلى الله عليه وآله مزرعة لذلك العالم يلزم استناداً إلى القرآن والروايات أن تكون اشارة إلى موضوع زاد الآخرة مما يحتم، وإن علم ذلك واجب على عشاق خير الدنيا والآخرة وإن ذلك العالم جذر وأصل هذه المسألة، بتعتير القرآن الكريم في الإيمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة.

الإيمان والأخلاق والعمل وتجسمهم في القيمة هو رضا الله والجنة التي عطّرها عنبر، فهو زاد الآخرة وأسباب الراحة في ذلك العالم.

فيما يوصي القرآن المجيد والأئمّة عليهم السلام الناس بأخذ الزاد لسفرهم، فالزاد هو تلك الحقائق الإلهية التي هي في الدنيا مدعّاة لطيب الحياة وفي الآخرة سبب الأجر الأحسن والأعظم والغير ممنون وبغير حساب.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَخْيِسْهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .  
 ﴿لَكِنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ الرَّكَاءَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .<sup>١</sup>

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ .<sup>٢</sup>

﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .<sup>٣</sup>

زاد الآخرة كما في الروايات:

لا تتسع هذه الرسالة لشرح الإيمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة، فشرح هذه المسائل الثلاث هو كل التفاسير وجميع كتب الحديث، لكن نشير هنا وكتنويذج إلى بعض المسائل عسى أن تفيد وتوثر.

١- الشهادة القلبية واللسانية بوحدانية الله ورسالة الأنبياء وولاية الأئمة

المعصومين عليهم السلام.

١- النحل: ٩٧.

٢- النساء: ٤: ١٦٢.

٣- فصلت ٤: ٨.

٤- الزمر: ٣٩: ١٠.

- ٢- الشكر اللسانى والعملى لأجل كل النعم الإلهية المادية والمعنوية.
- ٣- المداومة على الوضوء والطهارة.
- ٤- غسل الفم والسواك.
- ٥- النوم على وضوء.
- ٦- غض البصر عن غير المحaram.
- ٧- حسن الصلاة وأداء الزكاة.
- ٨- الخطو نحو المساجد لأجل العبادة وتعلم الحلال والحرام.
- ٩- قراءة القرآن الكريم وفهم الآيات الإلهية والعمل وفقها.
- ١٠- أداء الصلوات النوافل والمستحبة خصوصاً صلاة الليل.
- ١١- أداء الصلاة في المسجد الأقصى.
- ١٢- الأذان. الله تعالى.
- ١٣- اطالة القنوت والركوع والسجود.
- ١٤- الصلوات في الركوع والسجود.
- ١٥- الإتيان بسجدة الشكر.
- ١٦- رعاية أول الوقت في الصلاة.
- ١٧- اتيان صلاة الجمعة.
- ١٨- صلاة جعفر الطيار.
- ١٩- إحياء الليل بقراءة القرآن الكريم.
- ٢٠- تعقيبات الصلاة اليومية.
- ٢١- حج بيت الله الحرام.

- ٢٢- صوم شهر رمضان المبارك.
- ٢٣- الصوم المستحب في شهري رجب وشعبان.
- ٢٤- زيارة رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين علیهم السلام وخاصة سيد الشهداء علیهم السلام.
- ٢٥- الإحسان إلى محبي أهل البيت علیهم السلام.
- ٢٦- زيارة السيدة المعصومة سلام الله عليها والسيد عبد العظيم الحسني علیهم السلام.
- ٢٧- ختم القرآن الكريم بمكة حين الشباب.
- ٢٩- التوبة التي تفترن بالحياة من الله.
- ٣٠- تعليم الناس الخير.
- ٣١- طلب العلم وخاصة علم الدين.
- ٣٢- مجالسة أهل الدين.
- ٣٣- التحدث بالكلام الصحيح والعمل بذلك.
- ٣٤- ان خلف بعده عمل خير.
- ٣٥- العمل بما يعلم.
- ٣٦- تفقد حال اليتيم والضعيف والإحسان إلى الأرحام.
- ٣٧- الكف عن التعرض لكرامة الآخرين.
- ٣٨- عدالة المتقدم، الصدق في الكسب، التقوى في الكبر.
- ٣٩- حفظ أربعين حديثاً.
- ٤٠- إدخال السرور على المؤمنين إما بزيارتهم أو بحل العقد في أعمالهم.
- ٤١- الورع والزهد وحضور القلب في الصلاة.
- ٤٢- اشبع وإرواء وإكساء المؤمن.

٤٣- إطعام المؤمن.

٤٤- تحرير رقبة مسلمة.

٤٥- الاقراض في الله.

٤٦- صدقة السر.

٤٧- صدقة العلانية.

٤٨- إمهال المدين المعسر.

٤٩- هبة قرض المؤمن الفقير.

٥٠- حفظ كرامة المؤمن.

٥١- أداء حاجة المؤمن.

٥٢- زيارة المؤمن ومصافحته ومعانقته.

٥٣- إعانة المؤمن.

٥٤- إغاثة المسلم.

٥٥- احترام المؤمن.

٥٦- رفع اضطراب المؤمن.

٥٧- رفع حزن المؤمن.

٥٨- إدخال السرور على المؤمن.

٥٩- إدخال السرور على عائلة المؤمن.

٦٠- تخير الصديق في سبيل الله.

٦١- التواد.

٦٢- الدعاء للأ الآخرين.

- ٦٣- الخروج إلى الصحراء للدعاء وذكر الله.
- ٦٤- الدعاء في حال الاجتماع.
- ٦٥- الدعاء عند السحر.
- ٦٦- الزهد والتقوى.
- ٦٧- التفكير ليل نهار في الآخرة.
- ٦٨- موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه تعالى.
- ٦٩- التحية للمؤمنين في الله.
- ٧٠- العطف الوقار، اللين، التحمل.
- ٧١- حسن الظن بالله.
- ٧٢- الإخلاص في العمل.
- ٧٣- التواضع وخفض الجناح.
- ٧٤- البكاء من خشية الله.
- ٧٥- تعمير المساجد.
- ٧٦- النظر باعتبار.
- ٧٧- الصمت والسكوت عن قول غير الحق.
- ٧٨- خياطة ثوبه وحذائه وردائه.
- ٧٩- الصدق.
- ٨٠- الصبر على مالا يقدر على توفيره لكي لا يقع في الحرام.
- ٨١- كسب الحلال المشروع.
- ٨٢- الجهاد في سبيل الله مع إمام عادل.

- 
- ٨٣- توقير كبار السن.
  - ٨٤- الصبر على الحمى والمرض.
  - ٨٥- الصبر على مرض الطفل والولد.
  - ٨٦- عيادة المريض.
  - ٨٧- تشيع الجنازة وغسل الأموات.
  - ٨٨- الاسترجاع عند المصائب.
  - ٨٩- تسلية من به مصيبة.
  - ٩٠- محبة أولاده.
  - ٩١- إتحاف عياله.
  - ٩٢- التحمل لو كان ذا بنات.
  - ٩٣- هداية الضال.
  - ٩٤- رفع الموانع عن طريق المسلمين.
  - ٩٥- بذل المال والمنال في سبيل الجهاد.
  - ٩٦- الخير والإحسان للوالدين.
  - ٩٧- زيارة العلماء والحكماء.
  - ٩٨- السؤال لأجل التعلم.
  - ٩٩- الاعتدال (والاقتصاد) في البذل.

كذلك هنالك أمور أخرى مما ذكر في القرآن المجيد والروايات بعد الإيمان بالله ويوم الجزاء من الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة ذكرت مما يكون التحليل بها في الدنيا، زاداً للأخرة ومنتجاً لرضا الحبيب وموجداً نعم خلد الجنان للإنسان !!

و ضد هذه الأعمال والحالات، تخرّب الحياة الدنيا وتكون زحمة للآخرين و تورث أشد العذاب في عالم الآخرة لمن تلوّث بها.

الذين تحلوا بالإيمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة، فإن موتهم ذو حلاوة وبرز خهم ودادي وقيامتهم متعالية.

### موت العباد الصالحين:

نشير هنا إلى آيتين من آيات الكتاب الإلهي وبعض أهم الروايات في هذا الباب وهي توضيح لتلك الآيتين.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ \* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً \* مَرْضِيَةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.**

يقول سدير الصيرفي:

قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَثِيرَةُ: جعلت فداك يا ابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟

قال: لا والله إنه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولی الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً عَلَيْهِ الْكَثِيرَةُ لأنّا أبّر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينك فانظر قال: ويمثل له رسول الله عَلَيْهِ الْكَثِيرَةُ وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عَلَيْهِمْ الْكَثِيرَةُ فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عَلَيْهِمْ الْكَثِيرَةُ رفقاؤك، قال: فيفتح عينه فينظر فینضر روحه مناد من قبل رب العزة فيقول: يا

أيتها النفس المطمئنة إلى محمد وأهل بيته إرجعني إلى ربك راضية بالولاية  
مرضية بالثواب فادخلي في عبادي يعني محمداً وأهل بيته وادخلي جنتي فما  
شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي.

**﴿إِنَّمَا أَيْتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ \* ارْجِعِيهِ إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾**

**﴿مَرْضِيَةً \* فَادْخُلْهِ فِي عَبَادِي \* وَادْخُلْهِ جَنَّتِي﴾!**

أي في جمع محمد وآل محمد ثم ادخلي الجنة. حينئذ ليس شيء أحلا له  
أو أحب إليه من أن يخرج روحه ويلحق بأولئك ويرد الجنة<sup>٢</sup>.

ينبغي ادارة الظهر للدهر، ينبغي التواجه وجهها لوجه مع الحبيب.

زاد يميط اللثام عن وجهه، فينبغي تقديم الروح.

لدى شمع وجهه كالفراشة، ينبغي اختيار الاحتراق.

لأجل نظرة على بابه، ينبغي انتظار سنين.

كي يتواجه الحبيب معك وجهها لوجه، عليك أن تجعل قلبك كالمرأة.

لأجل أن يضع عزيز قدمه على رأسك، ينبغي اذلال الذات كالتراب المهين.

وإن اعتبرت إنك خير من التراب، فينبغي رجمعكم.

لأجل أن تناول قبلة لبطن قدمه، ينبغي أن تصبح غباراً.

كالعرافي تصرخ اينك من نفسك أنت، كل لحظة مائة ألف مرة<sup>٣</sup>.

١- الفجر ٨٩: ٢٧-٣٠.

٢- الكافي: ٤٢/٢؛ باب أن المؤمن لا يكره على قبض روحه، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ١٩٦٦، باب ٧، حديث ٤٩؛ تفسير نور الثقلين: ٥٧٧/٥.

٣- فخر الدين عراقي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبَّنَا اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجُنَاحَةِ الَّتِي كُتِّبَتْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أُولَئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ \* نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾<sup>١</sup>

نعم، هذه نتيجة الإيمان المستحكم والعمل تأسيساً على ذلك الإيمان، ثمة أناس يبدون عشق الحق تعالى بيد أن لا استقامة لهم في العمل، عندما يواجهون طوفان الشهوات فإنهم يودعون الإيمان ويشركون عملياً وحينما يتعرض مصالهم لخطر يفقدون ذلك القليل من الإيمان.

يقول الإمام علي عليه السلام في أحدى خطبه بعد تلاوة هذه الآية:  
وقد قلت ربنا الله فاستقاموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها، فإن أهل المرroc منقطع بهم عند الله يوم القيمة.<sup>٢</sup>

قال الرسول ﷺ ما مضمونه:

قال أناس هذا الكلام ثم كفروا أكثرهم، لكن الذي يقول ذلك: «ربنا الله» ثم يدوم عليه حتى يدركه الموت فهو منمن استقام.

سئل الإمام الرضا عليه السلام عن تفسير الاستقامة، قال: هي ما عليه أنت [شيّعتهم بالله]. هي في الحقيقة بمعنى قبول قيادة أهل البيت وذلك لضممانه بقاء نهج التوحيد

١- فصلت ٤١: ٣٠-٣٢.

٢- نهج البلاغة: خطبة ١٧٦؛ بحار الأنوار: ١٩٠/٦٨، باب ٦٤، حديث ٥٦.

وسبيل الإسلام الأصيل ودوم العمل الصالح.

نعم يبلغ الإنسان إلى حيث تنزل عليه الملائكة بنور الإيمان والاستقامة وبلغه النداء الإلهي الذي ملؤه اللطف والمرحمة<sup>١</sup>.

الإعلان بأن لا تخافوا ولا تحزنوا، إعلان بأن الجنة موعدكم، إعلان بأننا نحن الملائكة نصحبكم ونمدكم في الدنيا والآخرة. إخبار بتوفّر كلّما تمنّونه في الجنة وإعلام بأن النعم المادية جاهزة في الجنة بل ما تبغونه من مواهب معنية، فهو أمامكم وثم تقول في آخر إعلان: كل هذه النعم تقدم كاستضافة من مضيف لضيف عزيز ومن قبل الله الغفور الرحيم<sup>٢</sup>.

﴿تَنْزَلُ مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

على كل حال فهذا تجسم إيمان وعمل وخلق المؤمنين وهو زادهم الأبدى في عالم الآخرة وحقاً كما يقول القرآن المجيد:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بِهِ﴾<sup>٣</sup>.

### احتضار المؤمن:

جاء في كيفية احتضار المؤمن في الروايات المتعلقة الغاية في الأهمية عن الأئمة المعصومين علیهم السلام:

يقول الله لملك الموت: كالعبد الذي يقوم أمام مولاه احضر لدى عبدي

١ - بحار الأنوار: ١٤٨/٦، باب ٦.

٢ - تفسير نمونه: ٢٦٩/٢٠.

٣ - فصلت: ٤١. ٣٢.

٤ - الرعد: ١٣. ٢٩.

المحتضر وأبلغه سلامي وقل: إن الله الواحد يتضرر لقاء روحكم، إن رضي عبدي بالموت فأقبض روحه وإلا فدعة كي أرضيه بنحو آخر.

عندما يقوم ملك الموت على فراش المحتضر ويبلغه سلام المحظوظ ويطلب منه رخصة قبض الروح، يقول: إني أرغب في البقاء في الدنيا واشتغل بعبادة حضرة الحبيب، ينقل ملك الموت طلب العبد إلى حضرة الرب، يقول الله الرحيم: أعطه من محله في الجنة قبضة من ورد وأمط الستار عن بصره كي يرى موضعه، إن رضي بعطر ورد الجنة ورؤية موضعه، ورضي بأن يجيء فاقبض روحه وإلا فدعا حتى أرضيه بنحو آخر!!!

عندما يمثل الملك الإلهي أوامر حضرة الحبيبي، ومع ذلك لم يرخص المؤمن من قبض الروح ويرجع ملك الموت إلى محله، يأتي النداء اذهب هذه المرة إلى فراش عبدي فإنه هذه المرة راض تماماً بموته.

عندما يأتي ملك الموت إلى فراش المحتضر يرى خاتم النبيين عن يمينه وعلى المرتضى عن شمالي والحسن والحسين من جانبي قدم المحتضر وفاطمة عليها السلام وبافي الأئمة عليهم السلام بل والاصحاب مثل سلمان وأبي ذر ومن شاكلهم قد أحاطوا بالمحضر، يقول ملك الموت: هنئنا لك أيها المؤمن، إذ جاءك رسول الله وأوصاؤه، إن أذنت أن أقبض روحك كي تكون معهم في الجنة، يقول المحتضر: عجل بقبض روحني إذ بقدوم موالي الأعزاء يهألي الموت، فيقبض ملك الموت روحه بكل سهولة ويسر!!.

يا من وصالك ماء الحياة، أنت تعلم التدبير لخلاصنا.

لا تخرج عن البصر إذ أنك نور، ولا تنفصل عن الصدر، انك الروح.

عندما تختفي أمام عيني، ثُنَّ روحٍ خفية.  
 من أنا حتّى أطلب الوصال، من لطفك تحذّبني.  
 سألك سائل ما اليهام، قلت لا تسأل عن هذه المعاني.  
 عندما تصبّح مثلّي تلّي، عندما يدعوك تقرأ<sup>١</sup>.

### المؤمن في عالم البرزخ:

وجود عالم البرزخ، أي العالم المتوسط بين الدنيا والآخرة يستفاد صحيحاً من الآيات القرآنية ووردت روايات عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في أكثر الكتب اعتباراً تبين تلك الآيات.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبَعَثُونَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>٣</sup>.

قال رسول الله ﷺ: القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران<sup>٤</sup>.

كان يقول في آخر صلاته: وأعوذ بك من عذاب القبر<sup>٥</sup>.

يقول الإمام السجادي عليه السلام في دعاء أبي حمزة الشمالي:

أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدني أبكي سؤال

١- مولوى.

٢- المؤمنون: ٢٣، ١٠٠.

٣- غافر: ٤٠، ٤٦.

٤- ارشاد القلوب: ٧٤/١، الباب الثامن عشر؛ بحار الأنوار: ٢٠٥/٦، باب ٨

٥- بحار الأنوار: ٢٠٥/٦، باب ٨

منكر ونکير إبأي...

كتب أمير المؤمنين عليه السلام في رسالة إلى محمد بن أبي بكر:  
«يا عباد الله ما بعد الموت لِمَنْ لَا تُغْفِرُ لَهُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ»<sup>١</sup>.

على كل حال فعالم البرزخ وفق آيات القرآن الكريم والروايات الشريفة حقيقة مسلمة ومن ضروريات المذهب وإنكاره على حد الكفر بحضوره الحق تعالى. تصف الآيات والروايات بربخ المؤمن بأنه بربخ حسن معتبرة حالة في ذلك العالم وضعاً غاية في الرفعة نشير كنموذج إلى بعض الروايات.

﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِجِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِّشُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوْا بِهِمْ مَنْ خَلَفُوهُمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* يَسْتَبِّشُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

مضمون ومحظى الآيات أعلاه عام ويشمل كل شهداء طريق الحق.

ذكروا سبب نزول هذه الآيات كالتالي:

ينقل ابن مسعود عن رسول الله ﷺ إن الله خاطب أرواح شهداء أحد وسألهم: ماذا تأملون؟ قالوا: يا ربنا! أي أمل نستطيع أن نأمل أعلى من أننا مستغرون بنعمك الخالدة ونسكن بظل عرشك، طلبتنا الوحيدة أن نعود إلى الدنيا من جديد ونشهد مرة أخرى في سبيلك قال الله: أمري الذي لا تبدل له أن لا

١- بحار الأنوار: ٢١٨/٦، باب ٨ حديث ١٣؛ أمالى الشيخ الطوسي: ٢٧؛ أمالى الشيخ المفيد: ٢٦٤.

٢- آل عمران: ٣. ١٧١-١٦٩.

يعود أحد إلى الدنيا، قالوا: إذن فطلبتنا أن تبلغ سلامتنا إلى النبي وتذكر حالنا للمتقين وتبشرهم بحالنا كي لا يحزنوا أبداً، فنزلت الآيات أعلاه.  
يبدو أن جماعة من ضعيفي الإيمان كانوا يجلسون بعد وقعة أحد ويتأسفون لأصدقائهم وذويهم من استشهد بأحد وأنهم لماذا ماتوا وفروا، خاصة عندما كانوا ينعمون بنعمة ويرون محل أولئك خاليا كانوا يتأسفون أكثر، قائلين لأنفسهم:

نحن هنا منعمون لكنّ أخواننا وأبناءنا في نومة القبر وأيديهم مقطوعة عن كل مكان.

هكذا أفكار وأقوال اضافة لكونها خاطئة لا تتطابق مع الواقع، لم تكن عديمة التأثير في تضليل معنيات المتقين.  
الآيات أعلاه تعلن بطلان هكذا أفكار وتذكرهم علوم قام الشهداء.  
تحاطب النبي ﷺ: «ولا تحسبن الذين...».

المراد بالحياة والعيش هنا حياة وعيش البرزخ مما للأرواح بعد الموت في العالم ما بعد الدنيا وحياة البرزخ وإن لم تكن خاصة بالشهداء، فكثر أيضاً الذين لهم حياة في البرزخ، لكن حيث إن حياة الشهداء حياة غاية في الرقة ومزيجة بالنعم المنصوصية وأيضاً بما أنّ موضوع الكلام في الآية خصوصهم هم انتصرت على ذكرهم وحدهم، انهم مستغرون في مواهب الحياة المعنوية حدّ كأنه لا اعتداد بحياة باقي البر ZXيين، في مقابلتهم.

إنهم ولما أطعاهم الله من فضلهم من نعم كثيرة، فرجون كما أنهم يستبشرون لأن إخوانهم المجاهدين ممن لم يبنل كأس الشهادة في ساحة الحرب ولم يلتحقوا بهم، ذلك أنهم يرون مقاماتهم وثواباتهم في العالم الآخر ويفرجون بذلك.

يستشعر الشهداء في عالم البرزخ أن أخوتهم المجاهدين، لا حزن لهم مطلقاً بعد الموت بشأن ما أمضوه في الدنيا و من يوم البعث و وقائعه المذهلة، إنهم يرون أن الله لا يضيع أجر المؤمنين والشهداء والمجاهدين الحقيقيين ممن لم ينل الشهادة.

ينقل الإمام الصادق ع عن آبائه عن رسول الله ص أنه:

«مر عيسى ابن مریم ع بقبر يعذب صاحبه ثم مر به من قابل فإذا هو لا يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان يعذب ومررت به العام فإذا هو ليس يعذب؟ فأوحى الله إليه أنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وأوى يتاماً فلهذا غفرت له بما فعل ابنه»<sup>١</sup>.

ينقل موسى بن جعفر ع عن أبيه الصادق ع أنه:

«إذا مات المؤمن شيعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نيك؟ فيقول ربي الله، و محمدنبي، والاسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصراه، ويأتيانه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الرّيحان والريحان»<sup>٢</sup>.

حيثما يصفون المؤمن في القبر و واروه ورجع المشيعون وبقي المؤمن وحده، يخاطبه الذات الإلهية:

«عبدي بقيتَ وحيداً فريداً وتركوكَ في ظلمةِ القبرِ وقد

١ـ الكافي: ٣٧٦، باب فضل الولد، حديث ١٢؛ بحار الانوار: ٢٢٠/٦، باب ٨، حديث ١٥.

٢ـ أمالی الشيخ الصدوقي: ٢٩٠، المجلس الثامن والأربعون، حديث ١٢؛ بحار الانوار: ٢٢٢/٦، حديث ٢٢.

عَصِيتِي لِأَجْلِهِمْ أَرْحَمَكَ رَحْمَةً يَتَعَجَّبُ مِنْهَا الْخَلَقُ وَأَنَا  
أَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَالِدَةِ بَوْلَدِهَا<sup>١</sup>.

ثم يخاطب الله الملائكة أن اذهبوا إلى عبدي وسلوه وفتحوا إلى قبره باباً من الجنة كي يرد قبره نسيم الجنان.

ينقل البرقي في كتاب «المحاسن» الثمين عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في رواية أبي بصير:

إذا مات العبد المؤمن دخل معه قبره ستة صور، فيهن صورة أحسنهن وجهها، وأبهاهن هيئة، وأطبيهن ريحًا، وأنظفهن صورة، قال: فيقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجله، وتقف التي أحسنهن فوق رأسه، فإن أوتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثم كذلك إلى يؤتى من الجهات الست، قال فتقول التي هي أحسنهن صورة: ومن أنت جراكم الله عنك خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه أنا الصيام، وتقول التي خلفها أنا الحج والعمراء وتقول التي عند رجليه أنا برًّا من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسنا وجهها، وأطيبنا ريحها، وأبهانا هيئة، فتقول: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين<sup>٢</sup>.

يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

في حجرات الجنة يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها ويقولون:

١- شجرة طوبى: ٤٥٠/٢

٢- المحاسن: ٢٨٨/١، باب ٤٦، حديث ٤٣٢؛ بحار الأنوار: ٢٣٤/٩، باب ٨، حديث ٥٠

ربّنا أقم لنا الساعة، وانجز لنا ما وعَدْتَنا، وألْحُقْ آخرنا بأولنا<sup>١</sup>.

### نقل في الكافي عن حبة العُرَنِي:

خرجت مع أمير المؤمنين ع إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائی فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي: يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤanstه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لذلك، قال: نعم ولو كشف لك لرأيتم حلقاً محظيين يتحادثون فقلت: أجسام أم أرواح فقال: أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض ألا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام وإنها لبقعة من جنة عدن<sup>٢</sup>.

### البرزخ ومقامات أهل القلب:

#### المولى مهدي النراقي والبرزخ:

يقول المولى مهدي النراقي وهو من أreatest علماء وفلاسفة الشيعة: كان عام جدب وقطح في النجف غاية في الشدة بحيث ان بعض الناس تلف جوعاً. كنت كثير العيال وأشتند على أمر المعاش جداً ، ذهبت يوماً لرفع الهم والغم عن نفسي إلى وادي السلام لزيارة أهل القبور من المؤمنين ورأيت جنازة جيء بها فدفونها في الوادي وذهبوا، كنت مشتغلًا بالمشي وزيارة القبور، فجاءت تراءى لي بستان لا

١- الكافي: ٢٤٤/٣، باب في أرواح المؤمنين، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٢٦٩/٦، باب ٨، حديث ١٢٢.

٢- الكافي: ٢٤٣/٣، باب في أروح المؤمنين، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٦٧/٦، باب ٨، حديث ١١٧.

يمكن باللسان وصفه، تمشيت في ذلك البستان، وجدته مستحسناً من كل حيث  
وتجري تحت أشجاره المثمرة أنهار المعين.

جنيئٌ رأيت سريراً مرصعاً بالجواهر وعليه شاب حسن الوجه للغاية، لما رأني  
استقبلني وبالغ في احترامي، قال لي: لا تعرفي؟ قلت: لا. قال: أنا صاحب تلك  
الجنازة التي دفونها الآن! تجاوزته، كنت مشتغلًا بالمشي، سمعت فجأة بعض  
ذوبي وأرحامي من كانوا فارقوا الدنيا قد جلسوا إلى بعضهم بمنتهى الفرح  
والسرور، سألوا عن أحوالى، قلت: يشتد علينا الأمر كثيراً من الفقر والبؤس،  
 وأشار والدي إلى غرفة وقال: خذ لعيالاتك من ذلك الرز لما دخلت الغرفة، رأيت  
فيها رزاً جيداً، فرشت عباءتي وأخذت من الرز ما أردت وخرجت من البستان  
من شدة الشوق، رأيت نفسي بوادي السلام، وعباءتي ملؤها الرز، جئت بذلك  
إلى البيت وكنا نطعم منه فترة طويلة ولا ينتهي، إلى أن أصرت زوجتي أنك من  
أين جلبت هذا الرز الذي لا ينتهي كلما أخذنا منه، بعد كثرة إصرارها أخبرتها  
بالحكاية العجيبة في انكشف البرزخ لدى ولكن بعد نقل الحكاية لم تبق من  
الرز حبة!!

### مسألة أخرى من عالم البرزخ:

يقول المولى مهدي التراقي:- وكان قد نال عيناً بربخية لشدة الورع والسلامة  
والتقى - ذهبت يوم عيد لزيارة الأموات إلى المقبرة؛ وقفـت على قبر مـيت وـقلـت:

أين هـديـتي؟

رأـيت مـساء ذـلك الـيـوم فـي الرـؤـيا وجـهـاً ذـا صـفـاء وـنـوارـيـة، قـالـ ليـ: تعالـ غـداً  
إـلـى قـبـريـ كـيـ أـعـطـيكـ هـديـتكـ.

ذهبت في الصباح إلى حيث وُجّهت، ووصلت إلى ذلك القبر، انكشف لي عالم البرزخ، شاهدت عندئذ بستانًا عجیباً بأشجاره و شماره و... مما لم أكن رأيت إلى ذلك الحين مثله، كان وسط البستان قصر غایة في العظمة. دعوني إلى داخل القصر، لما دخلت رأيت شخصاً ممعظماً على سرير مرصع، قلت له: من أنت؟ أجاب: من العباد، قلت: من أنت؟ أجاب: من قصابي منطقة النراق، قلت له: من أين بلغت هذا المقام؟ قال: السلامة في الكسب وصلة الجماعة أول الوقت!!

**المجلسى رحمه الله وال الحاج «ميرزا محمود شيخ الإسلام» في البرزخ**

كان الحاج ميرزا محمود شيخ الإسلام من سادات آذربایجان المحترمين ومن أكبر علماء تلك المنطقة في مدينة تبريز وله أحد عشر كتاباً.

تشرف بالحج إلى مكة في سن السبعين، قال في احدى الليالي لأصدقائه: أنا باقي هنا، لم يتبه أصدقاؤه ماذا يقول، إلى أن فارق الدنيا في ديار إبراهيم عليه السلام موعد العشاق تلك، ودفن في مقبرة أبي طالب. يقول أحد المشايخ وأهل القلب من تبريز: رأيت ليلة بستانًا عجیباً، سألت، لمن؟ قال: للمجلسى رحمه الله، رأيت إلى جانبها بستانًا أيضاً له باب من بلور كان بين روضة الصفا تلك، قصر سألت لمن هذا البستان؟ قالوا: للحاج مرتضى محمد شيخ الإسلام ومن إلى جنبه هو المجلسى رحمه الله، قلت: من أين بلغ الحاج مرتضى محمد هذا المقام؟ المقام العلمي الرفيع ثم الصبر على الاهانة والتهم وغيبة الناس له.

**الحاج ميرزا خليل الطهراني في البرزخ:**

ينقل المرحوم الحاج مرتضى حسين التوري وهو من أكبر محدثي التشيع في كتاب «دار السلام»:

كان الحاج ميرزا خليل الطهراني مشتغلًا في أوائل تلمذة الدين في مدينة قم بمدرسة بدار الشفاء وكان في شدة من الفقر، قليل ذات اليد حيث ينام بعض الليالي جائعاً. خرج من المدرسة ليلة في الشتاء، لتوفير شيء من الفحم، واجه امرأة جالسة على جانب الطريق مع طفلين وتقول لهم بكاء: أينما ذهبت لأجد لكم بيتكاً دافئاً، لم استطع، أخاف أن تموتوا من البرد الليلة بأحضاني.

يقول الميرزا خليل الطهراني: توقفت ركباتي عن الحركة لما رأيت تلك المرأة واستندت إلى جدار الزفاق مفكراً في إنقاذ هذه المرأة وطفليها إذ لم يكن بدّ عدت إلى المدرسة وأخذت عدة كتب كانت لي إلى محل لبيع الكتب وبعثها بما أعطى من ثم اشتريت به قدرًا من الفحم وحملته إلى فندق كان إلى جانب المدرسة وهياكل هناك غرفة وفرش ومحل نوم وتدفئة ونقلت تلك المرأة وطفليها إلى هناك ووفرت طعاماً طازجاً لعباد الله أولئك من تلك التقدّد ذاتها وقلت لها هذه الغرفة في تصرفكم إلى عصر غد، لا تذهبوا مكاناً حتى أعود إليكم.

ثم رجعت إلى الغرفة وشعّلت مقدار من الفحم الذي كنت أحضرته لنفسي، رأيت حينئذ أن شخصين دخلا الغرفة، معهما مصباح يدوّي فقصدوني قائلين: عندنا مريض يعاني من شدة ألم في معدته أو بطنه لم ينتفع بالعلاج، وقد يشتنا من حياته، وقال لنا أن نحضر أحد طلبة العلوم على فراشه، عسى أن يبرأه مقدمه ودعائه ان يشفى، فجئنا المدرسة، فكانت كل حجراتها قد أطافت مصابيحها غير غرفتك، ننشدك أن تستعجل بالحضور إلى المريض وتدعوا له، ذهبت معهما إليه، رأيت وضعه الصحي في غايةسوء، تذكرت الحديث الشريف ان الإمام الحسن عاش عليه مرض بشدة في صغره ذهبت به السيدة الزهراء سلام الله عليها إلى

أبيه عليهما السلام طالبة منه فعل شيء، قال عليهما السلام: جيئوني بقدح ماء، لما جيء به قرأ عليه سورة الحمد أربعين مرة وألقى الماء على ابنه الحبيب، انقطعت الحمى فوراً وبدت عليه علامات العافية، طلبت أنا أيضاً قدح ماء وعملت كذلك وعدت إلى غرفتي في المدرسة بعد قليل عاوداً المجيء إلى المدرسة واعطوني مبلغاً جيداً وقالوا لي قد شفي مريضنا ببركة دعائك وقد أرسل لك هذا المبلغ، فكرت منذ ذلك اليوم بدراسة علم الطب وبعد أن أمضيت في طلب ذلك فترة، فتحت عيادة في مدينة قم واكتسبت من خلالها ثروة ملحوظة، إلى أن ذهبت إلى العراق لزيارة العتبات، أجبرتني جاذبة ومعنوية مولاي الأمير عليهما السلام على الإقامة في النجف. هناك اشتغلت أيضاً بتحصيل العلوم الدينية كما ومارست عبر عيادة لي، معالجة المرضى. جاءت يوماً امرأة علوية إلى العيادة واشتكىت حالتها الصحية، بعد الفحص أخبرتها أن علاجها مما ليس بوعي تباهت عندها أن علم الطب وثروتي الدنيوية والمادية هو ثمرة انفاذ تلك المرأة وطفليها في ذلك البرد في قم المقدسة، لماذا أبىشت هذه العلوية، سيفقني الله إن عالجتها، ركضت خلفها واعدتها إلى العيادة، قلت لها: وإن كان معالجة مرضك صعب عليّ كثيراً لكنني آمل أن أعالجه، وكلفة علاجك عليّ، بعد فترة وبما اشتريته من أدوية غالمة الثمن من مالي الخاص، عالجتها ولما عوافت من شدة مرضها قالت لي: إنني عاجزة عن مكافأة فضلك، سأتوجه الآن وأتشرف في حرم جدي عليهما السلام وأطلب منه كل أجر الدنيا والآخرة لك.

يقول الحاج ميرزا خليل: إنني كلما أصاب بمرض شديد وألم يصعب معالجته، أرسل في طلب تلك العلوية وأبلغها أنه حان وقت المكافأة، وهي تذهب إلى الحرم وتدعوني و كنت أشافى.

بعد وفاة الحاج الميرزا خليل، جاءته تلك العلوية زائرة قبره وبعد الدعاء والاستغفار له، طالبة أن ترى مقام الميرزا!!.

بعد فترة رأت في الرؤيا أنها دخلت وادي السلام وهناك رأت مثل الجنة فيها قصور منيفة، فوقع بصرها على قصر جميل، سالت لمن هذا القصر؟ قالوا: للحاج ميرزا خليل، اقتربت من القصر، رأيت شاباً جميلاً، سأله عن الحاج، قال لها الشاب الجميل: يحق لك أن لا تعرفيني، أنا الحاج ميرزا خليل وقد بلغت هذا المقام بدعائك وأعمالي الصالحة وأخبرك أني حقاً قد كافئتني !!

### سرور «باهية» في البرزخ:

جاء في كتاب روض الرياحين، أنه: كانت امرأة اسمها باهية، لما ماتت، كان ولدها يذهب لزيارة قبرها كل ليلة جمعة ويقرأ القرآن لها ولأهل المقبرة، حتى رأى أمه ليلة في الرؤيا، قال: يا أماه حدثني عن الموت، قالت امه: يا ولدي! للموت عقبات صعبة، ولكنني على اثر العبادة عبرت بسهولة وأنا الآن في عالم البرزخ في بستان ومرتاحه من كل حيث وموضع مفروش بسجاد الحرير، يا بني! لا تترك زيارة قبري والدعاء والقرآن، إذ اني افرح بمجيئك.

### العلامة المجلسي رحمه الله في البرزخ:

ينقل الحاج المولى هاشم في «الم منتخب» عن العالم الجليل السيد نعمة الله الجزائري بأن:

قلت لأستاذي العزيز العلامة المجلسي رحمه الله حين اقامتي بأصفهان: كل افعالكم وأقوالكم مرضية لدى عدا صفة واحدة وهي تقيدكم بالتشريفات والرئاسة، فقد أمرتم أن يقرأ أحد قبل ذهابكم إلى المسجد ودخول السوق، آية النور أمامكم،

فينبهوا بهذه الطريقة كل الناس فيغلقوا حين قدومكم أبواب حواناتهم ويقفوا حتى تعبروا، أنا متأذى من هذا وخاصة من مثلكم!

قال العلامة المجلسي رحمه الله: أنا لست محباً لمقام الرئاسة، مرادي بهذا البرنامج اظهار عظمة مقام العلم بين الناس، كي استطع بذلك اقامة حق وابطال باطل إذ بغير القدرة يكون إحقاق الحق ودفع الباطل مستحيلاً.

لم اقتنع بكلام الاستاذ، قررنا مع بعضنا ايّ سبق صاحبه إلى عالم الآخرة أن يطلع الآخر عن احواله.

توفي أستاذ المجلسي رحمه الله قبلى، خلال عام وكانت غالباً أزور قبره وكتت أقرأ له القرآن فطلبت منه اللقاء، رأيته ذات ليلة في الرؤيا وسألته عن المسألة التي بيننا، أجابني: كان الحق معي، إذ اتخاذ الرئاسة لإقامة الحق وإبطال الباطل لا إشكال فيه في الشرع المطهر وببل ممدوح ومستحسن، لما وضعوني في القبر وبعد أسئلة الملائكة نوديت من قبل الحق تعالى أن ماذا لديك وما جلبت معك؟ فذكرت صدقاتي وخيراتي، سئلت، عدا ذلك، ماذا جلبت؟ قلت: كان عبد من عبيدك في تعذيب دائم، وبما كان لي من قدرة أنقذته واستمهلت له دائرته، ثم أديت دينه من مالي وهو ما لم يكن بوع المدين أن يؤديه، لم يسأل مني بعد ذلك، وعوملت بلطف بعد ذلك، إن لم تكن لي تلك العظمة لم يكن بوعي تأدية شيء لحل مشاكل الناس ولم أكن الآن لأواجه بهذا اللطف كله.

يقول «إلهي» ذلك المشغوف بجمال الأزل:

وصل العمر إلى خمسين أو ست وخمسين سنة، افتح العين «إلهي» الآن عن النوم والخيال.

يحلق في ذروة - السعادة طائر الروح -، ان تحررت النفس من مصيدة الحس والوهم والخيال.

ساحت الروح في صحراء الطبع، فوصلت براق الروح إلى عرش الوصال.  
لم لا تذهب أيها القلب إلى زفاف الصدق والصفاء، لماذا لا تطيري يا روح عن مصيدة الجهل والضلالة.

إذ تذهب الروح من مصيدة الحوادث إلى ملك البقاء، يتخلص مسيح التجرد من فتنة الدجال.

حبدا حين أطير عن مصيدة العالم، فيرفر طائر روحي في بستان الأبد.  
أسرع كل الأصحاب وملأ الرحلة عن هذا الموضع، إلى ملك الأبد من شوق الوصال.

يا حبدا حين أنا أيضاً، عن ضجيج هذا العالم، اذهب إلى زفاف العجيب  
من المحنّة والملال هذا.

مضى العمر وذهب الرفاق، والاصدقاء، افتح عينيك وانتبه مى النوم  
والخيال.

بعد انتهاء البرزخ يحين دور القيامة والمحشر، و وفق مئات الآيات القرآنية والروايات الشريفة فإن المؤمن وبنشاط عجيب وبحالة إلهية، يواجه الفزع الأكبر وما لذلك اليوم من مفازع، ويدخل الجنة بدون حساب أو بحساب يسير، ويلج الجنة مع أوليائه مصحوبا بترحيب الملائكة وهناك يتمتع دون حدود زمانية بأي نعمة شاء ويشتغل بشكر وحمد ربه !!

نعم، هذا السفر الذي أمام المؤمن، سفر إليه ورحلة مباركة وسير ليس فيه

سوى الطيب والرضا والالتذاذ والمعنوية وفي كلمة هو بلوغ مقام اللقاء والوصال.

لا يتسع هذا المختصر لشرح مقامات أهل القلب في القيامة وكمال شرح ذلك يتطلب مجلدات مستقلة.

### موت الظالمين:

الذين هم عارون عن الإيمان والعمل والارتباط بحضور الحق وإتيان الخيرات، ولا شغل لهم سوى ملأ البطن واتخاذ الشهوة.

وهم فكريأً وروحياً بؤساء حد أن يستهزأوا بحقائق العالم الأصيلة ولا يصدقوا الواقع الإلهية والملكون وبيل يجاهرون ذلك، لا يستمعون إلى نصح الناصحين ولا يقدّرون أتعاب الأنبياء والأولياء ولا اهتمام لهم بكتاب حضرة الحق تعالى، الذي هو قانون الحياة.

أصيروا بالغفلة وعمى القلب وسكارى حمرة الغروره والشهوة، أخلاقهم حيوانية وسلوكهم سبئي وعملهم شيطاني ولا يصدر عنهم سوى الظلم وسحق حقوق الناس وإرضاء الشهوة والبطن، ضالون مضلون، عصاة دعاء إلى الذنب، عصاة دعاء إلى المعصية اداروا ظهرهم للحقيقة وتوجهوا إلى الشيطان وحزبه.

هؤلاء يواجهون موتاً غاية في الشدة وبرزاً خطيراً وقيامه مصحوبة بعذاب الخلد الدائم، لاحظوا آيات القرآن وروايات أهل البيت عليهما السلام بشأن هذه المجالات الثلاثة:

## موت الظلمة كما في القرآن

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ  
وَلَمْ يُوحِي إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ  
تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا  
أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُبْعَذَرُونَ عَذَابَ الْهُنُوزِ بِمَا  
كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ  
تَسْتَكْبِرُونَ \* وَلَقَدْ جِئْنُوكُمْ فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أُولَئِكَةَ مَرَّةٍ  
وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ  
شَفَاعَاءِكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ  
وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ﴾.

يقول كتاب «معاد شناسی» (معرفة المعاد) بعد ذكر الآية أعلاه:  
تبين هذه الآيات إن كل الأسباب وما يستند إليه ويعتمد الإنسان عليه في  
الدنيا تفني حين الموت.

أصل استناد واعتماد الإنسان في الدنيا شيئاً:

أحدهما: المال من الذهب والفضة وتارة الدرهم والدينار وبيوت يسكنونها  
وأمثال ذلك مما يلبى به الناس حاجاتهم.

الثاني: الولد والمرأة والمعارف وذوي الشخص والشريك، ومن يتسلل بهم  
لتوفير طلباته.

فهو يطلب من هذا الرفيق حاجة ومن ذلك الصديق حاجة، من الأم أمنية، ومن المرأة والولد طلبة، من الرئيس والحاكم مطلب، من الثري والقوى أمر، ويقال له عند الموت:

**﴿وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ فِرَادِيًّا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَةً﴾<sup>١</sup>.**

فقد خلقتם هذين الاثنين وراءكم وجئتم لوحدهم، كما أنتا لما أردنا المجيء بكم إلى الدنيا كتم وحيدين، حينما ولدتكم من رحم امهاتكم دخلتم الدنيا، لم يكن لكم مال ولا بيت ولا زرع ولا تجارة، لا تعرفون أباً ولا أمّاً ولا أحداً ولا حاكماً ولا رئيساً ولا مرؤوساً، لا مطيع ولا مطاع، كتم طاهرين نقين، لما لامستم الدنيا عملتهم بخلاف موازين الحق ولوثتم أنفسكم، الآن إذ تريدون القدوم إلى العالم الآخر عليكم ترك كل ذلك وان تتحرّكوا نحونا لوحدهم!

أحد الأمرين الذين كان عليهما استنادكم كما كان الثروة والمال فقد كان عليه اعتمادكم وأسستم عليه حياتكم لكنكم الآن خلقوه كله وناديتم اياه مودعين:

**﴿وَرَكِّبْتُمْ مَا خَوَلَنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾<sup>٢</sup>.**

ما أعطيناكم من مال فلأجل أن تستفيدوا منها بشكل صحيح ويكون الاستهلاك في مصالحكم وتبذلوه في سبيل رقيكم وتكاملكم، إنكم أساءتم الاستغلال، بذلتكموه في سبيل الذنب والمعصية وأموراً باطلة وأهللتم به أنفسكم ثم تركتم الآن كل ذلك، هذا حساب أموالكم.

أما الأصحاب والأولاد والنساء والرفاق والمعارف بمن كتم تعتمدونه

١ - الانعام: ٩٤

٢ - الانعام: ٩٤

وتتوقعون مددهم وقت الضرورة والعسرة وأن يعینوكم فيها، فهم الآن أخلفوكم ولا نرى أياً منهم في وقت العسرة وساعة الشدة هذه معكم.

**﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءُ﴾<sup>١</sup>.**

لماذا هؤلاء لم يأتوا، لماذا لم تصطحبوا الأب والأم والزوجة والولد معتمد المحل والرئيس ومعاونه، لمَ لم يصحبكم شريككم، لماذا كلما نظر لا نرى معكم أحداً؟

هنا عالم وحدتكم، الوحيدة بكل معنى الكلمة، نعم، إنكم في هذا الوقت وبهذه الحال، متفردين ولوحدكم في غربة، لا أحد لكم.

ثم بینت الملائكة سبب عدم تمکن الإنسان من ترحيل ماله وصحبه معه من هذا العالم إلى ذلك العالم:

**﴿لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ﴾<sup>٢</sup>.**

وقع بينكمما انفصالت ذلك أنكم ارتحلتم من هذه النشأة إلى النشأة الأخرى، تذهبون من هذه الديار إلى ديار غيرها لا أثر فيها للأدوات ولا الآلات الدنيوية ولا سبيل هناك إلى تطرق ما هنا من أعراف وعادات.

ذلك عالم الملوك، هذا العالم هو الملك، ذلك العالم العلوي وهذا العالم السفلي، الآخرة بيت الحقيقة، الدنيا بيت المجاز، هناك محل الاستقرار، هنا المعبّر، هناك التعامل مع الإنسان على أساس الحقائق، هنا عالم الاعتبار والتفكير

١- الانعام: ٩٤.

٢- الانعام: ٩٤.

بالمصلحة والمحافظة، هناك محل التحقق وهنا موضع الأمل والتخييل هناك عالم الفعلية والدنيا عالم الاستعداد والقابلية، هناك عالم الحساب بلا عمل والدنيا محل العمل بلا حساب، إذن بما أن هذا العالم يختلف عن ذلك العالم موضوعاً وحكماً، فقد حصل الانفصال بينكم وبين أساس اعتباراتكم.

﴿وَأَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ﴾.

ما كنتم تظنونه في الدنيا أن تستفيدوا منه هنا، يصبح عنكم ولا يبقى أثر منه لاغاثتكم، تلك كانت زينة دنيا الغرور، لا أساس عالم الملوك.  
**الأولاد الصالحون، الصدقات الجارية، الانفاق على الفقراء والمساكين، اغاثة الممتحنين، رعاية اليتامي، نشر العلم والفضيلة، التقوى والشفاعة، الصلاة والصوم، التدبر في القرآن، الجهاد في سبيل الله و... كل ذلك يفيد في عالم الآخرة لا كثرة المال والأولاد.**

نعم، الآخرة منزل سقفه تُرس نار جهنم وذلك اجتناب المحرمات، وفرشه الاستقرار بمحل الأمن وذلك التقوى والتزهه، مرآته صفاء الباطن كي يكون محلاً للأسماء والصفات، بستان ورد الجنة ونبيمه المعطر هو رحمة حضرت الحق تعالى، أما الظلمة ممن قضوا عمراً في الغفلة والجهالة والغرور والشهوة وعبدة البطن والإجرام وترك الواجبات والفرائض لا نصيب أو خطوة لهم من هذه المواهب.

### موت الظلمة في الروايات

يقول أمير المؤمنين عليه السلام بشأن حال هكذا أنس:

لا ينزعج من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ. وهو يرى المأخذوذين على الغرة حيث لا إقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يؤمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون. فغير موصوف ما نزل بهم: اجتمعوا عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت. ففترت لها أطرافهم، وتغيرت لهاألوانهم. ثم ازداد الموت فيهم ولوجا. فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وإنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه، على صحة من عقله، وبقاء من له. يفكر فيما أفنى عمره، وفيما أذهب دهره. ويذكر أموالاً جمعها أغمض في مطالبه، وأخذها من مصراتها ومشتها. قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها. فيكون المهاً لغيره والعبء على ظهره. والمرء قد غلت رهونه بها. فهو بعض يده ندامة على ما أصرح له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره. ويتمنى أن الذي كان يبغضه بها ويحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه. فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم. ثم ازداد الموت التياطاً به. فقبض بصره كما قبض سمعه. وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله قد أوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه. لا يسعد باكيًا، ولا يحيي داعيًّا. ثم حملوه إلى مخط في الأرض، وأسلموه فيه إلى عمله، «وأنقطعوا عن زورته»<sup>١</sup>.

يروي الشيخ الكليني في كتاب «الكافي» عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن

١- نهج البلاغة: خطبة ١٥٩؛ بحار الأنوار: ١٦٤/٦، باب ٦، حديث ٣٣.

**النوفلي عن السكوني عن الإمام الصادق ع:**

إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه اشتكت عينه فعاده النبي ﷺ فإذا هو يصبح، فقال له النبي ﷺ: أجزعاً أم وجعاً؟ فقال يا رسول الله ما وجدت وجعاً قط أشد منه! فقال:

يا علي إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفود من نار فنزع روحه به فتصبح جهنم، فاستوى علي علية السلام جالساً، فقال: يا رسول الله أعد علي حديثك فقد انساني وجعي ما قلت: ثم قال: هل يصيب ذلك أحداً من أمتك؟ قال: نعم، حاكم جائز، وآكل مال اليتيم ظلماً، وشاهد زوراً.

### **الكشف البرزخي للمحدث القمي:**

قال المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي - وهو من اشتهر لدى الخاص والعام ورעה وتقواه وصدقه وطهارته - لأناس يثق بهم:

ذهبت يوماً في النجف الأشرف لزيارة أهل القبور وأرواح المؤمنين، وإذا بي عن بعد أسمع رغاء بغير كأنه يراد وشمه، بحيث يتراهى أن كل أرض وادي السلام تتزلزل وترتعش من صوت رغائه، فأسرعت إلى هناك لاستخلاصه، لما اقتربت لم أجد بغيراً، بل جيء بجنازة لتدفن وهذا الصراح من الجنازة هذه والذين كانوا في دفنه لم يطلعوا أبداً واشتغلوا بالأمر بكل طمأنينة واستقرار لا شك أن صاحب الجنازة كان رجلاً ظالماً معدياً فعوقب هكذا أول ارتحاله، أي قبل الدفن وعذاب القبر، استوحش من رؤية الصور البرزخية وصار يصرخ.

---

١- الكافي: ٢٥٣/٣، باب النوادر، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ١٧٠/٦، باب ٦، حديث ٤٦.

إذ سخر العالم للاسكندر، وان موته فجأة.

قال اصنعوا لي تابوتاً، اجعلوا لي موقعاً أمام مدتي.

افتحوا كفي أخر جوا يدي، زيدوا كل حين في النياح على.

لكي يرى الخلائق أن من المال والجيش والملك والسلطة يروا أن يدي مصفرة.

لو كان العالم بيدي حنذاك، فقد ذهبت من العالم خلو اليدين.

ليس ملك ومال هذا العالم حقيقة، لو وجدت الكل، مثل أنان، فليس

سوى لا شيء<sup>١</sup>.

### الكشف البرزخي للسيد جمال الدين الكلباني:

كان المرحوم آية الله السيد جمال الدين الكلباني من علماء ومراجع أواسط القرن الرابع عشر، وكان من حيث العلمية والعمل وبلحاظ القدر والكرامة وطهارة الروح والتقوى مورد قبول الجميع ولم يتردد أحد في مقاماته المعنية، حاز فضله المقام الأول في مراقبة النفس واجتناب الهوى، لغيرانه حكايات عن صوت مناجاته وبكتاه متتصف اليالي، أنس دائمًا بـ«الصحفية السجادية»، كانت آهاته محقة، دمعته جارية وكلامه نافذ وقلبه متخرق.

درس في شبابه بأصفهان وزامل المرحوم آية الله العظمى الحاج حسين البروجردي في الدرس والباحثة وكان آية الله البروجردي سواء حينما كان في بروجرد أو حين استوطن قم، يراسله ويستمد منه في بعض المسائل الغامضة والحوادث الواقعية!!

١- مثنوي، عطار نيسابوري.

قال هذا الرجل العظيم:

حينما كنت في شبابي بأصفهان درست لدى استاذي الكبيرين المرحومين الآخوند الكاشاني وجهازگير الشقائني، الأخلاق والسير والسلوك وكانا يربّيانني في هذه الأمور.

كانا أمراني أن أذهب ليلاً الخميس والجمعة إلى خارج مدينة اصفهان إلى مقبرة «تحت فولاذ» وأفكّر قليلاً في عالم الموت والأرواح واتبعّد قدرًا ما وأرجع صباحاً.

كنت معتاداً أن أذهب ليلاً الخميس والجمعة وأنحرّك قدر ساعة أو ساعتين بين القبور وفي المقابر وانفّكر، ثم بعد عدة ساعات استريح، واستيقظ لصلاة الليل والمناجاة وأؤدي صلاة الصبح وأرجع إلى اصفهان.

في إحدى ليالي الشتاء كان الجو شديد البرودة، الجليد يتتساقط، تحرّكت من اصفهان للتفكير في الأرواح وساكني ذلك العالم، ووصلت إلى «تحت فولاذ» وذهبت إلى إحدى الحجرات، أردت فتح المنديل التي كانت تحوي الطعام وأنتناول بعض اللقيمات، ثم أنام كي استيقظ متتصف الليل لاشتغل بالعبادة والمناجاة.

في هذه الليلة طرقوا باب المقبرة، ليضعوا هناك جنازة من أرحام وذوي متوكّي المقبرة وكانوا قد جاؤوا من اصفهان ولكنّي يشتغل قارئ القرآن - وهو المتصدّي لأمر المقبرة - بتلاوة القرآن ويعودوا هم في الصباح ويدفنوا الجنازة. وضع أولئك الجنازة وذهبوا واشتغل قارئ القرآن بتلاوة الآيات ما أن فتحت منديلي كي ابدأ بالأكل رأيت ملائكة العذاب قد جاؤوا وبدأوا

بتعديب الميت.

عبارة المرحوم الكلباني هكذا: كانوا يضربونه بمطارق من نار بحيث يتتصاعد لهيب النار إلى السماء ويرتفع من هذا الرجل صراغ يزليزل كل هذه المقبرة العظمى، لا أدرى أهل أي معصية كان؟ كان من حكام الجور والظلم فاستحق العذاب هكذا؟! ولم يطلع قارئ القرآن بهذا مطلقاً، وكان جالساً بهدوء أمام الجنازة ومشغول بقراءة القرآن.

خرجت عن حالي من مشاهدة هذا المنظر، ارتعد بدني، أصفر لوني، وكلما أشير إلى صاحب المقبرة أن افتح الباب أريد الذهاب لم يكن يفهم، أخيراً أفهمته، أني أريد الذهاب، فقال: الجو بارد، والجليد غطى الأرض، وفي الطريق ذئاب قد تفتكت بك، كلما كنت أحاول تفهيمه أن لا طاقة لي على البقاء لم يكن ليدرك.

لا محالة سحبت نفسي إلى باب الغرفة، فتح قارئ القرآن الباب وخرجت، مع أن المسافة لاصفهان لم تكن طويلة فقد أوصلت نفسي بصعوبة، في الطريق سقطت عدة مرات، جئت إلى حجرة المدرسة، مرضت اسوعاً، وكان المرحوم الآخوند وجهانگير خان يجيئان إلى غرفتي ويصفيناني ويعطيني الدواء للعلاج، كان وجهانگير خان يطبع لي اللحم ويضعه في فمي فهراً حتى قويت وعوقيت شيئاً فشيئاً !!

وكان يقول فضيلته: ذهبت يوماً في شدة حرارة الجو، لأجل فاتحة أهل القبور، إلى وادي السلام في النجف، فجلست فراراً من الحرارة تحت طاق، ورفعت العمامة ووضعت العباءة جانبأً كي استريح مقداراً من الوقت وأرجع، في هذه الأثناء، كانت جماعة من الأموات بألبسة متخرقة وقديمة وحالة في غاية

القدارة قادمين نحو ي طالبين مني الشفاعة؛ بأن حالتنا سيئة، اطلب من الله أن يغفو عنا!!

صرخت فيهم قائلًا: لطالما قالوا لكم في الدنيا لم تستمعوا والآن حيث فات الأوان، تطلبون الشفاعة؟ اذهبوا يا مستكثرون. ثم قال: كانت هذه الأرواح لشيخ من العرب عاشوا في الدنيا مستكثرين وكانت قبورهم حول القبر الذي كنت جالساً عليه!!

كانت هذه لمحّة من أحوال المتكبرين والظلمة في عالم البرزخ وأما ماسوف يرونه في القيمة من جزاء العمل فمما لا يمكن ذكره في هذه الرسالة، بإمكانكم مراجعة الآيات التي تعنى بقيمة الكفار والمعاندين والروايات الهامة جداً الواردة عن أهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

أنا بلبل عشقك في هذا البستان، يلهب النار حريق فراقك عشي.  
أنا طائر كسير الجناح من جور الصياد، ترحم يا الله العادل على جسمي  
وروحي.

شريد جبل وصحراء فراقك، كموسى أبني الخضر دون علامه.  
مضت من العمر سبعون والدنيا الدينية، تتلاعب بي من جديد وتظن  
أني شاب.

آه من سواد ليل فراقك يا قمر الرؤيا، أين نهار وصالك كي اعطي  
الروح بفرح.

جريح قلبي من جور وظلم الزمان، بشرني بوصال كي ترتاح نفسي.  
لا يمكن الأمان مع صيادي هذه الصحراء، إلا أنْ تهبني عينك أماناً.

«ذِكْرُ الْمَوْتِ يُمْبِي الشَّهَوَاتِ فِي النَّفْسِ وَيَقْطَعُ مَنَابَتَ الْغَفْلَةِ وَيَقْوِي الْقَلْبَ  
بِمَوَاعِدِ اللَّهِ تَعَالَى وَيُرِيقُ الطَّبَعَ وَيَكْسِرُ أَعْلَامَ الْهَوَى وَيُطْفِئُ نَارَ الْحِرْصِ  
وَيَحْفَرُ الدِّينَا». وَهُوَ مَعْنَى مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فِكْرٌ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةٍ سَنَةٍ وَذَلِكَ عِنْدَ مَا  
يَحْلُّ أَطْنَابَ خِيَامِ الدِّينَا وَيَسْدُدُهَا فِي الْآخِرَةِ.

وَلَا يَشْكُ بِنُزُولِ الرَّحْمَةِ عَلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ بِهَذِهِ الصَّفَةِ وَمَنْ لَا يَعْتَبِرُ  
بِالْمَوْتِ وَقْلَةً حِيلَتِهِ وَكَثْرَةً عَجْزِهِ وَطُولَ مُقَامِهِ فِي الْقَبْرِ وَتَحْيِرِهِ فِي الْقِيَامَةِ  
فَلَا خَيْرٌ فِيهِ».

## ذكر الموت:

في نهاية هذا الفصل، دققوا معـي برواية بـاب الموت المنقول من كتاب  
مصالح الشريعة:

ذكر الموت هو هـاد لـذـات النـفس الخـاطـئة، وـمقـتـلـع عـلـلـ الغـفلـة عـنـ الـحقـ  
سبـحانـهـ، وـمـقـويـ القـلبـ بـموـاعـدـ اللـهـ سـبـحانـهـ، وـمـرقـ الطـبعـ وـكـاسـرـ اـعـلامـ الـهـوىـ  
وـمـطـفىـ نـارـ الـحـرـصـ، وـمـحـقـرـ الدـينـاـ وـهـوـ مـعـنـىـ ماـ قـالـهـ الرـسـولـ ﷺـ:  
فـكـرـ سـاعـةـ خـيـرـ مـنـ عـبـادـةـ سـنـةـ وـهـوـ عـنـدـمـاـ يـحـلـ اـطـنـابـ الدـينـاـ بـالـتـفـكـيرـ بـالـموـتـ

والذهاب إلى الآخرة وشدّها هنالك.

لا شك أن التفكير في الموت يسبب نزول رحمة الحق تعالى على الآدميين، فالذى لا يفكر في الموت وعدم حيلة آنهٰنٰ وانكساره حينئذٍ وطول اقامته في القبر وحيرته وتعجبه يوم القيمة، فلا خير في حياته وعيشه.

«قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثُرُوا ذِكْرَ هَادِمِ الْلَّذَاتِ، قِيلَ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ الْمَوْتُ.

فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي سَعَةِ إِلَّا ضَافَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَلَا فِي شِدَّةِ إِلَّا  
أَتَسْعَتْ عَلَيْهِ. وَالْمَوْتُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ وَآخِرُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ  
الدُّنْيَا فَطُوبِي لِمَنْ كَانَ أَكْرَمَ عِنْدَ التَّنْزُولِ بِأَوْلَاهَا، وَطُوبِي لِمَنْ أَحْسَنَ  
مُشَايِعَتَهُ فِي آخِرِهَا.

وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ وَلْدِ آدَمَ وَهُوَ يَعْدُهُ أَبْعَدَ فَمَا أَجْرَأَ الْأَنْسَانَ عَلَى  
نَفْسِهِ وَمَا أَضْعَفَهُ مِنْ خَلْقٍ ! وَفِي الْمَوْتِ نَجَاهَ الْمُخْلُصِينَ وَهَلَكَ الْمُجْرِمِينَ  
وَلِذَلِكَ اشْتَاقَ مَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْمَوْتِ وَكَرِهَ مَنِ كَرِهَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ  
أَحَبَ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهِ لِقاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ».

### ذكر الموت:

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْثُرُوا ذِكْرَ هَادِمِ الْلَّذَاتِ؟ قَالَ  
الْمَوْتُ. مَنْ كَانَ فِي سَعَةِ الْعِيشِ، يُضْيقُ عَلَيْهِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَمَنْ كَانَ فِي ضِيقِ  
الْعِيشِ يُحرِرُهُ ذِكْرُ الْمَوْتِ مِنِ الشِّدَّةِ وَالْأَذَى فِي الْحَيَاةِ.  
الْمَوْتُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ وَآخِرُ مَنَازِلِ الدُّنْيَا، هَنِئًا لِذَلِكَ الَّذِي يَكْرِمُ حِينَ

ورود أول منزل فيجد أن الموت أحلى له من كل نعيم الدنيا مما كان له. الموت أقرب إلى الإنسان من كل شيء بينما يظننه الإنسان بعيداً، مع ضعف بنية الإنسان فكم جريء هو على نفسه، بمعنى أنه مع قرب الموت منه، لماذا لا يفكر بالعاقبة؟

الموت، سبب نجاة الصالحين من تعب الدنيا ومداعاة شقاء وهلاك للمذنبين، لذا فالمحلصون والعرفاء يعشقون الموت والمسيئون والماديون في وحشة وخشية من الموت.

قال رسول الله ﷺ: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره قرب الله ولقاءه كره الله لقاءه.

الباب

(٨٤)

في الحساب



قال الصادق عليه السلام:

لَوْلَمْ يَكُنْ لِلْحِسَابِ مَهْوَةً إِلَّا حَيَاءُ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْيَحةً  
هُنْكِ السُّرُّ عَلَى الْمَخْفَيَاتِ لَحَقَّ لِلْمَرءِ أَنْ لَا يَهْبِطَ مِنْ رُؤُوسِ الْجِبالِ وَلَا  
يَأْوِي عُمْرَانًا وَلَا يَأْكُلَ وَلَا يَشْرَبَ وَلَا يَنَامَ إِلَّا عَنْ اضْطِرَارٍ مُتَصَلِّ بِالتَّلَفِ  
وَمِثْلُ ذَلِكَ يَفْعَلُ مَنْ يَرَى الْقِيَامَةَ بِاهْوَالِهَا وَشَدَائِدِهَا قَائِمًا فِي كُلِّ نَفْسٍ  
وَيَعَايِنُ بِالْقَلْبِ الْوَقْوَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَارِ حِينَئِذٍ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْمُحَاسِبَةِ كَانَهُ  
إِلَى عَرَصَاتِهَا مَدْعُوًّا وَفِي غَرَّاتِهَا مَسْؤُولًّا.

قال الله تعالى:

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.  
وقال بعض الأئمة: حاسبوا أنفسكم قيل أن تحاسبوا وزينا أعمالكم  
قبل أن توزنا.

قال أبوذر رضى الله عنه: ذكر الجنة موت وذكر النار موت، فما عجبنا  
لمن يحيى بين موتين.

روى أن يحيى بن زكرياء عليهما السلام كان يفكرا في طول الليل في أمر الجنة  
والنار فيسهر ليلته ولا يأخذته النوم ثم يقول عند الصباح:  
اللهم أين المفتر وأين المستقر؟ اللهم إليك.

«لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْحِسَابِ مَهْوَلَةٌ إِلَّا حَيَاءُ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْيَحةٌ  
هَتْكِ السُّرُّ عَلَى الْمَخْفَيَاتِ لَحَقَّ لِلْمَرءِ أَنْ لَا يَهْبِطَ مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَلَا  
يَأْوِي عُمْرًا وَلَا يَأْكُلَ وَلَا يَشْرَبَ وَلَا يَنَامَ إِلَّا عَنِ اضْطُرَارٍ مُّتَصَلِّبٍ بِالْتَّلَفِ  
وَمَثْلُ ذَلِكَ يَفْعَلُ مَنْ يَرَى الْقِيَامَةَ بِاهْوَالِهَا وَشَدَادِهَا قَائِمًا فِي كُلِّ نَفْسٍ  
وَيَعَايِنُ بِالْقَلْبِ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَارِ حِينَئِذٍ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْمُحَاسَبَةِ كَانَهُ  
إِلَى عَرَصَاتِهَا مَدْعُوٌّ وَفِي غَمَرَاتِهَا مَسْؤُولٌ»

### مسألة الحساب:

إذا لم يكن للحساب يوم القيمة غير الهول والخوف من آثار الخجل من أن ت تعرض الأفعال والأعمال على الله سبحانه وتعالى وفضيحة هتك السر لخفايا الذنوب، لحق للمرء ان لا يهبط من قمم الجبال إلى الأسفل، ولا يسكن في بيوت عامرة ولا يأكل ولا يشرب إلا في حالة الإضطرار ولا ينام إلا في وقت الخوف من التلف، وهكذا كان حال الانبياء والأولياء عليهم السلام الذين رأوا أهوال يوم القيمة ببصيرتهم، فعاشوا قانعين بأقل ما يمكن، ولم يكونوا مبذرين في حياتهم وكانوا يشاهدون أهوال يوم القيمة في كل لحظة ويتصورها قائمة والخلاقين واقفين أمام الله سبحانه وتعالى وهو يحاسبهم جل وعلا حساباً دقيقاً على أقوالهم وأعمالهم.

من المسائل التي يجب على كل انسان ان يتوجه وينتهي إليها في جميع لحظات ودقائق حياته؛ هي مسألة حساب يوم القيمة التي فرضها الله سبحانه وتعالى على جميع شؤون حياتنا في الدنيا.

إن مسألة الحساب ومحاسبة الاعمال سواء كانت هذه الاعمال ظاهرية أو باطنية، كبيرة أو صغيرة، أمر لا بد منه ولا مفر منه وهي حقيقة لا يمكن جحودها.

هناك ملف لجميع أعمال الإنسان ينظمه الملائكة الم وكلون بذلك من قبل الله سبحانه وتعالى والذى ذكرهم في كتابه بالرقيب والعتيد<sup>١</sup> او الكرام الكاتبين<sup>٢</sup>، ووفقاً لذلك الملف يحاسب الإنسان.

ووفقاً لآيات الله الكريمة، فإن الشهود على اعمال الإنسان يوم القيمة هم الأيدي والأرجل<sup>٣</sup> والأذن والعين<sup>٤</sup> والأرض وشخص رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار علية السلام<sup>٥</sup> وخيراً رب العزة والجلالة ولا مجال لأي إنسان لإنكار شيء من أعماله أو ردّها.

يعبر القرآن الكريم عن يوم القيمة بـ يوم الحساب، بمعنى ان الانسان يحاسب على جميع أعماله الظاهرة والباطنية في ذلك اليوم، وعلى أساس تلك المحاسبة يعامل مع الإنسان.

١ - ق ١٨:٥٠.

٢ - الانفطار ١١:٨٢.

٣ - يس ٣٦:٦٥.

٤ - فصلت ٤١:٢.

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضْلِلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾<sup>١</sup>.

نعم، في يوم الحساب يوم يحاسب فيه الإنسان على إيمانه وأخلاقه وأعماله، وهو دقيق لدرجة أن جميع البشر يتعجبون منه.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ

وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَنَا مَا لَهَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا

كَبِيرَةً إِلَّا أَخْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ

رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>٢</sup>.

نعم، تتجسم جميع أعمال الإنسان من الحسنات والسيئات والظلم والعدل والفسوق والخيانة و... أمام عينيه.

إن الشيء الذي يعيقهم في ذلك اليوم هو اعمالهم في الدنيا فقط، لذا لا يستطيعون ان يلوموا احدا غير انفسهم.

يقول الإمام الصادق ع: إذا كان يوم القيمة دفع إلى الإنسان كتابه، ثم قيل له: أقرء، قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: إن الله يذكره بما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلا ذكره، كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا:

«يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصيها»<sup>٣</sup>.

١ - ص ٣٨:٣٦.

٢ - الكهف: ٤٩:١٨.

٣ - تفسير العياشي: ٣٢٨/٢، حديث ٣٤؛ بحار الأنوار: ٣١٥/٧، باب ١٦، حديث ١٠.

## كيفية الحساب يوم القيمة:

يستفاد من آيات القرآن الكريم أن هنالك في صحراء المحشر العظيم خمس أنواع من الحساب حسب أعمال الإنسان وهي:

- ١ - بغير حساب.
- ٢ - سريع الحساب.
- ٣ - يسير الحساب.
- ٤ - شديد الحساب.
- ٥ - سوء الحساب.

### ١ - بغير حساب:

**﴿فَلْ يَأْبَادُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.**

تعني عبارة (بغير حساب) وفق التحقيقات العلمية التي قام بها صاحب كتاب الميزان<sup>١</sup> هي عدم محاسبة مجموعة من رجال الحق؛ أو بعبارة أخرى دخول المؤمن إلى صحراء المحشر ثم دخوله الجنة دون تأخير، ودون ان يفتح كتابه للمحاسبة أو يوزن.

فهؤلاء هم أناس أصحاب كرامة، الذين صبروا واستقاموا امام انواع المصائب

١ - الزمر: ٣٩.

٢ - الميزان: ٢٥٨/١٧

والشدائد من أجل حفظ إيمانهم ودينهم والدفاع عن الثقافة الإلهية، ولم يخلوا في هذا الطريق بأي شيء فبذلوا دمائهم وأموالهم حتى نالوا شرق لقاء و وصال حضرة الحبيب.

فهذا النوع من المعاملة التي يعامل بها العباد المخلصين من قبل حضرة الحق سبحانه وتعالى هي معاملة خاصة التي عبر عنها القرآن الكريم بـ(غير حساب).  
نعم، فرجال الحق وعشاق جمال حضرة المحبوب وعرفاء المعارف الإلهية واصحاب البصيرة ومتلهفي طريق العشق، كل هؤلاء لهم افضلية على سائر الناس يوم القيمة.

فهؤلاء لم يغفلوا حتى لحظة واحدة عن حضرة الحبيب، ولم يكن لهم ورد في شفاء ارواحهم وألسنتهم ابدانهم سوى ذكر الحبيب ودعاهه ولم يعملوا عملاً ليس لله فيه رضاً قط، ولم يرفعوا قدمًا إلا من أجل نيل رضا حضرة المحبوب جل وعلا.

إن الذي يتلي بمرض العشق، من المستحيل أن يتعافي.

ولا أغمض عيني عنه أبداً، حتى ولو أن عظامي تصبح رماداً.  
فما أقل اللقاء، فدقيقة هجرانك، تمر علينا كألف سنة.

لا أرى الحنان في هذه الدنيا، نعم النور منطفأ وتدور الدنيا كالرحي.  
فليهب ريح العشق على القلب المظلم، قد حان الوقت لتصبح الدنيا مضيئة.  
إذا هب ريح الصبا في أزفة زلف شعرك، سوف يواجه آلام الليل وقطاع الطرق.  
لست أنا من هؤلاء الذين يشكون ألم الفراق، حتى لو أن جميع مفاصل جسدي تفصل عن بعضها.

## ٢ - سريع الحساب:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبُّنَا أَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ  
حَسَنَةٌ وَقَدْ نَأَيْنَا عَذَابَ النَّارِ \* أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا  
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

هناك مجموعة من الناس ليس لديهم هدف غير الأمور المادية والمسائل الظاهرة هؤلاء ليس لديهم نصيب من هذه الدنيا إلا الأكل واللبس والسكن. ولكن هناك مجموعة أخرى من الناس استطاعوا من خلال المعرفة والإيمان والتفكير، أن لا يقيدوا أفكارهم في المسائل المادية البحتة بل استطاعوا أن يجعلوا شؤونهم الدنيوية مقدمة لرشدهم وتكاملهم المعنوي ولاخرتهم وللسعادة والخلود الأبدي، وهذه الآية الكريمة هو منطق الإسلام المتعالي حول المسائل المادية والمعنوية الذي يدين أولئك الغارقين في الماديات.

## المعاني الحسنة في الروايات:

إن كلمة الحسنة لها معاني متعددة في الآية الشريفة، وتشمل جميع المواهب المادية والمعنوية، وقد أشارت بعض الروايات في توضيح معنى الحسنة إلى بعض من مصاديقها.

قال رسول الله ﷺ: «من أوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وأخرته فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووفي عذاب النار».

١- البقرة: ٢٠٢-٢٠١.

٢- فقه القرآن: ٢٩٩/١، باب في ذكر أيام التشريق يكون فيها...

أولئك الذين لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب. سريع الحساب من أسماء الله سبحانه وتعالى، ولأن الوجود المقدس لله جل وعلا حاوي لجميع صفات الكمال، ولا توجد لحضرته جل وعلا أي محدودية في الوجود أو القدرة، فمن هذا المنطلق ليس من الصعب أن يحاسب الخلق كلهم في لحظة واحدة. فقد جاء في الحديث:

أن الله سبحانه يحاسب الخلق كلهم في مقدار لمح البصر<sup>١</sup>.

إن التأخير الذي يحدث في محاسبة العباد يوم القيمة هو ناشيء من أعمالهم وليس لضعف المحاسب، أولئك الذين أخروا حقوق حضرة الحق سبحانه وتعالى وحقوق العباد، فأنهم في يوم القيمة في مرحلة الحساب سيتأخرون ربما آلاف السنين الاخروية وسيطول هذا التأخير مثلما أشارت بعض الروايات لهذه المسألة المهمة، بينما أولئك الذين أدوا الفرائض واجتنبوا المحرمات ولم يؤخروا حقوق الآخرين، بالطبع فإنهم سيكونون مشمولين بنسميم رحمة سريع الحساب يوم القيمة ويدخلون الجنة في طرفة عين. فقد عبرت المعارف الإلهية عن هؤلاء بمنع البركة، وعين الرحمة، والإنسان المؤمن، ونور الطريق والموجود الإلهي، أولئك الذين لم يطمعوا في طوال حياتهم بغير الله ورضاه وكان سعيهم من أجل تأمين السعادة الخالدة فقط وكان محور عشقهم هو حضرة المحبوب سبحانه وتعالى.

### ٣ – الحساب البسيط:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ \* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾<sup>٢</sup>.

١ - بحار الأنوار: ٢٥٣/٧، باب ١١.

٢ - الإنفاق ٨٤: ٨-٧

نعم، أصحاب اليمين هم الذين يملكون الإيمان والأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة وفي يوم القيمة يشملهم العفو والرحمة، واللطف والعناية، والمحبة والرحمة وهذه الحقيقة التي تصبح من نصيبيهم هو الحساب اليسير.

#### ٤ - الحساب الشديد:

**﴿وَ كَائِنٌ مِّنْ قَرِيبَةٍ عَتَّٰتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسِبَنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَ عَذَّبَنَاهَا عَذَّابًا نُكَرًا﴾.**

إن المقصود من الحساب الشديد هو حرمان أصحاب السيئات من العفو والرحمة واللطف اللهي.

#### ٥ - سوء الحساب :

**﴿الَّذِينَ يُوقَنُ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقَضُونَ الْمِيثَاقَ \* وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.**

نعم، عندما لا ينظر العبيب في تلك الصحراء العظيمة في يوم القيمة إلى الإنسان ويحرمه من لطفه ورحمته وعنايته بسبب ذنبه ولا يتغوه شافع أو ناصر بكلمة لنجاته ويكون عمله مع المحاكم الصعبة وملائكة العذاب وعمال الغضب الإلهي، عندها يقال لهذا الحساب سوء الحساب.

يقول الفيصل الكاشاني ذلك العارف الزاهد والعاشق التائه:

حذار أن هنا ذرة حساب، هنا ديوان الحساب والكتاب.

هنا يوم الحشر والنشور والصراط والقيمة، هنا ميزان الثواب والعقاب.

مرء ما يحصل على الفردوس النعيم، والأخر يحصل على العذاب الجحيم هنا.

والذي بحساب علمه في كل لحظة، هنا يخاطب الحبيب ويعاتبه.

والذي يملك إذناً واعية وعيين بصيرتين، تبرى هنا ما نوع الحساب وما نوع الكتاب.

فالجميع هنا يحصلون على جزاء أعمالهم، فخذلني معك ان هنا لحساب.

في خطاب الله الزاهدين بنعم في يوم القيمة، ومعنا أيضاً خطاب هنا.

إذا قضينا لحظات عمرنا كما أمرنا القرآن المجيد والأنبياء العظام والأئمة

الكرام عليهما السلام بمراقبة ومحاسبة النفس فإننا يوم القيمة أما أن تكون من أصحاب

«بغير حساب» أو ضمن أصحاب «الحساب البسيط» وإلا فإننا نواجه في يوم

القيمة حساباً شديداً أو تكون من أصحاب سوء الحساب.

### محاسبة الأعمال:

إذا عاش الإنسان محاسباً لنفسه، بمعنى أنه في جميع أموره وفي كل شؤونه

وفي كل قدم يخطوه، وفي كل حديث يريد أن يتفوّه به، وعموماً في كل عمل

يريد القيام به، بأن يجعل الله سبحانه وتعالى ويوم القيمة أمام عينه وأن يؤدي

أعماله متناسباً مع أوامر الله سبحانه وتعالى وأوامر ونواهي الأنبياء والأئمة عليهما السلام،

فإنه في الحقيقة في أفضل وأعلى مرتبة.

إن محاسبة النفس هي من أعلى منازل العرفان وعمل ثمين يؤديه أهل

المعرفة والبصيرة ونقل لكم هنا في هذا المجال مقدمة حول المقامات المعنية:

**﴿هُوَ أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدِ﴾<sup>١</sup>.**

كيف أرفع رأسي من التجلُّ أمام الحبيب، في الوقت الذي لم استطع أن أقدم شيئاً من الخدمة له  
يقول الله سبحانه وتعالى:

**﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾<sup>٢</sup>.**

فكل ما يرتكبه العباد من الحسن والسيء، والقبيح والجميل، والصواب والخطأ، فإن الله سبحانه وتعالى يعلم حسابها وفي يوم القيمة يحاسبهم على ذلك الحساب.

**﴿هُذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَسْعِي مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>٣</sup>.**

فهذا الحساب الذي يكون للملك على المملوك وللمعبد على العبد، فعلى العبد أيضاً أن يكون لديه حساب.

وما أجمل ما قاله مولى الموحدين وإمام العارفين أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ:  
**«عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُؤْزَنُوا وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسِبُوا»<sup>٤</sup>.**

فالسالكون إلى الله سبحانه وتعالى هم أهل الحساب، فهم دائماً يحسبون أنفسهم، فإن أخطأوا لحظة فسرعان ما يعاتبون أنفسهم، ويقبحونها وينبهونها

١- الحشر: ١٨: ٥٩.

٢- الرعد: ٤٠: ١٣.

٣- الجاثية: ٤٥: ٢٩.

٤- نهج البلاغة: خطبة ٩٠؛ بحار الأنوار: ٤، ٣١٠، باب ٤، حدث ٣٨.

ويردعونها بعمل حسن وعبادة، حتى ترجع إلى مدار العبادة والتقوى. فالذنب يؤثر على القلب ويجعله ملوثاً ومظلماً، فما دامت آثار الذنب باقية، فإن القلب يبقى مكتبراً ومنقبضًا، فالسالك كي يكفر عن ذنبه فإنه يبادر بعمل الخير ويسأله سبحانه وتعالى المغفرة وأن يزيل عن قلبه الظلام. فإذا لم ينتبه السالك إلى ذنبه، ولم يحاسبها ولم يصلح سيناته بالحسنات، فإن سيناته تزداد ويزداد الظلم في قلبه فيصل المطاف بالإنسان أن آثارسوء للذنب يجعله لا يبالي بالذنب وتنمّعه من طريق العرفان ففي هذه الحالة فالله سبحانه وتعالى يسلب منه حالة الطلب وبعد ذلك لا تكون لديه رغبة أو ميل لأعمال الخير والصواب.

فالتاجر والعامل مثلاً كي يكون لديهما علم بحساب ثرواتهم تكون لديهم عدة دفاتر، فدفتر للملاحظات، ودفتر للأعمال اليومية، ودفتر رئيسي، ودفتر للصندوق، ودفتر للمخزن، ودفتر للأموال، وبعض الدفاتر الأخرى، فالناتج كي يكون لديه علم واضح بحساباته يجب عليه أن يعلم بجميع هذه الدفاتر. فدفتر الصندوق يظهر لنا الصادرات والواردات، ودفتر المخزن يظهر لنا الأجناس الصادرة والواردة، والدفتر الرئيسي يبين لنا القروض ودفتر الأعمال اليومية يوضح لنا العمليات اليومية.

في إحدى صفحات الدفتر الرئيسي يتم تسجيل الربح والخسارة وهذه الصفحة توضح لنا حالة التاجر، وعندما يشاهد التاجر خسارته تفوق أرباحه وقروضه تزداد على أرباحه فكم سيصبح مضطرباً؟

والسالك أيضاً يجب عليه أن يكون مثل التاجر بأن يمتلك جميع أنواع الحسابات، أن يكون لديه علم بحساب عينيه، وحساب أذنيه، وحساب لسانه،

وقلبه وحساب يديه وقدميه كي يعلم ما لديه من عمل، ماذا يرى، ماذا يسمع، إلى أين يذهب، وماذا يحب...، فإذا لم يكن لديه علم بحساب ذلك، فمثلك كمثل التاجر الذي لا يملك كتاباً للحساب وتكون نتيجته للخسران في النهاية.

فالسالك بعد عقد التوبة، فإنه يضع قدمه في طريق المحاسبة ومن الواضح عندما يشعر المرء بالضرر في أي أمر كان فإنه يحتاط، فالتاجر حينما يتضرر فإنه يحسب خسارته، ودائماً يتضرر متى يستطيع أن يعوض خسارته، والذي يُطرد بسبب ارتكاب ذنب وبعد ذلك يتوب، فإنه لديه علم بخلافه ومعصيته حتى لا يكرره، فعلى هذا الأصل فإن المحاسبة تأتي بعد عقد التوبة.

### السالك ومحاسبة ثلاثة أصول:

في مسألة محاسبة السالك يجب أن يتحقق بدقة في أصول ثلاثة وأن يستفاد من تلك الثلاثة أصول السالك لنفسه.

**الأصل الأول:** أن ينظر إلى جنایاته وعصيانيه والنعم التي أنعمها الله سبحانه وتعالى عليه، وأن يجعل هذين الشيئين وجه لوجه، فمن البديهي أن الذي لا ينعم بنور الحكم ولا يسيء الظن بنفسه لا يستطيع أن يقيس هذين الشيئين، ومن الصعب أن يفهم أن النعمة فتنّة وأن الله سبحانه وتعالى أنعم عليه ليتحمّه والاستدراج ظاهراً هو الإحسان ولكن في الباطن هو الخذلان.

في الاستدراج، يكون الإنسان مغور وبطر، بمعنى أنه مشغول بالنعم التي أنعم الله عليه، وهي قد أغفلته عن ذكر الله جل وعلا، وكثرة النعم جعله يزداد بعدها عن الحق، وهذه هي الفتنة والامتحان بالنعم.

**﴿وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدِرُ رَجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا﴾**

يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

الأصل الثاني: هو أن يفهم السالك بأن الطاعات والعبادات التي على عاتقه هي من حضرة الحق عليه ويعلم أن إصلاح حاله يتم عندما يؤدي الفرائض، والأعمال التي تصدر منه باسم الطاعة والعبادة لا يترتب عليها جزاء استحقاقاً، وإن كانت العبودية واجبة وأداء الطاعات هي لإصلاح حاله.

فالطبيب يعطي المريض نسخة الدواء، فالطبيب له المنة على المريض فإذا عمل المريض بنسخة الطبيب، فهل يجب علينا أن نمن على الطبيب؟ فالطاعات والعبادات هي الأدوية التي تعالج أمراض الغفلة والجهل فإذا قام المرء ليعالج تلك الأمراض بأداء الطاعات والعبادات فهل يجب عليه أن يمن على الله سبحانه وتعالى؟

هناك مجموعة من الناس عندما دخلوا إلى دين الإسلام منوا على رسول الله ﷺ فخاطبهم الله سبحانه وتعالى:

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ

اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

فالعبد الحقيقيين لله يقولون: إن الله من علينا عندما أمرنا بالطاعة والعبادة.

الأصل الثالث: هو أن لا يظهر السالك الرضا عندما يقوم بعمل ما أو يفرح من عمله.

إذا قام السالك بعمل ما فلا يجب عليه أن يظهر الرضا والفرح من عمله، لأنه

عندما ترضى النفس من العمل تعطي نتائج عكسية.

١- الاعراف: ٧٤٢.

٢- الحجرات: ٤٩.

فالأمر الذي ترتضيه النفس لا يرضاه الله سبحانه وتعالى، والأمر الذي يرتبته الله سبحانه وتعالى لا ترتضيه النفس، لذلك قيل:

«أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»<sup>١</sup>.

عندما يظهر السالك الرضا من عمله فهذا يدل على أن السالك حتى الآن لا يعرف مقام المعبود وعزته كبرياته، ولا يعلم أيضاً بأن أي أمر لا يستطيع أن يؤدي حق عبادته وعباديته.

يقول الشاعر سعدي: عاكفوا الكعبة العظيمة يعترفون بالقصير ويقولون  
 «ما عبدناك حق عبادتك»<sup>٢</sup>.

والواصفون لجماله متذمرون ويقولون:  
 «ما عرفناك حق معرفتك»<sup>٣</sup>.

إذا أدعى السالك بأنه قام بخدمة ويرى نفسه بأنه يستحق الجزاء والثواب مع أن هذا الرأي غير مقبول، ويقال بأن العارف السالك لا يدعى ولا يظهر هذا المطلب بتاتاً.

فإذا كان رضا السالك بالنسبة لأداء الفرائض من هذه الناحية بأن يقول: الحمد لله الذي وفقني لطاعته. مع أنني لست أهلاً لهذا العمل، هذا النوع من إظهار الرضا من السالك ليس فيه ضرر، فالضرر يكون حينما يحسب السالك لعمله حساباً ويعتقد بأن هذا العمل لائق لمقام وكبريات الله سبحانه وتعالى.

١- مجموعة ورام: ٥٩/١، باب العتاب، بحار الأنوار: ٦٤/٦٧، باب ٤٥، حديث ١.

٢- بحار الأنوار: ٢٣/٦٨، باب ٦١.

٣- عوالي الراكي: ١٣٢/٤، حديث ٢٢٧؛ بحار الأنوار: ٢٣/٦٨، باب ٦١.

«قال تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾»<sup>١</sup>.

وقال بعض الأئمة عليهم السلام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا. قال أبو ذر رض: ذكر الجنة موت وذكر النار موت، فيا عجباً لمن يحيى بين موتين. روى أن يحيى بن زكرياء عليه السلام كان يفكر في طول الليل في أمر الجنة والنار فسهر ليلته ولا يأخذه النوم ثم يقول عند الصباح: اللهم أين المفر وأين المستقر؟ اللهم إليك.

## كمية وكيفية الأعمال:

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

نحن نعلم جميع أعمال العباد بكمها وكيفها، وسوف نحاسبهم على جميع تلك الأعمال وإن كانت مثقال ذرة من خردل، ولا يمر عمل دون حساب وإن كان صغيراً أو كبيراً، أو لا توضع في ميزان العدالة.

وقال بعض الأئمة عليهم السلام: حاسبوا أنفسكم قبل يحاسبونكم، وزنوا أعمالكم قبل أن يزنوا أعمالكم.

وقال أبو ذر رض: إن ذكر الجنة والنار موت، ذلك أن الوصول إليها إنما يحصل بعد الموت، فيا عجباً لِإِنْسَانٍ غافل عن الموت مع أنها حقيقة.

وروي عن يحيى بن زكرياء رض أنه كان يقضي تمام ليله بالتفكير في الجنة والنار، إلى أن يصبح الصباح فيقول: إلهي أين المفر؟ إلهي أين المستقر؟ لا مفر ولا مستقر إلا إليك.



الباب

(٨٥)

في حُسن الظن



قال الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ:

حسن الظن اصله من حسن ايمان المرء وسلامة صدره وعلامته ان  
يرى كل ما نظر إليه بعين الطهارة والفضل من حيث ركب فيه وقدف من  
الحياء والأمانة والصيانة والصدق.

قال النبي ﷺ: أحسنوا ظنونكم يا إخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب  
ونقاء الطبع.

قال أبي بن كعب: إذا رأيتم أحد إخوانكم في خصلة تسنكرونها منه  
فتاؤلوها سبعين تأويلاً فإذا اطمأنتم فلوبكم على أحدها وإنما فلوموا  
أنفسكم حيث لم تذرروه في خصلة يسترها عليه سبعون تأويلاً وأنتم  
أولى بالإنكار على أنفسكم منه.

أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عَلَيْهِ الْكَلَمُ: ذكر عبادي الآئي ونعمائي  
فإنهم لم يروا مني إلا الحسن الجميل لثلاً يظنوا في الباقي إلا مثل الذي  
سلف مني إليهم، وحسن الظن يدعو إلى حسن العبادة والمغrror يتمادى  
في المعصية ويتمنى المغفرة ولا يكون حسن الظن في خلق الله إلا  
المطیع له يرجو ثوابه ويخاف عقابه.

قال رسول الله ﷺ: يحكى عن ربه تعالى: أنا عند حسن ظن عبدي  
بي، يا محمد فمن زاغ عن وفاءحقيقة موجبات ظنه بربه فقد أعظم  
الحجّة على نفسه وكان من المخدوعين في أسر هواه.

«حسن الظن اصله من حسن ايمان المرء وسلامة صدره وعلامته ان يرى كل ما نظر إليه بعين الطهارة والفضل من حيث ركب فيه وقدف من الحياة والأمانة والصيانة والصدق.

قال النبي ﷺ: أحسنوا ظنونكم بأخوانكم تغتتموا بها صفاء القلب ونقاء الطبع.

قال أبي بن كعب: إذا رأيتم أحد إخوانكم في خصلة تستنكرونها منه فتأولوها سبعين تأويلاً فإذا اطمأنتم قلوبكم على أحدها وإنما فلوموا أنفسكم حيث لم تغدوه في خصلة يسترها عليه سبعون تأويلاً وأنتم أولى بالإنكار على أنفسكم منه»

### حسن الظن:

تعد مسألة حسن الظن أو تحديداً حسن الظن بالله سبحانه وتعالى وبعباده من أهم المسائل الإلهية والإسلامية.

حسن الظن بالله سبحانه وتعالى وبعثياته وألطافه بالطبع إنما يكون بعد الإيمان والعمل الحقيقي الذي وصى به الله جل وعلا والأنبياء والأولياء الإنسان، فمن تحلى بها سوف تزداد في حالة الشوق والاشتياق إلى العبادة والسفر إلى حضرة

الحبيب بصورة غير طبيعية أكثر من أي زمن ما يهيء ويعد نفسه، وإن سوء الظن بالله سبحانه وتعالى هي ثمرة الكسل في العبادة واليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى.

حسن الظن بالناس أمر لازم وحقيقة واجبة، لأن كرامة وماء وجه الناس وخلق الله سبحانه وتعالى هو في حسن الظن بالناس، فإذا أساء المرء الظن في أقل وأصغر الأعمال التي تصدر من الناس ولا يحمل أخيه على محمل الصدق، فماذا يبقى من الكرامة وماء الوجه بينهم؟

فالذين يسيئون الظن بالناس سواء أظهروا سوء ظنهم، أم لم يظهروه فهم مذنبون من وجهة نظر الشارع المقدس، ويسجل سوء الظن هذا في كتاب أعمالهم ويحاسبهم الله سبحانه وتعالى في يوم القيمة.

يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ حَوْلَ حُسْنِ الظُّنُونِ :

حسن الظن اصله من حسن ايمان المرء وسلامة صدره وعلامته ان يرى كل ما نظر إليه بعين الطهارة والفضل من حيث ركب فيه وقدف من الحياة والأمانة والصيانة والصدق.

وهدف الحياة هو حسن الظن والحياة من سوء الظن بالآخرين وكذلك الأمانة في الأفكار على عكس الخيانة والتعدى على حقوق الآخرين والصيانة وصدق الباطن الذي يتطلب الصفاء والطهارة، ومخالفة الأعمال والأقوال والنصائح الخاطئة، وكذلك صفة حفظ وحماية نفسه عن المعايب والتواقص ونقاط الضعف الذي لا يجعل الإنسان أن يتلوث بسوء الظن.

فحسن الظن هو ثمرة تهذيب القلب من الصفات الرذيلة وتحليه بالصفات الحميدة، فبدون هذين المقدمتين من المستحيل أن يستطيع الإنسان امتلاك صفة

حسن الخلق. فالقلب الذي نبتت فيه صفات البخل والحسد أو الكبر أو العجب أو حب الدنيا والشهوات النفسانية كيف يستطيع أن يحسن الظن ويحب الخير والسعادة والنفع للآخرين؟

يقول رسول الله ﷺ: أحسن الظن بإخوانك في الدين حتى يصبح قلبك في طاهراً.

يقول أبي بن كعب: حينما شاهد أحد إخوانك في الدين على هيئة مذمومة أو يعمل عملاً قبيحاً، فاحمله على سبعين محمل و معنى صحيح فإذا لم تطمئن قلوبكم، لوموا أنفسكم وحاسبوها على أنها لم تستطع أن تستر عيب أخيه عندما شاهدت منه صفة مذمومة وكانت تستطيع أن تحملها على سبعين محمل ولم تذرره، لذا فهذو نفوسكم القلقة أولى باللاملة والمحاسبة.

سوء الظن في القرآن الكريم:

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيشَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

في هذه الآية والتي نزلت حول البهتان فيها تعبير لطيف حينما شبه الذنب بالسهم، واتهامه للآخرين بمثابة رمي لهدف.

وهي إشارة إلى أنه مثلاً يمكن للرامي نحو الآخرين أن يصيبهم ويدهش بهم وجههم التي هي بمنزلة دمائهم، فمن البديهي أن يبقى وزره وقبحه على عاتق المرء الذي اتهم الغير.

﴿فَوَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولِئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾.

﴿فَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ طَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ \* لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ \* وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً فِي الدِّينِ وَالْآخِرَةِ لَمَسَكُمْ فِي مَا أَفْضَلْتُمْ فِيهِ عَذَابًا عَظِيمًا \* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتَّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَبَّا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَبِمَا أَيْمَنَهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ إِنَّ الظُّنُنَ إِثْمٌ وَلَا تَجْسِسُوا﴾.

سوء الظن في الروايات:

عن الصادق عليه السلام: «البهتان على البري أثقل من الجبال الراسيات»<sup>٤</sup>.

١- الإسراء: ١٧. ٣٦

٢- النور: ١٢-١٥. ٢٤

٣- الحجرات: ٤٩. ١٢

٤- أمالى الشيخ الصدق: ٢٤٤، المجلس الثالث والأربعون، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٩٤/٧٢، باب ٦٢، حديث ٣.

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«المؤمن لا يغش أخيه ولا يخونه ولا يخذله ولا يتهمه، ولا يقول له: أنا منك بريء، وقال عليه السلام: اطلب لأخيك عذرا فان لم تجد له عذرا فالتمس له عذرا، وقال عليه السلام: اطرحوا سوء الظن بینکم فان الله عزوجل نهى عن ذلك»<sup>١</sup>.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه اقامه الله تعالى يوم القيمة على كل من نار حتى يخرج مما قال فيه»<sup>٢</sup>.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الكذب»<sup>٣</sup>.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كم بين الحق والباطل؟ فقال: أربع أصابع ووضع أمير المؤمنين يده على اذنه وعينيه، فقال: ما رأته عيناك فهو الحق وما سمعته اذناك فأكثره باطل<sup>٤</sup>.

عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: إذا اتهم المؤمن أخيه إنما إيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء<sup>٥</sup>.

١- الخصال: ٦٢٢/٢، حديث ١٠، بحار الأنوار: ١٩٤/٧٢، باب ٦٢، حدث ٤.

٢- عيون أخبار الرضا: ٣٣/٢، باب ٣١، حدث ٦٣، بحار الأنوار: ١٩٤/٧٢، باب ٦٢، حدث ٥.

٣- قرب الإسناد: ١٥؛ وسائل الشيعة: ٥٩/٢٧، باب ٦، حدث ٣٣١٩٢.

٤- الخصال: ٢٣٦/١، حدث ٧٨، بحار الأنوار: ١٩٥/٧٢، باب ٦٢، حدث ٩.

٥- الكافي: ٣٦١/٢، باب التهمة وسوء الظن، حدث ١، وسائل الشيعة: ٣٠٢/١٢، باب ١٦١، حدث ١٦٣٥٩.

---

الذي يريد أن يجتب من هذا الذنب العظيم يكفيه كل هذه الآيات والروايات حول هذا الموضوع.

في الحقيقة، عندما ينحرف القلب عن سبيل الله ويستخدم اللسان بعد انحرافه في خدمة الشيطان فما أعظم الأضرار التي لا يمكن إصلاحها والتي يوجهها نحو الناس الكرام والمظلومين والبريشين.

إذا لم تشمل ألطاف حضرة الحبيب وعنايته الإنسان فإنه سوف لن يستطيع أن يرى وجه السعادة إلى الأبد ولن ينال وصال حضرة الحبيب ولن يشمله فيضه.

«أَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ ذِكْرُ عِبَادِي الْأَئَمَّةِ وَنَعْمَائِي فَإِنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا مِنِّي إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ إِنَّهُ يَظْنُونَا فِي الْبَاقِي إِلَّا مِثْلَ الَّذِي سَلَفَ مِنِّي إِلَيْهِمْ، وَحُسْنُ الظَّنِّ يَدْعُونَا إِلَى حُسْنِ الْعِبَادَةِ وَالْمَغْرُورُ يَتَمَادِي فِي الْمَعْصِيَةِ وَيَتَمَنِي الْمَغْفِرَةَ وَلَا يَكُونُ حُسْنُ الظَّنِّ فِي خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا مُطْبِعٌ لَهُ يَرْجُو ثَوَابَهُ وَيَخَافُ عِقَابَهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَحْكَى عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى: أَنَّا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بْنِ يَا مُحَمَّدٍ فَمَنْ زَاغَ عَنْ وَفَاءِ حَقِيقَةِ مُوجِباتِ ظَنِّهِ بِرِبِّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْحُجَّةَ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ مِنَ الْمَخْدُوعِينَ فِي أَسْرِ هَوَاهُ»

### حسن الظن بالله المتعال:

يشير الإمام الصادق ع إلى مسألة حسن الظن بالله المتعال ويقول: أن الله سبحانه وتعالى أوصى إلى نبيه داود علية ذكر عبادي بمعنى الظاهرية والباطنية، لأنهم لم يروا مني طيلة حياتهم إلا الحسن الجميل، ولا يتوفعوا مني في المستقبل والآخرة إلا الحسن الجميل.

ويقتضي حسن الظن بالله سبحانه وتعالى أن يشكر المرء كل هذا الإحسان والنعم التي أنعم الله جل وعلا عليه ويعبده، وأن لا ينخدع بنفسه ولا يغتر بأن يغفل الإنسان عن ربِّه ولا يجتنب المعاصي وأن يتمني المغفرة في الوقت الذي

هو ملوث بالذنوب فهذا المعنى خارج عن معنى حسن الظن، وليعلم الجميع أن حسن الظن إنما يكون بعد الإيمان والعمل الصالح مثلما دلت عليه آيات الله سبحانه وتعالى.

فحسن الظن إنما يكون له حقيقة وواقع وصحيح عندما يبادر الإنسان بالطاعة والشكر وأداء الوظائف ثم يتوقع من الله سبحانه وتعالى الإحسان والتعمة والرحمة، هذا في الوقت الذي فيه الإنسان يحسن الظن بالله بعد الإيمان والعمل، فإنه دائمًا يخاف من عذاب وقهر الله سبحانه وتعالى ومن المعاشي.

يحكى رسول الله ﷺ عن الله سبحانه وتعالى قوله:

أنا عند حسن ظن عبدي وأتعامل معه كما بظنه وعندما لا يعمل المرء بحسن ظنه وزاغ الوفاء عن ظنه، في الحقيقة قد أضر نفسه في كل لحظة وخالف إدعائه وإظهاره وأقام العجّة والبرهان على نفسه وكان من المخدوعين ومن الذين اتبعوا أهوائهم.



باب

(٨٦)

في التفويض



قالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الْمُفَوَّضُ أَمْرَةُ إِلَى اللَّهِ فِي رَاحَةِ الْأَبْدِ وَالْعِيشِ الدَّائِمِ الرَّغْدِ، وَالْمُفَوَّضُ  
حَقًا هُوَ الْعَالَىٰ عَنْ كُلِّ هَمَّةٍ دُونَ اللَّهِ تَعَالَىٰ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:  
رَضِيتُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لِي وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى خَالِقِي  
كَمَا أَخْسَنَ اللَّهُ فِيمَا مَضَى كَذَلِكَ يُخْسِنُ فِيمَا بَقَىٰ!

قالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ:

﴿وَأَفَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ \* فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ  
مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِالْفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾.  
وَالْتَّقْوِيَضُ خَمْسَةُ أَحْرُفٍ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا حُكْمٌ فَمَنْ أَتَىٰ بِأَحْكَامِهِ فَقَدْ  
أَتَىٰ بِهِ.

الْأَنَاءُ مِنْ تَرْكِ التَّدْبِيرِ فِي الدُّنْيَا، وَالْأَفَاءُ مِنْ فَنَاءٍ كُلِّ هَمَّةٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ،  
وَالْأَوَّلُ مِنْ وَفَاءِ الْعَهْدِ وَتَصْدِيقِ الْوَعْدِ، وَالْآيَاءُ مِنْ الْبَأْسِ مِنْ نَفْسِكَ وَالْيَقِنِ  
بِرِبِّكَ، وَالضَّادُ مِنْ الضَّمِيرِ الصَّافِي لِلَّهِ وَالضَّرُورَةِ إِلَيْهِ.  
وَالْمُفَوَّضُ لَا يُبْصِرُ إِلَّا سَالِمًا مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاتِ وَلَا يُمْسِي إِلَّا مَعَافِيَ  
بِدِينِهِ.

١ - مولوي.

٢ - غافر: ٤٠-٤٤.

«الْمُفَوِّضُ أَمْرَةُ إِلَى اللَّهِ فِي رَاحَةِ الْأَبْدِ وَالْعِيشِ الدَّائِمِ الرَّغْدِ، وَالْمُفَوِّضُ  
حَقًا هُوَ الْعَالِي عَنْ كُلِّ هِمَةٍ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:  
رَضِيتُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لِي وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى خَالِقِي  
كَمَا أَخْسَنَ اللَّهُ فِيمَا مَضِيَ كَذَلِكَ يُحْسِنُ فِيمَا يَقْبَلُ».

قالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ:  
﴿وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا  
وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾<sup>١</sup>.

### حقيقة التفويض:

يُعدّ تفويض جميع الأمور لله سبحانه وتعالى من أهم المسائل وأفضل الحالات.

فالتفويض بمعنى أن تفوض جميع شؤون حياتك لبرامج الله سبحانه وتعالى وبرامجه الأنبياء وأولياء الله وهو أفضل معنى للتفويض، مثلما تدل عليه رواية الإمام الصادق علیه السلام.

١- مولوي.

٢- غافر : ٤٠-٤٤.

الذي يفوض أمره لله سبحانه وتعالى فإنه يعيش في راحة أبدية وحياة سعيدة.

نعم، عندما يقبل المرء من تمام أعمق قلبه جميع الخطط الإلهية المنعكسة في القرآن الكريم وأقوال الأنبياء والأئمة عليهما السلام ويكون مستسلم لجميع الحقائق الإلهية ويستمر في حياته على أساس تلك الخطط والحقائق يكون في كل حال راضي وتكون حياته سعيدة دون مواجهة أي مشاكل.

والذي يعيش على أساس تدبيره وليس على أساس تدبير الله سبحانه وتعالى، مما لا شك به فإنه سيواجه عقبات كثيرة من العذاب والمشاكل ويكون نصيبه ضياع عمره وتلوثه بالرذائل الأخلاقية ويبتلي بالشقاوة والنكبات.

والمفوض الحقيقي هو الذي تكون نيته وهمته أعلى من جميع المطالب والمقاصد الغير الإلهية ويفوض البصر من جميع الأمور والمواضيع التي تدبرها النفس في سبيل الله سبحانه وتعالى.

يقول أمير المؤمنين عليهما السلام:

رضيت بما قسم الله لي، وفوضت أمري إلى خالقي  
كما أحسن الله فيما مضى، كذلك يحسن فيما بقي

عقدت قلبي بالله فهو حببي وكفى، لا أنوجه إلى غيره فهو حببي الله وكفى.  
أضع صيري تراباً لطريقه وقلبي نوراً.....، جسدي وروحني فداء لحبسي  
الله وكفى.

سواء ابتلاني بالمرض أو لم يبتلني، فلن انقطع عن ذكر اسمه الدواء  
حبي الله وكفى.

الكل نور وضياء والكل جميل وصفاء، الكل حب ووفاء حسيبي الله وكفى.  
هو يحن وييفي لي وأنا أظهر الجور والجفاء، أنا المرض وهو الشقاء  
حسيبي الله وكفى.

إذا دعاني أركض وإذا طردني لا أذهب، فأين المفر حسيبي الله وكفى.  
وتحدث عنه يا فيض وتموت في غم فراقه، ويصبح اسمه ذكر القلب  
حسيبي الله وكفى.

وبعبارة أخرى فالتفويض يعني أن تفوض أمرك إلى الله والمقصود من  
الأمور هي المواضيع التي تكون خارجة عن إرادة الإنسان وتحدث فجأة له،  
سواء كانت هذه الحوادث من السماء أو من الأرض.

ويتجلى حقيقة التفويض حينما يشاهد المرء بعين قلبه الله العالم، المحيط  
وال قادر والحان، بمعنى أن تحصل له معرفة توحيدية مشاهدة وليس عن  
طريق التصور العلمي والبرهان العادي.

عندما ينال السالك لسبيل التوحيد هذا المقام، وعندما يرى نفسه أمام عظمة  
وجلال وجمال الله سبحانه وتعالى فإنه قهراً يرفع يده عن طلباته ويرى كم هو  
ضعيف وفقير ومحتاج وعجز ومحدود، ويشاهد أن أمره تجري دون إرادته،  
سواء كانت هذه الأمور دنيوية أو آخرية ويفوضها لله العزيز.

إن كمال مرتبة التفويض هي أن ينغرق في الوحدة وفناء عظمة محور نور  
الحقيقة حتى أنه ينسى ويغفل عن نفسه، ولا يرى إلا الله سبحانه وتعالى ويضحي  
بما لديه في سبيل جمال وجلال الله سبحانه وتعالى ولا يطلب شيء لنفسه<sup>١</sup>.

**مؤمن آل فرعون وتفويض الأمور لله سبحانه وتعالى**

كان مؤمن آل فرعون من رجال فرعون كما جاء في الكتب الدينية انه كان ابن عم أو ابن خالة فرعون، وعبارة (آل فرعون) في القرآن خير دليل على هذا المعنى<sup>١</sup>.

في أحلك اللحظات آمن هذا الرجل بنبي الله موسى عليه السلام وكان اول المتطوعين من أجل الحفاظ والدفاع عن نبي الله موسى عليه السلام وانتشار الدين مع كثرة المصائب والمشاكل.

ولفتره من الزمان كان يخفي يخفي دينه ويستخدم التقية وفي هذه الفترة أقدم على أفضل البرامج من أجل انتشار البرامج الإلهية بين الفرعونين وحاشية الطاغوت، ولكن في المرحلة الأخيرة كما صرخ القرآن الكريم بأنه أعلن عن دينه وفصح عنها بصرامة تامة، عندها خطط الأعداء له ببرامج خطيرة.

لم يسكت ذلك القوم العنيد والمغدور والأثاني أمام حديث هذا الرجل الشجاع والمؤمن، وفي المقابل تحدثوا حول الشرك ودعوتة إلى عبادة الأصنام. فصرخ من أعماق قلبه: يا قوم! لم تدعوني إلى النار وأنا أدعوكم إلى الجنة، أريد سعادتكم وتريدون شقاوتي، أدعوكم إلى الهدایة وتدعوني إلى الضلاله. تدعوني أن أكفر بالله الواحد وأن أشرك به في الوقت الذي أدعوكم إلى الله العزيز الغفار.

ففي مقاييس واضحة استطاع مؤمن آل فرعون أن يذكرهم بأن دعوتهم هي إلى الشرك، وأنهم لا يملكون دليل وطريقهم مظلم وخطير أما دعوته هي في

سبيل واضح، وهو طريق الله العزيز القدير، وسبيل الله الغفار.

والاصنام التي تدعونني أن أعبدها لا تملك دعوة في الدنيا والآخرة وهي موجودات لا تحس أو تشعر لذا فهي لا تتحرك ولا تستطيع أن تصبح مبدأ لحركة، ولا تتكلم، لا تمتلك رسلاً ولا محكمة، وباختصار فإنها لا تنفع.

على هذا الأساس، يجب أن تعلموا، أن رجعتنا في يوم القيمة هو إلى الله سبحانه وتعالى الذي أرسل رسلاً إلى الناس لهدايتهم، الذي سيجازيهم على أعمالهم واعلموا أيضاً أن المبذرين والظالمين هم من أهل النار.

وفي النهاية أعلن مؤمن آل فرعون إيمانه علانية ووضع فاصلاً بين طريق التوحيد وطريق الشرك ولم يستجيب لدعوة الكافرين ووقف وحيداً أمام الأعداء وخطبهم بمنطق سلس.

في ختام كلامه هددتهم وقال: عن قريب سوف تذكرون ما قلته لكم وعندما تحيطكم نار الغضب الإلهي في هذه الدنيا وفي الآخرة فسوف تعلمون صدق كلامي.

فالندم في ذلك الوقت يكون متأخراً، فإذا كان الندم في يوم الآخرة فلا رجوع لكم وإذا كان في الدنيا فإن جميع أبواب التوبة مسدودة.

وأضاف قائلاً، أفرض جميع أموري لله الواحد الأحد فهو عليم بعباده.

**﴿فَوَأَفْوَضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد﴾<sup>١</sup>**.

لهذا فإني لا أخاف من تهديدكم ولا من كثرة عدكم ولا من قدرتكم ولاأشعر بالخوف لأنني فوضت وجودي للقوى والعلم بحال عباده.

فهذا التعبير الذي عبر عنه هذا الرجل هو نوع من الدعاء المؤدب الذي وقع بين يدي القوم الظالمين وسأل الله سبحانه وتعالى في هذه الشروط الصعبة بأن يحميه بعنائه.

والله الرحمن لم يترك عبده المؤمن المجاهد وحيداً وكما نقرأ في القرآن المجيد بأنه وقاه من مكر ومخططات القوم الكافرين:

**﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِالْفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾<sup>١</sup>**

وتعبير **﴿سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾** يدل إجمالاً على أنهم كانت لديهم مخططات سوء ضده، ولكن ما هي هذه المخططات؟ فقد وضحها القرآن الكريم بصورة مختصرة، وبالطبع فهي كانت أنواعاً من العذاب والجزاء وفي النهاية القتل والاعدام، ولكن عنابة الله سبحانه وتعالى ابطل كل تلك المخططات.<sup>٢</sup>

و جاء في مجمع البيان: بأنه اغتنم فرصة وأسرع للالتحاق ببني الله موسى عليه السلام وعبر البحر مع بني إسرائيل.

وقالوا أيضاً: عندما أرادوا قتله التجأ إلى جبل واختفى عن الانظار.<sup>٣</sup>

### المعنى العرفاني للتفسير:

تفويض الأمر، هو أن تفوض جميع أمورك التي ياردتك والتي ليست بارادتك لله المتعال، على أن يسلب الاختيار والرأي من المفوض.

والفرق بين التوكيل والتفسير بأن التوكيل يحصل بعد وقوع السبب أما

١- المؤمن ٤٥:٤٠

٢- تفسير نعون: ٢٠/١١٠ ذيل الآيات ٤٤ و ٤٥ من سورة المؤمن -

٣- مجمع البيان: ٧٧٦/٦ ذيل الآيات ٤٤ و ٤٥ من سورة المؤمن -

التفويض فهو يكون قبل وبعد السبب، بمعنى أنه يحدث حادث أو سبب فيتوكل المتكبر على الله سبحانه وتعالى، أما التفويض فهو تفويض الأمور لله سبحانه وتعالى بدون وجود سبب أو علة.

والتفويض هو عين التسليم والتوكيل شعبة من التسليم، فالمتوكل في مقام التوكيل لا يستطيع أن يسلب الإدراة من نفسه، أما المفوض فإنّه يسلب الإرادة عن نفسه.

يقول المفوض:

في دائرة القضاء والقدر نحن نقطة التسليم، لطفك كما تفكّر وحكمك  
كما تأمر<sup>١</sup>.

درجات التفويض:

معنى التفويض هو أوسع والطف من التوكيل ويكون على ثلاثة درجات:  
**الدرجة الأولى:** ويعني أن السالك يعتمد على قصده ونيته، ولا يأمن من مكر الله ولا يأس من روحه، ولি�علم أنه إذا لم يهب الله القدرة له فلا يستطيع أن يعمل شيئاً.

**الدرجة الثانية:** عند مشاهدة الاضطرار، فالسالك اضطراراً يرى أن عمله لا ينجيه ولا يهلكه، وليس هناك عمل منجي أو مهلك ولا تعمل الأسباب شيئاً، بل يوجد هناك مسبب هو الذي بيده القدرة اللامتناهية.

**والشيء** الذي يضطر السالك على أن يصل إلى هذا المقام من التفويض هو أن السالك يرى أن عمله بذاته لا يستطيع أن ينقذه وكذلك ذنبه ليس سبب

هلاكه، فإذا نظر حضرة الحق إلى عمله القليل بعナイته فإنه يكون من الفالحين، وإذا حاسبه على ذنبه ومعصيته فإنه يصبح من المطرودين من رحمته، فأين الذي يستطيع أن يؤدي حق عبادة الله سبحانه وتعالى، ولذا فالله سبحانه وتعالى حينما يطرد أو يقبل عبده ليس بسبب نتيجة أعماله وأفعاله ولكن بلطفه وغضبه.

**حسن العاقبة ليست من الورع والزهد، ولكن من لطف الله<sup>١</sup>.**

الدرجة الثالثة: عند مشاهدة الله الواحد انفراده في الحكم. يرى السالك كل حركة وسكون وكل انتقاض وانبساط تحت حكم وأمر الله سبحانه وتعالى ويفهم أن الانصراف من الجموع إلى التفرقة أو من التفرقة إلى الجموع إنما تكون تحت كبرباء الله المتعال.

هذه الدرجة من التفويض هو الحد الأعلى للتفسير، فعندما يفهم السالك عن طريق الشهود بأنه كل شيء هو تحت أمر «كن فيكون» ولا يوجد حاكم ومؤثر على إرادة العالم إلا الله سبحانه وتعالى وإن جميع الموجودات محكومين بحكمه وأمره فإن الإدارة تسلب منه ويجري التفسير بصورة ذاتية وهذا التفسير هو تفسير اضطراري واجباري<sup>٢</sup>.

١ - حافظ.

٢ - مقامات معنوي: ١٩/٢

«وَالْتَّفَوِيسُ خَمْسَةُ أَحْرَفٍ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا حُكْمٌ فَمَنْ أَتَى بِأَحْكَامِهِ فَقَدْ آتَى بِهِ  
الثَّاءُ مِنْ تَرْكِ التَّدْبِيرِ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَاءُ مِنْ فَنَاءِ كُلِّ هُمَّةٍ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى،  
وَالْوَaoُ مِنْ وَفَاءِ الْعَهْدِ وَتَصْدِيقِ الْوَاعْدِ، وَالْيَاءُ مِنْ الْيَأسِ مِنْ نَفْسِكَ وَالْيَقِينِ  
بِرَبِّكَ، وَالضَّادُ مِنْ الضَّمِيرِ الصَّافِي لِلَّهِ وَالضَّرُورَةِ إِلَيْهِ. وَالْمُفَوِّضُ لَا يُصْبِحُ  
إِلَّا سَالِماً مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاتِ وَلَا يُمْسِي إِلَّا مُعَافِيًّا بِدِينِهِ »

### تركيب التفويس:

يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في إدامة حدیثه:

يتركب التفويس من خمسة أحرف وكل حرف له دليل وحكم فمن أتي بأحكامه فقد آتى به.

الثاء: يدل على ترك التفكير في حوادث الدنيا وتفسيرها المقدرات الله سبحانه وتعالى.

الفاء: يشير إلى فناء كل شيء لم يكن لله سبحانه وتعالى.

الواو: يدل على الوفاء وتنفيذ الوعود والعقود بين العبد والعبود

الياء: يدل على اليأس من كل شيء تحت سيطرتك أو تحت نفوذ الآخرين واليقين والاطمئنان بالله سبحانه وتعالى.

الضاد: يدل على الضمير النقي والظاهر وضرورة الاحتياج الكامل لله سبحانه وتعالى.

والمفهوم لا يصبح إلا سالماً من الآفات والابتلاثات ولا يمسى إلا معافي في دينه وروحه.

ما هي مشغلة العشق هل هي هدم البيوت، يشعل الفتنة ويقطع الرؤوس.  
ثمرة العشاق العذاب والتهجير، ويحترقوا من شدة الشوق والتأسلم مع ألم القلب.

إذا هكذا يشعل نار العشق الوجود، فلا أرى شمعة تشتعل لكي تنبئ الطريق.  
فليس لدينا غير طريق الخسران.

كل عملنا أصبح أنتِ، واتلفنا عمرنا بكِ.  
فقد تعلقنا بكِ، وشرط معرفتك أن لا نتعرف على الغير.  
وأول شرط مشاهدة وجهل الجميل، أن لا ينظر إلى الآخرين.  
القاعدة هي أن تأخذ العاشق.



الباب

(٨٧)

في اليقين



قال الصادق عليه السلام:

الْيَقِينُ يُوَصِّلُ الْعَبْدَ إِلَى كُلِّ حَالٍ سَنِّ وَمَقَامٍ عَجِيبٍ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ عِظَمِ شَأْنِ الْيَقِينِ حِينَ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ كَانَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ فَقَالَ: لَوْ ازْدَادَ يَقِينُهُ لَمَشَ فِي الْهَوَاءِ فَدَلَّ بِهَا أَنَّ رَتْبَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ جَلَالَةِ مَحَلِّهِمْ مِنَ اللَّهِ كَانَ تَفَاضَلُ عَلَى حَقِيقَةِ الْيَقِينِ لَا غَيْرَ.

وَلَا نِهايَةَ لِزِيادةِ الْيَقِينِ عَلَى الْأَبْدِ. وَالْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا مُتَفَاوِتُونَ فِي قُوَّةِ الْيَقِينِ وَضَعْفِهِ فَمَنْ قَوَى مِنْهُمْ يَقِينُهُ فَعَلَامَتُهُ التَّبَرِيُّ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِاللَّهِ وَالْإِسْتِقْامَةِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَدِ اسْتَوَتْ عِنْدَهُ حَالَتَا الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ وَالرِّيَادَةِ وَالنُّفُضَانِ وَالْمَذْحَ وَالْعِزَّ وَالذُّلُّ لِأَنَّهُ يَرَى كُلَّهَا مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةً.

وَمَنْ ضَعَفَ يَقِينُهُ تَعَلَّقَ بِالْأَسْبَابِ وَرَخَصَ لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ وَاتَّبَعَ الْعَادَاتِ وَأَقَاوِيلَ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقِيقَةِ وَالسَّعْيِ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَجَمْعِهَا وَإِمْسَاكِهَا، يُقْرُرُ بِاللِّسَانِ أَنَّهُ لَا مَانِعَ وَلَا مُعْطِيٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يُصِيبُ إِلَّا مَا رُزِقَ وَقُسِّمَ لَهُ وَالْجَهَدُ لَا يُزِيدُ فِي الرِّزْقِ وَيُنْكِرُ ذَلِكَ بِفَعْلِهِ وَقَلْبِهِ.

قال الله تعالى:

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

وَإِنَّمَا عَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ حِبْتُ أَذْنَ لَهُمْ فِي الْكَسْبِ وَالْحَرَكَاتِ فِي  
بَابِ الْعِيشِ مَا لَمْ يَتَعَدَّدُ حَدُودَهُ وَلَا يَتَرْكُوا فَرَائِصَهُ وَسَنَنَ نَبِيِّهِ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> فِي  
جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَلَا يَعْدِلُوا عَنْ مَحَاجَةِ التَّوْكِلِ وَلَا يَقْفَوْا فِي مَيْدَانِ  
الْحِرْصِ، وَأَنَّا إِذَا نَسُوا ذَلِكَ وَارْتَبَطُوا بِخِلَافِ مَا حَدَّلَهُمْ كَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ  
الَّذِينَ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الْحَاصِلِ إِلَّا الدَّعَاوَى الْكَاذِبَةُ. وَكُلُّ مُكْتَسِبٍ لَا يَكُونُ  
مُتَوَكِّلًا فَلَا يَسْتَجِلُّ بُنْ كَسْبِهِ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا حَرَاماً وَشُبْهَةً، وَعَلَامَةُ أَنْ  
يُؤْثِرَ مَا يَحْصُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَيَجْرُوْعَ وَيَنْفَقَ فِي سَبِيلِ الدِّينِ وَلَا يُمْسِكَ.  
وَالْمَأْذُونُ فِي الْكَسْبِ مَنْ كَانَ بِنَفْسِهِ مُتَكَسِّبًا وَبِقَلْبِهِ مُتَوَكِّلًا وَإِنْ كَثُرَ  
الْمَالُ عِنْدَهُ قَامَ فِيهِ كَالْأَمِينِ عَالِمًا بِأَنَّ كَوْنَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَفَوْتَهُ سَوَاءٌ إِنْ  
أَمْسَكَ أَمْسَكَ اللَّهُ وَإِنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ فِيمَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكُونُ مَنْعِهُ  
وَإِعْطَاوَهُ فِي اللَّهِ.

«الْبَقِينُ يُوصِلُ الْعَبْدَ إِلَى كُلِّ حَالٍ سَنِّيٌّ وَمَقَامٌ عَجِيبٌ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عِظَمٍ شَانِ الْيَقِينِ حِينَ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ فَقَالَ لَوْ ازْدَادَ يَقِينُهُ لَمَشَ فِي الْهَوَاءِ فَدَلَّ بِهَذَا أَنَّ رَتْبَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ جَلَالَةِ مَحَلَّهُمْ مِنَ اللَّهِ كَانَ تَفَاضِلُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَقِينِ لَا غَيْرُهُ».

### حقيقة اليقين:

في المجلد الأول من (مصباح الشريعة) كتبت مطالب حول اليقين من وجهة نظر القرآن الكريم والروايات الشريفة والمسائل العرفانية. ولأنني في هذا الفصل بأننا بحاجة إلى شرح مطول، ولكن نكتفي بترجمة هذه الرواية واستئثر الله العزيز أن ينور قلوبنا بنور اليقين. فالإيمان بحضوره يورث العبادة الصالحة وترك المحرمات، والإيمان برزاقه حضرته بأن ترك الحرص والطمع وتجنب أكل مال الحرام وتحذر من عذاب الآخرة والإيمان بالنبوة والإمامية هو أن تتحلى بأخلاق الأنبياء والأئمة الأطهار علية السلام واليقين بالموت يورث الزهد والورع والتقوى والطهارة والراحة والأمن وسبيل تحصيل كل هذا اليقين هو الأنس بالقرآن الكريم و المعارف أهل البيت علية السلام ومطالعة أوضاع وأحوال العالم والعلماء الذين فضلوا حضرة المحبوب الحقيقي على غيره ولا نرى في حياتهم إلا الوفار

والمتانة، والصلاح والسداد والطهارة والعشق بالجمال والكمال.

صفة الكمال توصل إلَّانسان إلى مرتبة سامية ومقام عجيب، فعندما تحدث الرسول الأكرم ﷺ عن حالات نبي الله عيسى عليه السلام ومشيه على الماء قال: حينما يصبح يقينه أعلى من هذه المرتبة، فإنه يستطيع الحركة فوق الهواء. يتبيَّن من هذا الكلام أن مراتب ومقامات الانبياء الاجلاء والعظيم إنما يتفضَّل فيما بينهم بدرجة يقينهم عليه السلام.

«وَلَا نِهَايَةَ لِزِيادَةِ الْيَقِينِ عَلَى الْأَبْدِ. وَالْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا مُتَفَاوِتُونَ فِي قُوَّةِ  
الْيَقِينِ وَضَعْفِهِ فَمَنْ قَوِيَّ مِنْهُمْ يَقِينُهُ فَعَلَامَتُهُ التَّبَرِيُّ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا  
بِاللَّهِ وَالْأَسْتِقَامَةُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا قَدْ اسْتَوَتْ عِنْدَهُ  
حَالَاتَنَا الْوُجُودُ وَالْعَدَمُ وَالزِّيادَةُ وَالنُّفُصَانُ وَالْمَدْحُ وَالذَّمُّ وَالْعِزُّ وَالذُّلُّ لِأَنَّهُ  
يَرَى كُلُّهَا مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ.

وَمَنْ ضَعَفَ بِيَقِينِهِ تَعَلَّقَ بِالْأَسْبَابِ وَرَخَصَ لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ وَأَتَيَّ الْعَادَاتِ  
وَأَفَاقِيلَ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقِيقَةِ وَالسَّعْيِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَإِمْسَاكِهَا، يُقْرِئُ  
بِاللِّسَانِ أَنَّهُ لَا مَانِعَ لَوْلَا مُعْطِيٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يُصِيبُ إِلَّا مَا رَزَقَ  
وَقَسِيمَ لَهُ وَالْجَهْدُ لَا يُزِيدُ فِي الرَّزْقِ وَيُنْكِرُ ذَلِكَ بِفَعْلِهِ وَقَلْبِهِ.  
فَالَّهُ تَعَالَى:

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾<sup>١</sup>.

### مَرَاتِبُ الْيَقِينِ:

يجب أن تعلم أن مراتب اليقين ودرجاته لا حد ولا حصر لها وتختلف  
مراتب المؤمنين وأولياء الله باختلاف مراتب يقينهم.

فالذي يكون في قمة اليقين وقلبه مليئ بذلك، وأثره وعلامته هو أن لا يرى لنفسه حول ولا قوة أمام إرادة وعظمة الله سبحانه وتعالى ويؤدي أعماله العبادية وأوامر الله سبحانه وتعالى بجد واجتهاد وظاهرًا وباطنًا يقوم بأداء عبادة الله سبحانه وتعالى وقد أستوى عنده حالة الوجود والعدم والمدح والذم والعزة والذلة والكثير والقليل، لأن جميع هذه الحالات تنبع من عين واحدة.

والذي يكون يقينه ضعيف ومتزلزل ويتجه دائمًا إلى الوسائل والأسباب دون أن يأخذ بعين الاعتبار المسبب والمطلق لكل هذه الأسباب والوسائل الذي هو الله سبحانه وتعالى ويتصور بأن هذا المعنى جائز وصحيح ولا يعتبره خلاف الإخلاص ويقتدي في جميع أموره الحياتية بعادات وتقالييد الناس حتى مهما كانت خاطئة ويشق بأقوال وأحاديث الناس، دون دقة أو اتكال على الله سبحانه وتعالى.

في الشؤون المتعلقة بالحياة المادية يبذل قصارى جهده ويهتم شديداً في جمع أموال الدنيا والحفظ عليها.

فهو في الظاهر يبني بأن المانع والمعطى والأخذ هو الله سبحانه وتعالى ولا يصيب أحداً بشيء إلا ما كتب الله جل وعلا له، وأن الجهد والاجتهاد لا يستطيع أن يغير المقررات وليس له أثر في زيادة نصيب الإنسان أو نقصنه، أما في حقيقة باطنها وقلبه فإنه يخالف أقواله مثلما قال القرآن الكريم:

**﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾<sup>١</sup>**

«وَأَنَّمَا عَطَفَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ حِيثُ أَذْنَ لَهُمْ فِي الْكَسْبِ وَالْحَرَكَاتِ فِي  
 بَابِ الْعِيشِ مَا لَمْ يَتَعَدَّوْا حَدُودَهُ وَلَا يَتَرْكُوا فَرَائِصَهُ وَسَنَنَ نَبِيِّهِ ﷺ فِي  
 جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَلَا يَعْدِلُوا عَنْ مَحَاجَةِ التَّوْكِلِ وَلَا يَقْفَوْا فِي مَيْدَانِ  
 الْحِرْصِ، وَأَمَّا إِذَا نَسُوا ذَلِكَ وَأَرْبَطُوا بِخِلَافٍ مَا حَدَّلَهُمْ كَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ  
 الَّذِينَ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الْحَاصلِ إِلَّا الدَّاعَوْيُ الْكَاذِبُهُ. وَكُلُّ مُكْتَسِبٍ لَا يَكُونُ  
 مُتَوَكِّلاً فَلَا يَسْتَجْلِبُ مِنْ كَسْبِهِ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا حَرَاماً وَشَبَهَهُ، وَعَلَامَتُهُ أَنْ  
 يُؤْثِرَ مَا يَحْصُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَيَجْوَعَ وَيُنْفِقَ فِي سَبِيلِ الدِّينِ وَلَا يُمْسِكَ.  
 وَالْمَأْذُونُ فِي الْكَسْبِ مَنْ كَانَ بِنَفْسِهِ مُتَكَسِّبًا وَبِقَلْبِهِ مُتَوَكِّلاً وَإِنْ كَثُرَ الْمَالُ  
 عِنْدَهُ قَامَ فِيهِ كَالْأَمِينِ عَالِمًا بِأَنَّ كَوْنَ ذَلِكَ عِنْدَهُ وَفَوْتَهُ سَوَاءٌ إِنْ أَمْسَكَ  
 أَمْسَكَ لِلَّهِ وَإِنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ فِيمَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكُونُ مَنْعِهُ وَإِعْطَاوَهُ  
 فِي اللَّهِ»

## اليقين والتوكل:

إن من لطف وحب الله سبحانه وتعالى لعباده أن إذن لهم بأن يعملوا ويشتغلوا  
 بالأعمال من أجل حياتهم المادية شرط أن لا يتجاوزوا حدود الله سبحانه وتعالى  
 ويأخذوا بعين الاعتبار رضا الله جل وعلا في جميع حرکاتهم وأعمالهم وتجاراتهم

وَان يجتباوا من التلوث بالحرص والطمع.

«وَآتَا إِذَا نَسُوا ذِلِكَ وَارْتَبَطُوا بِخِلَافِ مَا حَدَّلَهُمْ كَانُوا مِنَ الْهَالِكِينَ  
الَّذِينَ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الْحَاصلِ إِلَّا الدَّعَاوِيُّ الْكَاذِبُهُ . وَكُلُّ مُكْتَسِبٍ لَا يَكُونُ  
مُتَوَكِّلًا فَلَا يَسْتَجِلُّ مِنْ كَسْبِهِ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا حَرَامًا وَشُبْهَةً، وَعَلَمَتْهُ أَنْ  
يُؤْثِرَ مَا يَحْصُلُّ مِنْ كَسْبِهِ وَيَجْهُوعَ وَيَنْفَقَ فِي سَبِيلِ الدِّينِ وَلَا يُمْسِكَ.  
وَالْمَأْذُونُ فِي الْكَسْبِ مَنْ كَانَ بِنَفْسِهِ مُتَكَبِّسًا وَبِقَلْبِهِ مُتَوَكِّلًا وَإِنْ كَثُرَ الْمَالُ  
عِنْدَهُ قَامَ فِيهِ كَالْأَمِينِ عَالِمًا بِأَنَّ كَوْنَ ذِلِكَ عِنْدَهُ وَفَوْتَهُ سَوَاءٌ إِنْ أَمْسَكَ  
أَمْسَكَ لِلَّهِ وَإِنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ فِيمَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكُونُ مَنْعَهُ وَاعْطَاؤُهُ فِي  
اللَّهِ»

الباب

(٨٨)

في الخوف والرجاء



قال الصادق عليه السلام:

الخوفُ رَقِيبُ الْقَلْبِ وَالرَّجَاءُ شَفِيعُ النَّفْسِ، وَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ عَارِفًا كَانَ مِنَ اللَّهِ خَائِفًا، وَهُمَا جَنَاحَا الْأَيْمَانِ، يَطِيرُ بِهِمَا الْعَبْدُ الْمُحَقَّقُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَيْنَا عَقْلِهِ يَبْصِرُ بِهِمَا إِلَى وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَعِيدِهِ وَالخَوْفُ طَالِعٌ عَدْلُ اللَّهِ بِالْقَاءِ وَعِيدِهِ، وَالرَّجَاءُ دَاعِيُّ فَضْلِ اللَّهِ وَهُوَ يَحْيِي الْقَلْبَ وَالخَوْفُ يَمْتِيِّنُ النَّفْسَ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن بين خوفين، خوف ما مضى وخوف ما يأتى.

وَبِمَوْتِ النَّفْسِ تَكُونُ حَيَاةُ الْقَلْبِ وَبِحِيَاةِ الْقَلْبِ الْبُلوغُ إِلَى الْأَسْتِقَامَةِ. وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى مِيزَانِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ لَا يَضُلُّ وَيَصِلُّ إِلَى مَأْمُولِهِ. وَكَيْفَ لَا يَخَافُ الْعَبْدُ وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يُخْتَمُ صَحِيقَتُهُ وَلَا لَهُ عَمَلٌ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِسْتِحْفَاقًا وَلَا قُدْرَةٌ لَهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا مَفْرَأً، وَكَيْفَ لَا يَرْجُو وَهُوَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ بِالْعَجْزِ وَهُوَ غَرِيقٌ فِي بَحْرِ آلاءِ اللَّهِ وَنَعْمَانِهِ مِنْ حِيثُ لَا تُحْصِى وَلَا تُتَدَّعُ.

فَالْمُحِبُّ يَعْبُدُ رَبَّهُ عَلَى الرَّجَاءِ بِمُشَاهَدَةِ أَحْوَالِهِ بِعِينِ سَهْرٍ، وَالْمُزَاهِدُ يَعْبُدُ عَلَى الْخَوْفِ. قال أَوَيْسٌ لِهِرِيمَ بْنِ حَيَّانَ: قَدْ عَمِلَ النَّاسُ عَلَى الرَّجَاءِ، تَعَالَ: نَعْمَلُ عَلَى الْخَوْفِ.

1 - في نسخة عبد الرزاق لاهيجي «غير متهم».

وَالْخَوْفُ خَوْفَانِ ثَابِتٌ وَمَعَارِضٌ. فَإِنَّ ثَابِتًا مِنَ الْخَوْفِ يُورِثُ الرَّجَاءَ  
وَالْمَعَارِضُ مِنْهُ يُورِثُ خَوْفًا ثَابِتًا.  
وَالرَّجَاءُ رَجَاءُ أَنْ عَاكِفٌ وَبَادٍ. فَإِنَّ عَاكِفًا مِنْهُ يُقَوِّي نِسْبَةَ الْمَحَبَّةِ، وَالْبَادِي  
مِنْهُ يُصَحِّحُ أَصْلَ الْعَجْزِ وَالتَّفَصِيرِ وَالْحَيَاءِ.

«الخَوْفُ رَقِيبُ الْقَلْبِ وَالرَّجَاءُ شَفِيعُ النَّفْسِ، وَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ عَارِفًا كَانَ مِنَ اللَّهِ خَائِفًا، وَهُمَا جَنَاحَا الْأَيْمَانِ، يَطِيرُ بِهِمَا الْعَبْدُ الْمُحَقَّقُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَيْنَا عَقْلِهِ يُبَصِّرُ بِهِمَا إِلَى وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَعِيهِ وَالخَوْفُ طَالِعٌ عَذْلِ اللَّهِ بِاتِّقاءِ وَعِبْدِهِ، وَالرَّجَاءُ دَاعِيٌّ فَضْلِ اللَّهِ وَهُوَ يُخْبِي الْقَلْبَ وَالخَوْفُ يُمْبِتُ النَّفْسَ».

### حقيقة الخوف والرجاء:

قد تم بحث مسألة الخوف والرجاء - التي عبر عنها الإمام الصادق عليه السلام بجناحي الإنسان العابد - في المجلد الأول من هذا الكتاب من وجهة نظر القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وسوف نكتفي هنا بتوضيح متن الرواية فقط.

فالخوف من عذاب حضرة الحق او من عذاب يوم القيمة التي هي معلول انواع الذنوب، هو رقيب القلب ومحافظ كيان الإنسان من الأفعال والافعال السيئة، والرجاء برحممة حضرة الحبيب هو شفيع النفس عند حضرة الحق، فهما بلغت ذنبك فإنك في حالة تبت فإنه يغفر كل ذلك لك فلا شيء يفاس بكرمه وعناته.

والحاصل فكما أن الله سبحانه وتعالى موصوف بوفور العفو واللطف والكرم

وهذا هو مظاهر الرجاء والامل، فإن حريمه أيضاً محفوف بجنود الظهر والسطوة ،  
لذا فأن الخوف والرجاء عند العباد يجب ان يكونا على حد سواء، ولا يرجح كفة  
ميزان أحدهما على الآخر، فكما جاء في الرواية:

يابني خف الله خوفاً لو أتيت القيمة بير الثقلين خفت ان يعذبك وارج الله  
رجاءً لو وافيت القيمة باثم الثقلين رجوت أن يغفر لك.

فقال له ابنته يا أبتي وكيف أطيق هذا وإنما لي قلب واحد؟ فقال له لقمان يا  
بني لو استخرج قلب المؤمن فشق لوجد فيه نورين نوراً للخوف ونوراً للرجاء لو  
وزنا لما رجع أحدهما على الآخر بمثقال ذرة<sup>١</sup>.

وكلما ازداد معرفة العبد بربه فأن خوفه يزداد، فالخوف والرجاء هما بمثابة  
جناحين ايمان المؤمن يطير بهما نحو الرضوان، والامل والخوف هما عينا العقل  
وبهما يستطيع ان يشاهد وعد و وعد الحق يعني البشرة بالجنة والانذار بالنار.  
الامل يدعو كل عبد الى الكرم ويبعث الحياة في القلب وينجي القلب من  
الاكتئاب والخوف يكون سبب موت الشهوات والاهواء النفسانية.

«قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَوْفَيْنِ، خَوْفٌ مَا مَضِيَ وَخَوْفٌ مَا يَقْبَلُ. وَبِمَوْتِ النَّفْسِ تَكُونُ حَيَاةُ الْقَلْبِ وَبِحَيَاةِ الْقَلْبِ الْبُلوغُ إِلَى الْأُسْتِقَامَةِ. وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى مِيزَانِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ لَا يَضِلُّ وَيَصِلُّ إِلَى مَأْمُولِهِ. وَكَيْفَ لَا يَخَافُ الْعَبْدُ وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يُخْتَمُ صَحِيفَتُهُ وَلَا لَهُ عَمَلٌ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِسْتِحْقَاقًا وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا مَفْرَأً. وَكَيْفَ لَا يَرْجُو وَهُوَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ بِالْعَجْزِ وَهُوَ غَرِيقٌ فِي بَحْرِ أَلَاءِ اللَّهِ وَنَعْمَائِهِ مِنْ حَيْثُ لَا تُخْصِي وَلَا تُعْدُ.

فَالْمُحِبُّ يَعْبُدُ رَبَّهُ عَلَى الرَّجَاءِ بِمُشَاهَدَةِ أَخْوَالِهِ بَعْدِ سَهْرٍ<sup>1</sup> ، وَالْمُزَاهِدُ يَعْبُدُ عَلَى الْخَوْفِ. قَالَ أُوْيَسٌ لِهَرَمٍ بْنِ حَيَّانَ: قَدْ عَمِلَ النَّاسُ عَلَى الرَّجَاءِ، تَعَالَى نَعْمَلُ عَلَى الْخَوْفِ».

## خوف المؤمن:

يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يكون المؤمن بين خوفين: خوف من ما مضى ان يكون ليس في رضا الله سبحانه وتعالى، وخوف من مستقبل يقضى في الاهواء الفسانية والشهوات

---

1 - في نسخة عبد الرزاق لاهيجي «بغير متهم».

وتكون ثمراته ليس مرضياً لحضره الحبيب.

في بموم النفس الامارة يحيى القلب والحياة بسبب بحية القلب تكون أكثر قوة وقدرة في مسیر العمل والأخلاق.

ومن عبد الله سبحانه وتعالى في خوف ورجاء على حد سواء فإنه لن يضل، ويصل الى رَحْمَةِ اللَّهِ الواسعة لأن الامل الكبير يوصل الانسان الى الامن من مكر الله سبحانه وتعالى والخوف الكبير يوصل العبد الى اليأس وزيادة ونقصان احدهما على الاخر يكون خطراً عظيماً.

فلم لا يخاف العبد؟ في الوقت الذي لا يعرف عاقبته أتختم بالسعادة أم بالشقاوة؟ ومن ناحية أخرى فليس لديه عمل يتکئ عليه وبه يستحق الثواب الجميل، لأن كل توفيق لعمل إنما هي بعانته سبحانه وتعالى، ولا قدرة له على شيء ولا مفر، وكيف لا يرجو وهو يُعرِفُ نَفْسَهُ بِالْعَجْزِ وَهُوَ غَرِيقٌ فِي بَحْرِ آلَاءِ اللَّهِ وَتَعْمَلُهِ مِنْ حِيثُ لَا تُخْصِي وَلَا تُعْدِي.

فالمُحِبُّ يَبْعُدُ رَبَّهُ عَلَى الرَّجَاءِ بِمُشَاهَدَةِ أَحْوَالِهِ بَعْيَنِ سَهْرٍ، وَالْزَاهِدُ يَبْعُدُ عَلَى الْخَوْفِ. قال أَوَيْسٌ لِهَرِيمَ بْنِ حَيَّانَ: قَدْ عَمِلَ النَّاسُ عَلَى الرَّجَاءِ، تَعَالَ: نَعْمَلُ عَلَى الْخَوْفِ.

«قالَ أُويسٌ لِهِرِيمْ بْنِ حَيَانَ: قَدْ عَمِلَ النَّاسُ عَلَى الرَّجَاءِ، تَعَالَ: نَعْمَلُ عَلَى  
الخَوْفِ».

والخوف خوفان ثابت وعارض. فالثابت من الخوف يورث الرجاء  
والعارض منه يورث خوفاً ثابتاً.

والرجاء رجاء ان عاكف وباد. فالعاكف منه يقوى نسبة المحبة، والبادي  
منه يصحح أصل العجز والتقصير والحياء».

### نصيحة أوس القرني حول الخوف:

قال أوس القرني - الذي كان من كبار القوم ومن خواص أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ  
ومن العرفاء العشاق - لهرم بن حيان:

إن الناس قد يسروا عمل العبادة على أنفسهم، فهم يبعدون الله سبحانه وتعالى  
على الرجاء، تعال نعمل على الخوف وهو أقرب إلى الدين.

الخوف خوفان:

١- الخوف الثابت.

٢- الخوف المعارض.

**الخوف الثابت** هو من الطبع وبمقتضاه يتم إتيان الأوامر واجتناب النواهي والمسامحة التي هي من توابع الرجاء لا يصدر منه وبسبب مخالفة الخوف مع الرجاء لا يحدث بينهما اضطراب أو تزلزل فمثل هذا الخوف هو عامل المغفرة دون شك.

**الخوف المعارض** هو الخوف الذي يتعارض بعض الأوقات مع الأمل وبسبب المعارضة في أساس الخوف فإنه يكون متزللاً، ولكن عندما يلاحظ مرجحات الخوف فإنه يرجع إلى الخوف الثابت فمثل الخوف الثابت يكون سبباً للنجاة.

#### الأمل أملان:

- ١- الأمل الثابت.
- ٢- الأمل المسافر

**الأمثل الثابت** يكون لصاحب الأمل موهبة فطرية وصفه راسخة وهذا الأمل يكون سبباً لقوى العشق والحب لحضرته المحبوب.

**الأمل المسافر** أو الغير الثابت يكون في الوقت الحاضر ولم يصل بعد إلى مرحلة الرسوخ وهذا الأمل هو مصحح العجز والتقصير والحياة بمعنى أن مالكه يعرف عجزه وتقصيره ويعلم أن كفاية جميع المهام فقط بيد الله سبحانه وتعالى، فالله المتعال عندما يعامل عبده في هذه الدنيا بالحسن فمن الأولى أن يتعامل معه بالآخرة بأحسن وأفضل.

باب

(٨٩)

في مسألة الرضا



قال الصادق عليه السلام:

صفة الرضا أن يرضي المحبوب والمكرورة.

والرضا شعاع نور المعرفة، والراضى فان عن جميع اختياره، والراضى حقيقة هو المرتضى عنه، والرضا اسم يجتمع فيه معانى العبودية.

سمعت أبي محمد الباقر عليه السلام يقول: تعشق القلب بالمحبوب شرك وبالمحظوظ كفر وهم خارحان عن سنة الرضا. وأعجب ممن يدعى العبودية لله كيف ينزعها في مقدوراته؟ حاشا الراضين العارفين.

**«صِفَةُ الرِّضَا أَنْ يَرْضَى الْمَحْبُوبُ وَالْمَكْرُورُو».**

## **الرضا عن حضرة الحق سبحانه:**

أشرنا في المجلدات السابقة وبمناسبات عديدة إلى مسألة رضا العبد من المعبود والعاقق من المعشوق ولكن لكثره أهمية هذه المسألةرأينا من اللازم في هذه الفصل أن نتطرق أكثر إلى شرح موضوع الرضا.

يجب علينا أن نعلم أن الرضا من الله سبحانه وتعالى هو فرع من المعرفة بوجوده المقدس وشؤونه وقضائه وقدره ورجائه مصلحة العبد.

إذا كان الرضا مع المعرفة فهو رضا إرادي ويحتل مكانة مرموقة ويورث أجراً عظيماً وإلا فليس هناك ما يترب عليه من أجر، فالذى يكون محروماً من نور المعرفة ويقول عندما يواجه المشاكل والحوادث: إذا لم اكن راضياً فماذا أفعل؟ أو يقول: ليس أمامي إلا الرضا والتسليم، فهذا النوع من التسليم والرضا إنما يكون خارجاً من ميدان الشوق والعشق والحب والمعرفة، وليس له ثمن أو قيمة ولن تناله عنابة الله سبحانه وتعالى.

فعلى العبد أن يكون راضياً من المقررات الشرعية والإلهية والتكاليف الأخلاقية والعملية لأن هذه القوانين إنما وضعت لصالح دنيا وآخرة العبد إذن، يجب أن يؤديها بكل شوق وذوق.

ويجب على العبد أن يكون راضياً من مقدرات الله سبحانه وتعالى في باب خلقه وتصويره وحياته فالرسام الأزلية خلقه في عين الحكمة والعدل واللطف والرحمة.

ويجب على العبد أن يكون راضياً ومستسلماً وشاكراً بما يكسبه عن طريق العمل الحلال.

يجب على العبد أن يكون راضياً بما قسمه الله سبحانه وتعالى له من الأزواج والأولاد والوالدين والأخوات والأخوان وان يتحملهم كل حسب حالته ويسعى بجانب العيش معهم ان يحصل على درجات الكمال ويجهد بالصبر والاستقامة ان يصل الى مقام الرضا. فعندما يواجه العبد كل ما يصل اليه من الله سبحانه وتعالى من الصحة والعافية والمرض والنقاوة والفقر والغنى والمصيبة والبلاء ومن السعادة والأمن والحزن والسرور بصورة صحيحة فإنه يصل الى الرشد والكمال والرضا والراحة ، وعموماً كل ما يصل اليه من حضرة الحبيب سواء كان حلواً أو مرّاً يجب عليه ان يكون راضياً ومستسلماً لذلك من اعمق قلبه.

وليس للعبد اي دور في احوال الخلق والحوادث والابتلاءات وجميع الافراح والصعوبات، إنما هنالك حالة واحدة التي على اساسها تصرخ جميع اعمقه وتقول:

راضي بما راضي الله سبحانه وتعالى لي  
يقول إلهي قمسيه اي؛ ذلك الرجل الظاهر وطائر حرير الاسرار:  
إلى متى تشكوني الهي من هذا العالم، كن سعيداً لأن الله سلطانه.  
وإذا كان رسم قبيح إلى هذا الوقت، فأنظر بعين العرفان جميلا.

وفي عين العاشق العالم جنة، وشوكة تنمو في صحرائه.  
الله سبحانه وتعالى علم الجميع كتاب العشق، في مدرسة الكون الكبيرة.  
وليس عجياً ان تذكينا، هذا الطفل الصغير الجاهل.  
لاتيأس فان الامل تفتح، في فكرك المشوش.  
والله لا يستطيعوا ان يغلقو بابه، الذي هو جعله مفتوحا من لطفه.  
حتى عبده الذي يكون لديه اعداء كثيرون، يكون في امان عندما يكون  
الله حافظه.

الرضا من وجهة نظر العرفان:  
يقول لاهيجي الذي كانت لديه قدرة عالية في توضيح المسائل العرفانية  
حول هذا البيت من الشعر:  
بارادتي انضم الى رضا الحق، حتى اصبح مثل موسى اذهب الى باب  
اعظم.

يقول: إن ارادة و اختيار السالك تسير مع جانب الحق، وتنضم مع رضا الحق،  
ولن يطلب شيئا الا رضا الله سبحانه وتعالى ويفضي البصر عن آماله وتكون اقواله  
وافعاله لاجل رضا الله سبحانه وتعالى وليس من اجل حظ النفس وتنزج ارادته  
ورضاه في ارادة ورضا الحق ويصبح ملكتيأ.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿لَارْجِعُ إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾<sup>١</sup>

وهو اشارة الى بشاره بأن السير الرجوعي مشروط برضاه ومع انتفاء الشرط من اللازم أن ينفي المشروط، وكأنه يريد ان يقول بأن طريق الرجوع الى الله سبحانه وتعالى لا يمكن الا برضاه مثل نبي الله موسى عليه السلام حينما رجع الى الباب الاعظم، بمعنى أنه عندما ينظم ارادته مع رضا الله سبحانه وتعالى فأنه يصبح مثل نبي الله موسى عليه السلام في الباب الاعظم أي يرجع الى الله سبحانه وتعالى.

قال عدة من المشايخ الكبار:

الرضا بباب الله الاعظم وجنته الدنيا.

وتحقق مقام الرضا لنبي الله موسى عليه السلام وقصته، إنما تدل على هذا المعنى انه من البداية حتى النهاية كان في رضا اليه والبيضاء وهذا الاية تدل على ذلك:

**﴿فَوَ مَا أَعْجَلْكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثْرِي وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبٌ لِّتَرْضَى﴾<sup>١</sup>.**

وحقيقة الرضا هو الخروج من رضا العبد والدخول الى رضا حضرة المحبوب والرضا بما قسمه الله سبحانه وتعالى بحيث لا توجد اي ارادة او داعية خلاف ارادة الله سبحانه وتعالى.

**﴿فَوَ مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>٢</sup>.**

وأسألا من عارف: ماذا ت يريد؟ قال: اريد ان لا اريد.

ويتمكن القول ان الراضي من الحق هو الذي ليس لديه اي اعتراض على تقديرات الله سبحانه وتعالى. وقد سئل عارف: متى يصل العبد الى مقام الرضا؟

١ - طه: ٢٠؛ ٨٣-٨٤

٢ - الإنسان: ٣٠؛ ٧٨

فقال: عندما ينتابه شعور من الفرح والسرور في حالة البلاء والمصيبة مثلما تنتابه في حالة النعمة والسرور.

يقول ابو محمد رويم: الرضا هو ان تستقبل الاحكام الالهية بالفرح والسرور وان لا يجعل بين المكره والمرغوب فرقاً.

قال ذلك الرجل العارف:

**الرضا رفع الاختيار.**

وقيل للإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ أن أبا ذر يقول الفقر أحب إلى من الغنى، والقسم أحب إلى من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله له<sup>١</sup>.

ويقول الشيخ ابو تراب نور بخشى: لا يصل المرء الى مقام الرضا وفي قلبه حب الدنيا ولو بمقدار حبة من خردل.

وينقل في ليلة ما ان عتبة الغلام وقف حتى الصباح وكان يقول الهي: اذا عذبني اظل احبك واذا رحمتني اظل احبك.

يا من جفاوه احلى من السلطة، وانتقامه احب من الروح.

فانا عاشق لطفه وغضبه، والعجيب انا عاشق الضدين<sup>٢</sup>.

وعلامة رضا الله سبحانه وتعالى عن العبد هو ان يكون العبد راضيا من الله سبحانه وتعالى

**﴿وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.**

١- شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد: ١٥٦/٣ ، نبذ من كلام الحكماء في مدح القناعة.

٢- مثوى معنوی، مولوى.

٣- المجادلة ٥٨: ٢٢

## العلم بالرضا

يقولون:

ان تلميذا سأله معلمه: هل يعلم العبد ان الله سبحانه وتعالى راض عنه ام ساخط؟ فقال: لا يعلم ، لأن رضا الله جل وعلا امر غيبى ، فقال التلميذ: بل إن العبد يعلم برضاء الله جل وعلا عنه. فقال الاستاذ: وكيف ذلك؟ فقال التلميذ: متى ما شعر العبد انه راض من الله سبحانه وتعالى يعلم ان الله سبحانه وتعالى راض عنه ، فقال الاستاذ ، احسنت ياغلام.

ومقام الرضا الذي هو عبارة عن رفع اختيار العبد وتساوي النعمة والبلاء والشدة والرخاء ومعروف بباب الله الاعظم وذلك لأنه مفتاح مغلق الابواب لباقي المقامات وفي الحقيقة هو من اشق منازل السالكين.

يقول عارف المعارف الالهية ، العاشق الهائم حاجي سبزواري:  
عطاشى عند شفاك عين الحياة ماذا يعملون، و نائمون عند عتبتك  
روضة الرضوان ماذا يعملون.

ومساكين ترابك هم من أهل القلب، ومنى يزورون عرش سليمان ماذا  
يعملون.

والذي طاف حول حرم أهل الصفاء، فلن بطوف حول الصحراء ماذا يعملون.  
ولنفرض بأن ذلك الملك أجاز لنا الحضور من لطفه، والقلب المظلم  
يستوجب الحرمان ماذا يعملون.

والرضا هي السعادة وثمرتها المحبة ويقتضي عدم الانكسار سواء كان في  
الظاهر أو الباطن والقلب أو القول أو العمل.

والمطلوب لأهل الظاهر أن يرضي الله عنهم حتى يأمنوا من الغضب الالهي والعذاب.

والمطلوب لأهل الحقيقة أن يرضوا من الله سبحانه وتعالى وأن لا يخالفوا الله في أي حال من الأحوال المختلفة كالموت، والحياة، والبقاء والفناء، والعذاب والراحة والسعادة والسلامة والمرض والمشقة والفناء والفقر وأن لا يرجحوا أحد على الآخر لذا فهم لا يطلبون المزيد ويرضون بما يقع لهم.

ما دام المرء يتعرض على أمر من الأمور الحادثة، كائناً من كان أو خطر على باله فإنه سيكون محروماً من نصيب الرضا.

وصاحب مرتبة الرضا يكون دائماً مرتاح البال، سواء كان يحب أو لا يحب بل كل ما يحبه ولا يحبه يصبح **﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾**<sup>١</sup> فحارس الجنة اسمه رضوان.

والراضي ينظر إلى كل شيء بنور رحمة الله.  
«المؤمن ينظر بنور الله».

ولأن الله سبحانه وتعالى الذي هو خالق كل الموجودات إذا انكر أمر من الأمور فذلك الأمر يعتبر محالاً؛ وإذا لم ينكر أي شيء فهو راض عن كل شيء، فيجب على الإنسان أن لا يتأسف على شيء مضى أو يتنهج لشيء آت.

**﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ﴾**<sup>٢</sup>.

ويكون الرضا في قلب لا يوجد فيه غبار النفاق والرضا هو السرور عند مرارة

١- التوبه: ٩: ٧٢

٢- لقمان: ٣١: ١٧

القضاء وترك الاختيار قبل حدوث القضاء، وعدم كدوره الخاطر بعد القضاء وازدياد المحبة في وجود البلاء.

الرضا يعني عدم الاختيار، وان يحسب البلاء نعمة، يجب أن تصل إلى حالة من الرضا بحيث أنه عندما يضعون نار سبع طبقات جهنم في عينك اليمنى؛ لا تسأل لماذا وضعوا النار على عيني، الرضا يعني الشعور بالراحة عند أداء الأحكام.

هيئات لا تطرق باب غير باب الجنة، ولا تذهب بعيداً عن خيمته.  
ولن تستطع امتطاء فرس أحلامك، إلا أن تصل إلى باب الرضا.  
يجب على الراضي أن يترك الماضي والمستقبل وأن يعيش وقت الحال وأن يرى كل ما يحصل له هو من حضرة المحبوب فكل ما يعمل المحبوب هو مثله.  
والرضا يعني الخروج من رضا النفس والدخول إلى رضا الله سبحانه وتعالى  
والتسليم لأحكامه الأزلية وتفويض جميع الأمور الكلية والجزئية إلى حضرة مقدر التقدير والمدير الأبدى دون اعتراض أو إعراض.  
وأعلم أن الرضا هو بترك الاعتراض لأفعال وأقوال المحبوب مع طهارة الروح بالقضاء والقدر.

الرضا في الروايات:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمُسْكَنُ قَالَ: «رَأْسُ طَاعَةِ اللَّهِ الصَّبَرُ وَالرَّضَا عَنِ اللَّهِ فِيمَا أَحَبَّ الْعَبْدُ أَوْ كَرِهَ وَلَا يَرْضَا عَبْدٌ عَنِ اللَّهِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ»<sup>١</sup>.

١- الكافي: ٦٠/٢، باب الرضا بالقضاء، حديث ٤٠٣٥، وسائل الشيعة: ٢٥٣/٢، باب ٧٥، حديث ٣٥٥٥.

**وَعَنْهُ عَلَيْهِ الْكَلَمُ** قال: «إِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللَّهِ أَرْضَاهُمْ بِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>١</sup>.

وينقل الإمام الباقر ع عليه السلام عن رسول الله ص عليه السلام أنه قال: قال الله عز وجل:

إن من عبادي المؤمنين عبادا لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعنة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعنة وصححة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم، وإن من عبادي المؤمنين لعبادا لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفacaة والمسكناة والسقمة في أبدانهم فأبلوهم بالفacaة والمسكناة والسقمة في أبدانهم فيصلح عليهم أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين. وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيد وساده فيجتهد لي الليلي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالتعاس الليلة والليلتين، نظرا مني إليه وإبقاء عليه، فینام حتى يصبح، فيقوم وهو ماقت لنفسه زار عليها، ولو أخلي بينه وبين ما يريده من عبادتي لدخله العجب من ذلك، فيصيره العجب إلى الفتنة بأعماله فباتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتى يظن انه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حد التقصير، فيتباعد مني عند ذلك وهو يظن أنه يتقرب إلى. فلا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي، فانهم لو اجتهدوا وأتبعوا أنفسهم وأعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي، والنعيم في جناتي، ورفع درجات العلي في جواري ولكن فبرحمتي فليثقوا، وبفضلني فليفرحوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا فان رحمتي عند ذلك تداركهم، ومني يبلغهم رضوانى، ومغفرتي تلبسهم عفوبي فاني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت<sup>٢</sup>.

١- الكافي: ٦٠/٢، باب الرضا بالقضاء، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٣٣/٦٩، باب ١١٩، حديث ١٩.

٢- الكافي: ١٦٠/٢ باب الرضا بالقضاء والقدر / حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٣٢٧/٦٩، باب ١١٩؛ حديث ١٢.

يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ:

فِيمَا أُوحى اللَّهُ جَلَّ وَعَزَ إِلَى مُوسَى بْنَ عُمَرَانَ: يَا مُوسَى مَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيْيَّ مِنْ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، وَإِنِّي إِنَّمَا ابْتَلَيْتَهُ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَاعْفَافِهِ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلِحُ عَبْدِي عَلَيْهِ، فَلِيَصْبِرْ عَلَىٰ بِلَائِي، وَلِيُشَكِّرْ نِعْمَائِي، وَلِيَرْضِي بِقَضَائِي، أَكْتَبْهُ فِي الصَّدِيقَيْنِ عِنْدِي إِذَا عَمِلَ بِرَضَائِي وَأَطْاعَ أَمْرِيٍّ.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ قَالَ: «لَقَدْ أَنْجَلَ اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَنْفَرَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ كَيْفَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا وَهُوَ يَسْخَطُ قِسْمًا وَيَحْفَرُ مَنْزِلَتَهُ وَالْحَاكِمُ عَلَيْهِ اللَّهُ وَأَنَا الضَّامِنُ لِمَنْ لَمْ يَهْجُسْ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الرَّضَا أَنْ يَدْعُوا اللَّهَ فَيُسْتَجِابَ لَهُ».

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ قَالَ: «قُلْتُ لَهُ: يَا شَيْءَ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: بِالْتَّسْلِيمِ لِلَّهِ وَالرَّضَا فِيمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ سُرُورٍ أَوْ سَخَطٍ».

هذه هي مسألة الرضا عن الله سبحانه وتعالى التي وردت في الآيات والروايات وفي الكلمات الحكيمية لأصحاب العشق.

١- الكافي: ٦١/٢، باب الرضا بالقضاء، حديث ٧، بحار الأنوار: ٣٤٨/١٣، باب ١١، حدث ٣٦.

٢- الكافي: ٦٢/٢، باب الرضا بالقضاء، حديث ١١، وسائل الشيعة: ٢٥١/٣، باب ٧٥، حدث ٣٥٤٩.

٣- الكافي: ٦٢/٢، باب الرضا بالقضاء، حديث ١٢، بحار الأنوار: ١٣٣٦/٦٩، باب ١١٩، حدث ٢٤.

«صِفَةُ الرَّضَا أَنْ يَرْضَى الْمَحْبُوبُ وَالْمَكْرُورُهُ، وَالرَّضَا شُعاعٌ نُورٌ لِلْمَعْرِفَةِ،  
 وَالرَّاضِي فَانِّي عَنْ جُمِيعِ اخْتِيَارِهِ، وَالرَّاضِي حَقِيقَةٌ هُوَ الْمَرْضِيُّ عَنْهُ.  
 وَالرَّضَا اسْمٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ مَعْانِي الْعِبُودِيَّةِ. سَمِعْتُ أَبِي مُحَمَّدًا الْبَاقِرَ عَلَيْهِ يَقُولُ:  
 تَعْلُقُ الْقَلْبُ بِالْمَوْجُودِ شَرْكٌ وَبِالْمَفْقُودِ كُفْرٌ وَهُمَا خَارِجَانِ عَنْ سُنَّةِ الرَّضَا.  
 وَأَعْجَبٌ مِمَّنْ يَدَعُونَ الْعِبُودِيَّةَ لِلَّهِ كَيْفَ يُنَازِعُهُ فِي مَقْدُورَاتِهِ؟ حَاشَا  
 الرَّاضِينَ الْعَارِفِينَ».

## الرضا بالمحبوب والمكروره

الرضا يعني أن يرضي الإنسان بالمحبوب والمكروره الذي يحصل له عن طريق المحبوب وذلك لإصلاحه. والرضا هو شعاع نور المعرفة والعقيدة، والشخص الراضي دائمًا يغض البصر عن آماله وأمنياته الشخصية ويفنيها في سبيل حضرة المحبوب. فالشخص الراضي عن الله في الحقيقة إن الله راض عنه. والرضا اسم يجمع جميع منازل العبودية والعبادة أمام حضرة الحق سبحانه وتعالى.

سمعت أبى محمدًا الْبَاقِرَ عَلَيْهِ يَقُولُ:  
 «تَعْلُقُ الْقَلْبُ بِالْمَوْجُودِ شَرْكٌ وَبِالْمَفْقُودِ كُفْرٌ وَهُمَا خَارِجَانِ

عَنْ سُنَّةِ الرَّضَا. وَأَعْجَبَ مِمَّنْ يَدَعِي الْعُبُودِيَّةَ لِلَّهِ كَيْفَ يُنَازِعُهُ  
فِي مَقْدُورِ رَأْيِهِ؟ حَاشَا الرَّاضِينَ الْعَارِفِينَ».

إذا أنت رجل فأصبح مثل سالكيه، اخفت ذلك عن الناس.

انظر كيف عاشوا، وإذا أنت سالك فأصبح مثلهم.

أكسر سجن نفسك، واسجنه في نصيب الآخرين.

أفنِ نفسك عن هذا الفناء، وأحيي حياة خالدة.

وإذا أردت لقاء الحبيب، وبدون اذن ادخل.

وفي خطوة واحدة أملك هذه الدنيا، وتلك الدنيا وعش في هذا العالم.

عطّار اجتب الادعاء و اعتزل الناس وعش بينهم<sup>١</sup>.

١- عطّار نيسابوري.



الباب

(٩٠)

في البلاء



قال الصادق عليه السلام:

البلاء زين المؤمن وكرامة لمن عقل لأن في مبادرته والصبر عليه  
والثبات عنده تصحيف نسبة الأيمان.

قال النبي عليه السلام: نحن معاشر الآباء أشد الناس بلاءً والمؤمنون الأمثل فالآمنون. ومن ذاق طعم البلاء تحت سر حفظ الله تعالى له تلذذ به أكثر من تلذذ بالنعمه واستفاق عليه إذا فقده لأن تحت نيران البلاء والمحنة أنوار النعمه وتحت أنوار النعمه نيران البلاء والمحنة وقد ينجو من البلاء كثيراً وقد يهلك من النعمه كثيراً. وما اثنى الله تعالى على عبدٍ من عباده من لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه السلام إلا بعد ابتلائه ووقاء حق العبوديه فيه. فكرامات الله تعالى في الحقيقة نهايات بداياتها البلاء وبديالياتها نهاياتها البلاء.

ومن خرج من شبكة البلوى جعل سراج المؤمنين ومنس المقربين ودليل القاصدين ولا خير في عبد شكا من محنة تقدمها آلاف نعمة وأتباعها آلاف راحه. ومن لا يقضى حق الصبر في البلاء حرمه فضاء الشكر في النعماء كذلك من لا يؤدى حق الشكر في النعماء يحرم فضاء الصبر في البلاء، ومن حرمهما فهو من المطرودين.

وقال أيوب في دعائه: اللهم قد أتي على سبعون في الرخاء وأتى على سبعون في البلاء. وقال وهب: البلاء للمؤمن كالشکال للدابة والعقاب للأبل و قال أمير المؤمنين عليه السلام: الصبر من الأيمان كالرأسم من الجسد. ورأس الصبر البلاء، وما يعقلها إلا العالمون.

«البلاء زين المؤمن وكرامة لمن عقل لأن في مبادرته والصبر عليه  
والثبات عند تصحيف نسبة الأيمان.

قال النبي ﷺ: نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءً وأ المؤمنون الأمثل فالآمنون. ومن ذاق طعم البلاء تحت سر حفظ الله تعالى له تلذذ به أكثر من تلذذ بالنعمه واشتاق إليه إذا فقده لأن تحت نيران البلاء والمحنـة أنوار النعمـة وتحت أنوار النعمـة نيران البلاء والمـحنـة وقد ينجو من البلاء كثيراً وقد يهلك من النعمـة كثيراً».

## الابلاء والامتحان:

في هذا الفصل يشير الإمام الصادق ع إلى حقيقة تحت عنوان البلاء والامتحان ويقول أن الكل لابد أن يواجهها في حياته.

ويكون الامتحان الإلهي بوسائل عدة مثل المال والكرامة، والشخصية، والعلم، والمصيبة، والولد، والمصيبة الجسمية، والفقر، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والكثير من الأمور الأخرى التي تحدث للإنسان من أجل نمو وارتقاء مواهبه وكسب الفضائل والابتعاد عن الرذائل.

فقد اشار القرآن الكريم والروايات الأخبار إلى هذه المسألة المهمة بأن الله

سبحانه وتعالى لم يستثن أحداً من هذه الامتحانات والابتلاءات وليس صحيحاً أن يدعوا الله سبحانه وتعالى بأن لا يمتحنهم، بل عليهم أن يسألوا الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليهم سبيل النصر في طريقهم.

يجب على الإنسان أن يعلم بأن كل أمر من الأمور التي تحدث له من جانب الله جل وعلا إنما هو امتحان وبلاء من الله جل وعلا، وعليه أن يسعى وفق الأحوال الإلهية الباطنية له وضمن الإرشادات الربانية التي هي موجودة في القرآن الكريم وهدى الأنبياء والأئمة عليهم السلام وفي الروايات، أن يتغلب في الامتحان والبلاء، حتى يتبعد عن الشقاوة والهلاك ويصل إلى السعادة الأبدية والخلود الدائم.

وبما أنه قد تم ذكر رفوس وأمهات مسائل الابلاء والامتحان في المجلد السادس، فإننا هنا نكتفي فقط بترجمة الرواية.

الابلاء والامتحان والمشاكل التي تصل من جانب حضرة الحبيب للمؤمن هي زينة ولأهل العقل والتدبیر تكون كرامة، لأنه عندما يواجه المرء الامتحان بالصبر والثبات فهي في الحقيقة وسيلة لتحكم الإيمان وتنوير الباطن.

يقول أشرف الموجودات تَعَالَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ: نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء والمؤمنون فالأمثل فالأمثل.

فالذي ذاق طعم الابلاء تحت ظل التوجه والعنابة الربانية، فهو في الحقيقة يستلزم ويسعد أكثر من الناس المتعتمين باللذات المادية، وطريقة استمتعتهم عند مواجهة الامتحان هي أنهم يحبون ويستيقظون إلى الابلاء والامتحان.

نعم فتحت ظل الابتلاءات الإلهية والصعوبات تكون أنوار العفة والرحمة

وافرة وبالعكس، فبجانب أنوار النعمة وكثرة الماديات هنالك نيران الابلاءات وما أقل الناجين في هذين المرحلتين الذين يصلون إلى مرادهم.

«وَمَا أَنْتَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ إِلَّا  
بَعْدَ ابْتِلَائِهِ وَوَفَاءَ حَقَّ الْعِبُودِيَّةِ فِيهِ. فَكَرَامَاتُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَقِيقَةِ  
نَهَايَا تَبَدِيلَاتِ بِدَايَا تَهَا الْبَلَاءُ وَبِدَايَا تَنْهَايَا الْبَلَاءُ.

وَمَنْ خَرَجَ مِنْ شِبَكَةِ الْبُلْوَى جَعَلَ سَرَاجَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْنَسَ الْمُقْرَبِينَ وَدَلِيلَ  
الْفَاصِدِينَ وَلَا خَيْرَ فِي عَبْدٍ شَكَا مِنْ مِحْنَةٍ تَقْدَمَهَا أَلَافُ نِعْمَةٍ وَاتَّبَعَهَا أَلَافُ  
رَاحَةٍ. وَمَنْ لَا يَقْضِي حَقَّ الصَّابِرِ فِي الْبَلَاءِ حُرِمَ قَضَاءَ الشُّكْرِ فِي النِّعَمَاءِ  
كَذِلِكَ مَنْ لَا يُؤَدِّي حَقَّ الشُّكْرِ فِي النِّعَمَاءِ بِحُرْمَ قَضَاءَ الصَّابِرِ فِي الْبَلَاءِ،  
وَمَنْ حُرِمَهُمَا فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ».

### حمد الله سبحانه بعد الابلاء:

إِنَّ اللَّهَ الرَّحْمَنَ لَمْ يَمْدُحْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ إِلَى الْخَاتِمِ عَلَيْهِ إِلَّا  
بَعْدَ أَنْ ابْتَلَاهُ وَامْتَحَنَهُ بِالصَّعْدَاتِ وَوَفَى الْعَبْدَ بِعَمَلِهِ وَوَظَانَفَهُ الْعِبُودِيَّةُ لِذَا  
فَالْمَقَامَاتِ وَالْكَرَامَاتِ الَّتِي تَصُلُّ لِلْعَبْدِ مِنْ جَانِبِ حَضْرَةِ الْحَبِيبِ هِيَ نِتْيَةُ  
وَآثَارُ الْامْتِحَانَاتِ وَالْابْلَاءِ، وَتَكُونُ هِيَ الْبِدَايَا وَنَهَايَا تَهَا الْبَلَاءُاتِ  
وَالصَّعْدَاتِ.

الإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَخْرُجُ مُنْتَصِرًا مِنْ مِيدَانِ الْامْتِحَانَاتِ يَصْبُحُ سَرَاجً

المؤمنين ورفيق وأنيس عباد الله المقربين ودليلًا للذين يقصدون السفر والسلوك المعنوي والوصول إلى المنزل الأخير.

لا خير في عبد شكى من محنـة، مـحـنة كـانـت قـبـلـهـا الـافـ رـحـمـةـ وـنـعـمـةـ وـتـكـونـ بـعـدـهـاـ أـيـضـاـ آـلـافـ رـحـمـةـ وـنـعـمـةـ تـصـلـهـ.

الـذـيـ لـاـ يـصـبـرـ وـلـاـ يـسـقـيمـ أـثـنـاءـ الـامـتـحـانـ فـإـنـهـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـؤـدـيـ حـقـ الشـكـرـ حـتـىـ أـثـنـاءـ النـعـمـةـ، بـالـطـبـعـ فـإـنـ الـذـيـ لـاـ يـؤـدـيـ حـقـ الشـكـرـ فـيـ النـعـمـةـ فـإـنـهـ يـحـرـمـ الصـبـرـ فـيـ الـبـلـاءـ، وـمـنـ حـرـمـ ذـلـكـ فـهـوـ مـنـ الـمـطـرـودـينـ.

«وقالَ أَيُّوبُ فِي دُعَايْهِ: اللَّهُمَّ قَدْ أَتَى عَلَيَّ سَبْعُونَ فِي الرَّخَاءِ وَأَتَى عَلَيَّ  
سَبْعُونَ فِي الْبَلَاءِ. وَقَالَ وَهَبٌ: الْبَلَاءُ لِلْمُؤْمِنِ كَالشَّكَالِ لِلدَّابَةِ وَالْعَقَالِ  
لِلْإِبَلِ وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الصَّابَرُ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأسِ مِنَ الْجَسَدِ.  
وَرَأْسُ الصَّابِرِ الْبَلَاءُ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ».

### الصبر في البلاء:

ابتلى الله سبحانه وتعالى نبيه أياوب عليه السلام بجميع الابتلاءات وخرج عليه منها  
منتصرًا منها وكان يقول في دعائه «اللهم عشت سبعون سنة في الراحة والرخاء  
حتى استطع أن اتحمل سبعون سنة في البلاء واستطع أن أعيش صابراً في  
الحياة».

وقال وهب بن منبه:

البلاء للمؤمن كالشكال للدابة والعقال للإبل.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ورأس الصبر البلاء وما يعقلها إلا العالمون.

### البلاء في كلام العرفاء:

يقول العارف الإلهي الشيخ حسن مصطفوي في توضيح الابتلاء:

البلاء هي حوادث مخالفة وحزينة تحدث أثناء مسيرة الحياة، وبما أن بحثنا هو حول المباحث المرتبطة بالسالك للطريق الإلهي والعبد المؤمن فالمقصود من البلاء هنا «قهرًا» هي الواقع والحوادث التي نشاهدتها في مسیر السیر والسلوك للإنسان التي ترى في طريق الروحانیة، ولأن السالك للطريق الإلهي يسير في هذا المسير الذي تكون برامجه مخالفة للحياة المادية من ناحية الاتجاهات والأعمال والأفكار والأخلاق، فإنه شاء أو أبى سيحصل اختلاف.

والسالك لصراط المعنوية يسير بخلاف من وجهتين: من ناحية المقتضيات النفسانية والاتجاهات المادية والشخصية والثاني من جهة الاتجاهات المادية للآخرين وبرامج الحياة الدينوية لسائر الناس.

في المرحلة الأولى: يجب عليه أن يجتنب الاقتداء بقوة الشهوة، الغضب، الحرص، الطمع، الجهل، الغفلة، عبادة الهوى، التظاهر، الأنانية، إتباع الهوى، أعمالسوء، النيات السيئة، الشائم وجميع الأمور التي لها ارتباط بالأمور النفسانية والدينوية، لذا فإن العدو اللدود للإنسان في مسیر المعنوية الأولى هو من الداخل وهي نفسه الحيوانية التي دائمًا تدعوه إلى أمانها وتحارب بشدة البرامج الحياتية المعنوية له.

الإنسان بطبيعته يحب أن يتبع شهواته ويحب استخدام الظلم والقدرة وأن يتجاوز على حقوق الآخرين ويتابع هواه وأن يكون غارقاً في النوم وسائر المللذات المادية ويحب أن يصبح مشهوراً ويمتلك المقام والمال والثروة والقدرة وأن لا يتقييد بالحدود والأحكام، لذا فإن مخالفة هذه الاتجاهات والسلوكيات التي هي خلاف هذه البرامج أمر صعب جداً ومتعب للغاية والعبور من هذه المراحل والمنازل لها عقبات وابتلاءات ومشاكل كبيرة.

في المرحلة الثانية: يجب علينا أن نختار العزلة من أغلب طبقات الناس وإذا رأينا مزاحمات أو مخالفات يجب علينا أن نتحمل وأن نسعى أن نستقيم في طريق سلوك المعنوية وأن لا نفك بقلة العدد وكثرة العدو وأن لا نستوحش من عتاب الآخرين ومن عداوة الأفراد الماديين. وأن لا ننزلزل ولا نهن أمام التظاهرات والمظاهر الحياة المادية.

ان الابتلاءات والصعوبات التي نواجهها في هذه المرحلة هو أمر طبيعي وقهري وعلى أساس القاعدة وباقضاء الجريان عادي وربما الأداء والعمل بالوظيفة هو دستور وحكم مخصوص، يدعوا السالك الروحاني بمخالفة وعداوة وإيذاء الناس الأمر الذي يحدث له مشاكل واختلافات شديدة ومجاهدات ومبازرات صعبة، وهذا النوع من الابلاء في أغلب الأوقات إنما يكون للأنبياء والأئمة الذي يملكون قدرة التبليغ وهداية الآخرين وكلما كانت المسؤولية عميقة وواسعة فإنه يحتاج إلى تحمل واستقامة ونشاط أكثر فإذا لم يكن هذا التحمل والاستقامة والثبات والصبر في المشاكل، فإن السالك لن يستوجب الكرامات الإلهية والمقامات المعنوية فيتبين لنا أن الكرامات والحصول على المقامات يستوجب تكاليف صعبة ووظائف شاقة وأدائها يحتاج إلى مبارزة شديدة واستقامة شديدة وطويلة.

فقط هدفي أن أشاهد وجهك ولا غير، ولا أتمنى شيئاً إلا اللقاء ولا غير. واستطيع أن أرى العالم بهذه العين، ولكن مرادي هو فقط رؤيتك ولا غير. وهذه الروح المشتاقه فقط لأجل زلفك، في كل هذا العالم فقط أريدك. حتى لحظة واحدة قلبي لا يستطيع مفارقة غمك، وكأنما لا رأي له إلا

غمك.

فكل العالم وله بك، ولكن ليس وله كمتك.  
وإن عشاقك كلهم حلو الحديث، لكن العراقي ليس مثله حلو  
ال الحديث<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> - فخر الدين عراقي.

الباب

(٩١)

في الصبر



قال الصادق عليه السلام:

الصَّابِرُ يُظْهِرُ مَا فِي بَوَاطِنِ الْعِبَادِ مِنَ النُّورِ وَالصَّفَاءِ، وَالْجَزَعُ يُظْهِرُ مَا فِي بَوَاطِنِهِمْ مِنَ الظُّلْمَةِ وَالْوَحْشَةِ.

وَالصَّابِرُ يَدْعُيهِ كُلُّ أَحَدٍ وَمَا يُبْتَثُ عِنْدَهُ إِلَّا مُخْبِتُونَ. وَالْجَزَعُ يُنْكِرُهُ كُلُّ أَحَدٍ وَهُوَ أَبْيَنُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ نُزُولَ الْمِحْنَةِ وَالْمُصِيبَةِ يُخْبِرُ عَنِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ.

وَتَفْسِيرُ الصَّابِرِ مَا يَسْتَمِرُ مَذَاقُهُ، وَمَا كَانَ عَنِ اضْطِرَابٍ لَا يُسَمِّي صَبَرًا.  
وَتَفْسِيرُ الْجَزَعِ اضْطِرَابُ الْقَلْبِ وَتَحَزُّنُ الشَّخْصِ وَتَغْيِيرُ اللَّوْنِ وَتَغْيِيرُ  
الْحَالِ.

وَكُلُّ نَازِلَةٍ خَلَتْ أَوَاتِلُهَا مِنَ الْأَخْبَاتِ وَالْأِنْبَاتِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ  
فَصَاحِبُهَا جَزَوْعٌ غَيْرُ صَابِرٍ.

وَالصَّابِرُ مَا أَوَّلُهُ مُرٌّ وَآخِرُهُ حُلُوٌّ لِقَوْمٍ، وَلِقَوْمٍ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ حُلُوٌّ، فَمَنْ  
دَخَلَهُ مِنْ أَوَّلِهِ فَقَدْ دَخَلَ، وَمَنْ دَخَلَهُ مِنْ أَوَاتِلِهِ فَقَدْ خَرَجَ.

وَمَنْ عَرَفَ قَدْرَ الصَّابِرِ لَا يَصْبِرُ عَمَّا مِنْهُ الصَّابِرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَصَةِ  
موسى وَالْخِضْرِ عَلَى نَبِيِّنَا وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِظِّ بِهِ  
خُبْرًا﴾.

فَمَنْ صَبَرَ كُرْهًا وَلَمْ يَشْكُ إِلَى الْخَلْقِ وَلَمْ يَجْزَعْ بِهَنْكِ سِرِّهِ فَهُوَ مِنَ  
الْعَامِ وَنَصِيبُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ﴾<sup>١</sup> أَيْ بِالْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ.  
 وَمَنِ اسْتَقْبَلَ الْبَلَاءَ بِالرَّحْبِ وَصَبَرَ عَلَى سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ فَهُوَ مِنَ الْخَاصِّ  
 وَنَصِيبُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>٢</sup>.

١ - البقرة: ٢: ١٥٥.

٢ - البقرة: ٢: ١٥٣.

## «الصَّابِرُ يُظْهِرُ مَا فِي بَوَاطِنِ الْعِبَادِ مِنَ النُّورِ وَالصَّفَاءِ»

### حقيقة الصبر:

يشير الإمام الصادق ع<sup>عليه السلام</sup> في هذا الفصل إلى أهم المسائل الروحية التي تضمن الحفاظ على الفضائل والجهد العبادي للإنسان في سبيل الله وهو الصبر. مع أن أعداء الإسلام وفي رأسهم المستعمرين منذ مئات السنين حاولوا أن يغيروا مفهوم هذه الحقيقة والكثير من الحقائق وأن يوجهوا من هذا الطريق ضربات قاضية للإسلام والمسلمين، ولا أتصور أن الإنسان عندما يتأمل قليلاً في آيات القرآن والروايات أن المعنى الحقيقي يبقى خافياً عليه.

واستعمل القرآن الكريم كلمة الصبر في آياته المتعلقة بالجهاد والعبادات وترك المحرمات وعند مهاجمة المصائب للإنسان والصعوبات ويعتبرها من أهم عوامل النجاح والنصر والسبب الحقيقي للحصول على التقوى الإلهي.

لذا، فالصبر يعني الثبات على سبيل الله من أجل الحفاظ على شخصية الإنسان والصمود أمام الأعداء من أجل استمرار الثقافة الدينية والوقف بوجه الآمال والشهوات الخاطئة من أجل السنن الإلهية والصمود في كل عمل إيجابي يكون نافعاً للإنسان وعائلته ومجتمعه ويعني الصبر أيضاً التحمل أمام إيزاء الجاهلين مثل الأقرباء والأصدقاء وسائر الناس، حتى يستطيع عن هذا الطريق وبالأخص

العفو عنهم من تأديبهم وتحليهم بأخلاق الأولياء.

يجب أن نقول: أتنا نستطيع أن نرى آثار الصبر في جميع الطاعات والعبادات وترك المحرمات والذنوب وتحمل الشدائـد التي تأتي من جانب حضرة الحق سبحانه وتعالى للإنسان لصقل شخصيته ونمو استعداده.

فالذي لا يمتلك الصبر والتحمل الروحي عند الطاعات وترك المحرمات وعند مواجهة الشدائـد والمصائب فإنه محروم من الطاف الرحمن في الدنيا والآخر ومن الفيوضات الربانية والنفحات الإلهية.

يجب تعلم الصبر والصمود في جميع شؤون حياتنا من الأنبياء والأئمة عليهما السلام وأولياء الله لأن هؤلاء العظام هم أفضل المعلمين والمرشدين في جميع فروع الحياة وبالأخص في مسألة الصبر.

فما يمكننا أن نشرحه في هذا المختصر من الصبر من وجهة نظر القرآن الكريم والروايات الشريفة والباحث العرفاني سنوضحه، عسى أن يشملنا الفيض الإلهي نحن المهجورون وان نصل عن هذا الطريق الى أفضل عنایات والطاف حضرة المحبوب.

### الصبر في القرآن الكريم:

يقول القرآن الكريم:

كي نحصل على روح التحمل أمام الحوادث الصعبة وطفوفان الحوادث المركبة للداخل والخارج والمصائب التي لا يمكن أن يتحملها الإنسان ومن كل شيء فيه ضرر بدينك وإيمانك وشخصيتك، يجب علينا أن نستعين بديننا وإيماننا وشخصيتنا، يجب علينا أن نستعين بالصبر والصلـاة أو الصبر والتحمل أمام

الطاعات والعبادات وترك المحرمات والحوادث فإنها توجد حالة قوية لدى الإنسان إلى حد أنه يصبح كالجبل الراسخ وتصبح الصلاة الروح والفكر والقلب بصفة ملكوتية وتبلغ بالإنسان إلى معراج العشق والصفاء والوصال وتبعده عن ميدان الفحشاء والمنكرات وتقربه من أرض الفضائل والمعنويات حتى كأنه يسبح في بحر الحسنات.

**﴿وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَ الصَّلَاة﴾<sup>١</sup>**

ويقول القرآن الكريم أيضاً:

إن الله الرحمن مع الصابرين في كل مكان وزمان وحال ومعية الحق هذه مع الصابرين في الحقيقة أنها مسألة كبيرة وعظيمة ولا يستطيع أحداً أن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة.

**﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>٢</sup>**

نستفيد من مفهوم آيات الكتاب الكريم بأن أغلب المشكلات التي تواجه الصابرين وبالأخص في فترة الحرب ضد الأعداء هي الخوف، والجوع ونهب الأموال وزهر الأرواح.

في الآيات من (١٥٧) وما بعدها من سورة البقرة التي ذكرت المسائل المشار إليها أعلاه، جاء البحث حول الصابرين كي يبشرهم ويعلّمهم كيفية الصبر ويوضح المسألة الأصلية حول لزوم الصبر والجزاء العمومي للذى وقع لهم رحمة وهداية من الله سبحانه وتعالى.

١- سورة البقرة: ٤٥

٢- البقرة: ١٥٣

في البداية يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يبشر الصابرين، ولكن بأي شيء يبشرهم؟ لم يذكر هذا المعنى في الآية ولكن تطرقت إليها على وجه العموم، كي يبين عظمتهم أكثر، ذلك لأن كل شيء هو من الله سبحانه وتعالى، إذن كلّه حسن وجميل وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى وعدهم بها، بعد ذلك وصفهم الله الصابرين بأنهم عند نزول المصائب يقولون:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>١</sup>.

من البديهي أن المقصود ليس أنهم يرددون هذه الجملة فقط أو تعبّر في خواطيرهم، بل إن المقصود أنهم يتحلون بحقيقة معنى هذه الآية وذلك بأن يؤمّن الإنسان بأنه مملوك لله الواحد الأحد وأن رجوعه إلى الله سبحانه وتعالى فالذى يؤمّن بهاتين الحقيقتين فإنه أدرك دون شك أعلى درجات الصر أمام مواجهة الحوادث ويكون الجزع والعجلة والغفلة قد ذهبت من قلبه.

﴿أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>٣</sup>.  
 ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾<sup>٤</sup>.

١ - البقرة: ٢: ١٥٦.

٢ - البقرة: ٢: ١٥٧.

٣ - البقرة: ٢: ١٧٧.

٤ - آل عمران: ٣: ١٤٦.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾<sup>١</sup>.

﴿وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾<sup>٢</sup>.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقْبِنِ﴾<sup>٣</sup>.

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقَ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>٤</sup>.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّاتٍ بِمَا صَبَرُوا﴾<sup>٥</sup>.

### الصبر في الروايات:

إذا أردنا أن نذكر جميع الروايات التي تخص موضوع الصبر الواردة في كتب الروايات، فإننا في الحقيقة سنتحتاج الى كتابة مجلد لكل موضوع خاص في باب الصبر، ولكن في هذا الفصل سنكتفي بذكر بعض الروايات التي عسى أن تنور لنا طريقنا في الحياة وترشدنا في السير والسلوك. ويمكن مراجعة الروايات التي تخص باب الصبر في كتب (الكافي)، و(بحار الأنوار)، و(مستدرك الوسائل)، و(الوافي) للغرض كاشاني.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الصَّابِرُ رَأْسُ الْأَيْمَانِ»<sup>٦</sup>.

١- آل عمران: ٣٠٠.

٢- الأعراف: ٧٣.

٣- هود: ١١.

٤- يوسف: ٩٠.

٥- القصص: ٢٨.

٦- الكافي: ٢/٨٧، باب الصبر، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٣/٢٥٧، باب ٧٦، حديث ٣٥٦٨.

وفي رواية أخرى يكمل الرواية هكذا:

«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب

الرأس ذهب الجسد كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»<sup>١</sup>.

يقول أبو بصير:

سمعت أبا عبد الله عَلِيَّ عَلَيْهِ الْمُكَبَّةُ يقول:

إن الحر حر على جميع أحواله، إن نابته نابتة صبر لها وإن تدافت عليه المصائب لم تكسره وإن اسر وقهر واستبدل باليسير عسرا كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضرر حريته أن استعبد وقهروا سر ولم تضرره ظلمة العجب ووحشته وما ناله أن من الله عليه فجعل العجاف العاتي له عبدا بعد إذ كان [له] مالكا، فأرسله ورحم به أمة وكذلك الصبر يعقب خيرا، فاصبروا ووطنو أنفسكم على الصبر توجروا<sup>٢</sup>.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْمُكَبَّةُ قَالَ: «الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبَرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَهُ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهْوَاتِ فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهَا لَذَّتَهَا وَشَهْوَتَهَا دَخَلَ النَّارَ»<sup>٣</sup>.

قال الإمام الصادق عَلَيْهِ الْمُكَبَّةُ:

١- الكافي: ٢/٨٧، باب الصبر، حديث ٢، بحار الأنوار: ٦٨/٨١، باب ٦٢، حديث ١٧.

٢- الكافي: ٢/٩٨، باب الصبر، حديث ٧، وسائل الشيعة: ١٥/٩٣، باب ٤٢، حديث ٦٠٦٠.

٣- الكافي: ٢/٩٠، باب الصبر، حديث ٩، بحار الأنوار: ٦٨/٧٣، باب ٦٢، حديث ٦.

دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كثيб حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: مالك؟ قال: يا أمير المؤمنين أصبت بأبي [وامي] وأخي وأخشي أن أكون قد وجلت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

عليك بتفوي اللہ والصبر تقدم علیه غدا ؛ والصبر في الامور بمنزلة الرأس من  
الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الامور فسدت  
الامور<sup>١</sup>.

قالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ: «الصَّابِرُ صَبَرَانِ: صَبِيرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ الصَّابِرُ عِنْدَ مَا حَرَمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَ عَلَيْكَ. وَالذُّكْرُ ذِكْرُانِ ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ مَا حَرَمَ عَلَيْكَ فَيَكُونُ حَاجَزاً»<sup>٢</sup>.

قال رسول الله ﷺ: الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجات كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش .<sup>٣</sup>

١- الكافي: ٩٠/٢، باب الصبر حديث ٩، بحار الأنوار: ٧٣/٦٨، باب ٦٢، حديث ٦.

<sup>٢٠</sup>- الكافي: ٩٠/٢، باب الصبر، حديث ١١؛ مشكاة الأنوار: ٢٢، الفصل الخامس في الصبر.

<sup>٣</sup>- الكافي: ٩١/٢، باب الصبر، حديث ١٥، بحار الأنوار: ٧٧/٦٨، باب ٦٢ حديث ١٢.

قالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ: «إِنَّ الصَّبَرَ وَحْسُنَ الْخُلُقِ وَالْبِرَّ وَالْحَلْمِ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَتْبَاءِ»<sup>١</sup>.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ: «لَا يَذُوقُ الْمَرْءُ مِنْ حَقِيقَةِ الْأَيْمَانِ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثٌ خَصَالٌ: الْفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَالصَّبَرُ عَلَى الْمَصَابِ، وَحْسُنُ التَّقْدِيرِ فِي الْمَعَاشِ»<sup>٢</sup>.

وَعَنْهُ عَلَيْهِ: «صَبَرْكَ عَلَى مَحَارِمِ اللَّهِ أَيْسَرٌ مِنْ صَبَرْكَ عَلَى عَذَابِ الْفَقِيرِ، مَنْ صَبَرَ عَلَى اللَّهِ وَصَلَّى إِلَيْهِ»<sup>٣</sup>.

أيها القلب كن موافقاً لزلف العنبر ، أمض يومك في ظلام وكن  
قلق.

إذا لم تستطع أن تداريهم فكن بلون الحبيب، اذهب وتشبه به في  
عالم الظاهر.

وأيقع بالروح وصل الحبيب، وإلا ستظل إلى الأبد تعيش حالة  
الهجران.

وإذا علمت في حياتك جميع الأعمال إلا العشق، فإنك ستعيش طوال  
الحياة نادماً.

إلى متى تظل عبداً لعالم التركيب، اكسر الطلس وادخل عالم الروح.

١- جامع الأخبار: ١١٦، الفصل الحادي والسبعون في الصبر؛ بحار الأنوار: ٩٢/٦٨، باب ٦٢، حديث ٤٦.

٢- قرب الإسناد: ٤٦؛ بحار الأنوار: ٨٥/٦٨، باب ٦٢، حديث ٢٩.

٣- الدعوات، راوندي: ٢٩٢، حديث ٣٩؛ بحار الأنوار: ٩٥/٦٨، باب ٦٢، حديث ٦٠.

ولا يستطيع الأطباء أن يعالجوك، امش بدائثك وكن قرير العين.  
ولا نستطيع أن ننظر إلى وسعة الحديقة، فانظر إلى الأشواك وكن  
مرتاح البال.

نصيب النبي الله خضر كان ماء الحياة، فقل لسكندر الذي ركض وراءه  
متحيراً<sup>١</sup>.

**الصبر من وجه العرفان:**

**يكون الصبر على ثلاثة أنواع:**

**الأول:** الصبر العام ويكون جنسه من النفس، ويكون على سبيل اظهار التجلد  
والثبات في التحمل، حتى يصبح ظاهره قريب من العقلاة ويكون مرضياً أمام  
عموم الناس.

**الثاني:** صبر الزهاد والمتبعدين وأهل التقوى وأرباب الحلم من أجل  
الحصول على الثواب في الآخرة.

**الثالث:** صبر العرفاء، فبعضهم يتلذذون بالمكرره ذلك انهم يتصورون بأن الله  
سبحانه وتعالى قد خصهم بذلك البلاء دون عباده.

علامة الصبر هو ضبط النفس واستحكام الدرس والمدوامة على طلب الأنس  
والمحافظة على الطاعات والاستفচاء في الواجبات والصدق في المعاملات  
وطول القيام في المجاهدات واصلاح الذنوب وترك الشكوى والصبر على  
الأذى.

---

١- فروغى، بسطامي.

الصبر هو أن لا تفرق في حالة الشدة أو الرخاء وسكون النفس في البلاء وتحمل المصائب.

فعندما ينزل بك بلاء الكونين أو حينما تنزل عليك محنـة العالمين عليك أن لا تتأوهـ وان لا تبحث عن أي شيء آخر إلا الصبر وأن تكون حالتـك في البلاء مثلـما هي في حالة الرخاء.

**﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>١</sup>.**

### أقسام الصبر:

يمكن تقسيم الصبر إلى عدة أقسام على أساس حالات الصابرين وكيفية صبرهم:

- ١- الصبر للـه: وهو حبس النفس من الجزع في حال وقوع أمر مكرـه أو في حال فوات الأوان لأمر مهم.
- ٢- الصبر في الله: وهو الثبات والاستقامة في سبيل الحق من أجل تحمل البلـيات وترك اللذـات ودفع المـوانع.
- ٣- الصبر مع الله: وهو صبر أهل المـعرفـة والـبصـيرـة وـتـظـهـرـ عـنـهـمـ هـذـهـ الـحـالـةـ عـنـ بـرـوزـ المـوانـعـ وـظـهـورـ آـثـارـ النـفـسـ.
- ٤- الصبر عن الله: ينقـسمـ هـذـاـ الصـبـرـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ،ـ فـالـأـولـ يـخـتـصـ بـالـفـسـاقـ وـالـآـخـرـ بـالـعـشـاقـ،ـ فـيـ الـأـولـ يـحـكـيـ لـنـاـ عـنـ الـبـعـدـ وـالـابـتـاعـ،ـ وـفـيـ الـثـانـيـ يـحـكـيـ لـنـاـ عـنـ الـقـرـبـ،ـ فـيـ الـحـالـةـ الـأـوـلـيـ كـلـمـاـ اـزـدـادـ الـفـاسـقـ فـيـ صـبـرـهـ عـلـىـ فـسـوقـهـ كـلـمـاـ اـزـدـادـ

١- التحلـ ١٦: ١٢٦.

حالته سوءاً، وفي الحالة الثانية كلما ازداد العاشق في صبره كلما ازداد قرباً، فالصبر في الأول يرتبط بأهل الجفاء والغفلة، وفي الثاني يرتبط بأهل المعرفة وال بصيرة.

٥- الصبر بالله: وهو صبر الموحدين وصبر أهل التمكين في مقام الاستقامة في أمر الله سبحانه وتعالى.

### درجات الصبر:

يقول الخواجہ: الصبر عبارة عن حبس النفس عن الجزع واظهاره يدل على الشکوی والتذمر. الصبر لعامة الناس أصعب منزلة وأهل المحبة هو أخو福 مقام وللموحدین هو أدنی موقف، ويكون على ثلاثة درجات:

١- الدرجة الأولى من الصبر: الصبر عن المعصية لأجل الحفاظ على الإيمان واجتناب العذاب ويحصل مع مطالعة الوعد الإلهي. في هذا المقام إذا كانت عوامل الصبر هي الغضب والندم والحياء من الله سبحانه وتعالى وكانت سبباً لأن يتبع السالك عن المعاصي، فهذا الصبر هو أفضل الصبر.

٢- الدرجة الثانية من الصبر: الصبر على الطاعة ويحصل بالمحافظة والدوم على الطاعة وتقسيمها.

٣- الدرجة الثالثة من الصبر: الصبر على البلاء والمصائب للحصول على الثواب الإلهي، فتحمل هذا الصبر مع انتظار الفرج من الله سبحانه وتعالى يصبح سهل وبسيط. فالمصائب تسهل وتهون مع ذكر الله سبحانه وتعالى، فالذي يذكر الله جل وعلا فإنه لا يشعر بالتعب<sup>١</sup>.

«الصَّبَرُ يُظْهِرُ مَا فِي بُوَاطِنِ الْعِبَادِ مِنَ النُّورِ وَالصَّفَاءِ، وَالْجَزَعُ يُظْهِرُ مَا فِي بُوَاطِنِهِمْ مِنَ الظُّلْمَةِ وَالْوَحْشَةِ. وَالصَّبَرُ يَدْعِيهِ كُلُّ أَحَدٍ وَمَا يَبْثُتُ عِنْدَهُ إِلَّا مُخْبِتُونَ. وَالْجَزَعُ يُنْكِرُهُ كُلُّ أَحَدٍ وَهُوَ أَبْيَنُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ لِأَنَّ نُزُولَ الْمِحْنَةِ وَالْمُصِيبَةِ يُخْبِرُ عَنِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ. وَتَفْسِيرُ الصَّبَرِ مَا يَسْتَمِرُ مَذَاقُهُ، وَمَا كَانَ عَنِ اضْطِرَابٍ لَا يُسَمِّي صَبَرًا. وَتَفْسِيرُ الْجَزَعِ اضْطِرَابُ الْقَلْبِ وَتَحْزُنُ الشَّخْصِ وَتَغْيِيرُ اللَّوْنِ وَتَغْيِيرُ الْحَالِ. وَكُلُّ نَازِلَةٍ خَلَّتْ أَوْإِلَهَا مِنَ الْأَخْبَاتِ وَالْأَنَابَاتِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ فَصَاحِبُهَا جَزُوعٌ غَيْرُ صَابِرٍ».

## معنى الصبر والجزع:

يقوم الإمام الصادق علیه السلام:

الصبر يظهر لنا خفايا الإنسان من الصفات الحسنة والنور والصفاء والجزع يفضي لنا ما في قلب الإنسان من الضعف والظلم والاضطراب والخوف. فالجميع يدعى بأنهم صابرون نافين الجزع والخوف عن أنفسهم، لكن الصابر هو الذي يطيع الله جل وعلا في اوامره. يمكن مشاهدة مفهوم الجزع عند المنافقين، ذلك أنهم عند الابتلاء يتباهم حالة من الاضطراب والشك والخوف والظلم وظهور حقائق باطنهم، وفي الخطوة الأولى يخسرؤن الإيمان والاستقامة

ويظهر كذب ادعائهم.

حقيقة الصبر هو أن يكون المرء راسخ العقيدة عند نزول المصائب، لذا فإن حدود الصعوبة وقبولها في مفهوم الصبر مأخوذ بعين الاعتبار. ففي حالة أن الأمر لم يكن فجيعاً، أو أنه يصر على أمر في حالة اضطراب وغضب فإن ذلك خارج عن مفهوم الصبر.

الجزع هو عكس الصبر، فهو إدامة أمر أو حالة مع الاضطراب والحسرة وعدم ارتياح القلب وتغيير الحالة الظاهرية للإنسان من لونه وسيماه.

فقد علمنا أن الصبر الممدوح بدايته تكون مقترنة بالخضوع والخشوع والالتفات إلى الله سبحانه وتعالى ثم الاستمرار بالعادة الروحية، فعندما تفقد هذه الحدود فإنه يصبح جزعاً.

«وَالصَّابِرُ مَا أَوَّلُهُ مُرٌّ وَآخِرُهُ حَلْوٌ لِقَوْمٍ، وَلَقَوْمٌ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ حَلْوٌ، فَمَنْ دَخَلَهُ  
 مِنْ أَوَّلِهِ فَقَدْ دَخَلَ، وَمَنْ دَخَلَهُ مِنْ أَوَّلِهِ فَقَدْ خَرَجَ. وَمَنْ عَرَفَ قَدْرَ  
 الصَّابِرِ لَا يَصْبِرُ عَمَّا مِنْهُ الصَّابِرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْحِضْرَمِ  
 عَلَى نَبِيِّنَا وَشَفِيلَتِهِ: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحْطِطْ بِهِ خَبْرًا»! فَمَنْ  
 صَابَرَ كُرْهًا وَلَمْ يَشْكُ إِلَى الْخَلْقِ وَلَمْ يَجْزُعْ بِهِنْكِ سُتُّرَهُ فَهُوَ مِنَ الْعَامِ  
 وَنَصِيبُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»<sup>١</sup> أَيْ بِالْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ.  
 وَمَنِ اسْتَقْبَلَ الْبَلَاءَ بِالرَّحْبِ وَصَابَرَ عَلَى سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ فَهُوَ مِنَ الْخَاصِّ  
 وَنَصِيبُهُ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»<sup>٢</sup>.

### الصابرون الحقيقيون:

تكون بداية الصبر لمجموعة ما بداية مرأة ونهايتها حلوة، ولمجموعة أخرى  
 تكون بداية مرأة ونهاية مرأة أيضاً، فالذي يدخل طريق الصبر ويأخذ في الاعتبار  
 نتائجها فهو من الصابرين بشكل مسلم ويتوافق لرؤيه النتيجة المطلوبة لصبره.

١- الكهف: ٦٨.

٢- البقرة: ٢٠٥.

٣- البقرة: ٢٠٣.

الذي ينظر إلى بداية مرارة الصبر فإنه لا يملك مصداق الصابر والصبر بينما الذي عرف منزلة ومقام هذا العمل فإنه لا يرضي أن يكون هناك وقف وتسامح في عوامل الصبر أو يكون غير مهني لذلك.

يقول الله سبحانه وتعالى في قصةنبي الله موسى والخضر ﷺ:

**كيف تصبر على مالم تحظ به علمًا؟**

لذا فإن الذي يصبر عن طريق الإكراه في الوقت الذي يسعى فيه أن لا يشكى أو يشتكي أو يظهر باطنه بالاضطراب والجزع فإنه من عموم الصابرين، وتشمله الآية الشريفة من جهة النصيب والحظ:

**وبشر الصابرين.**

أما إذا ذهب لاستقبال البلاء من أعمقأق قلبه وصبر ولم يظهر أقل جزع أو فزع واظهر الوقار والثبات بكل راحة بال واطمئنان قلب فإنه يعتبر من خواص الصابرين ويشمله قول الله سبحانه وتعالى:

**﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.**

**صبر امرأة الله سبحانه وتعالى:**

ينقل عن أحد الفضلاء:

كت أمر من أحد القبور، فرأيت امرأة جالسة بين القبور تردد هذه الأشعار وكانت بهذا المضمون:

صبرت في الوقت الذي أعلم أن عاقبته حسنة، فهل الجزع يليق بي؟

صبرت على أمر إذا نزلت بعض منه على الجبال لترزلت  
فدمعت عيناي وبعدها استرددت الدموع لعيني وأنا باكيه بقلبي.  
يقول ذلك الرجل: فسألت تلك المرأة عما أصابها وأي مصيبة نزلت بها،  
وقلت لها: إنك تقولين صبرت على أمر لا يستطيع أحد أن يصبر عليه فما هو ؟  
فأجابت: ذبح زوجي خروفاً لأطفاله في يوم من الأيام، وبعد ما انتهى من  
ذبحه رمى السكين في إحدى زوايا البيت وخرج من المنزل فقام ابني  
الكبير بتقليل ابيه وربط يديه وورجل لي أخيه الصغير وطرحه أرضاً، وقال:  
أريد يا أخي أن أريك كيف ذبح والدي الخروف. بعدها قام الأخ الكبير،  
بذبح الأخ الصغير وعرفت ذلك عند ما فات الأوان، فغضبت على ولدي الكبير  
فأردت أن أضربه، فهرب إلى الصحراء وعندما رجع زوجي إلى البيت علم  
بالأمر، فذهب يبحث عن الولد، فوجده ميتاً قد هاجمه حيوانات الصحراء فحمل  
جنازته إلى البيت وفارق الحياة من شدة العطش والتعب، فبادرت بسرعة كي  
أصل إلى جنازة زوجي ولدي، وفي هذه الأثناء زحف طفل الرضيع إلى قدر  
فيه ماء يغلي، فانقلب عليه القدر ومات في الحال. وعلى أية حال فأنا في يوم  
واحد فقدت جميع أعضاء عائلتي وفي هذه الأثناء فكرت في نفسي إني إن  
صبرت على هذه المصائب والبلايا، فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيني خيراً  
عليها.

ثم تمتت بأشعار بهذا المضمون:

جميع الأمور من الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليس لنا من أمرنا شيءٌ<sup>١</sup>.

الباب

(٩٢)

في الحزن والغم



قال الصادق عليه السلام:

الحزن من شعار العارفين لكترة واردات الغيب على أسرارهم وطول مباهاتهم تخت سر الكبارياء.  
والمحزون ظاهرة قبض وباطنة بسط، يعيش مع الخلق عيش المرضى ومع الله عيش القربى.  
والمحزون غير المتفكر لأن المتفكر متكلف والمحزون مطبوع، والحزن يبدو من الباطن والتفكير يبدو من رؤية المحدثات وبينهما فرق. قال الله عزوجل في قصة يعقوب عليه السلام: إنما أشكوا بشي وحزنى إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون<sup>١</sup> وقيل لربيع بن خثيم: ما لك مهموما؟ قال: لأنى مطلوب. ويمين الحزن الانكسار وشماله الصمت، والحزن يختص به العارفون لله تعالى، والتفكير يسترك فيه الخاص والأعم.  
ولو حجب الحزن عن قلوب العارفين ساعة لاستغاثوا، ولو وضع فى قلوب غيرهم لاستنكروه، فالحزن أول ثانية الأمان والإشارة والتفكيرثان أوله تصحيح الأيمان وثالثة الأفتخار إلى الله تعالى بطلب النجاة.  
والحزين متفكر والمتفكر معتبر. ولكل واحد منهم حال وعلم وطريق وعلم ومشرب.

«الحزنُ منْ شعَارِ الْعَارِفِينَ لِكَثْرَةِ وَارِدَاتِ الْغَيْبِ عَلَى أَسْرَارِهِمْ وَطُولِ  
مُبَاهاةِهِمْ تَحْتَ سِرِّ الْكِبِيرِ يَاءَ.

وَالْمَحْزُونُ ظَاهِرٌ قَبْضٌ وَبَاطِنٌ بَسْطٌ، يَعِيشُ مَعَ الْخَلْقِ عِيشَ الْمَرْضِيِّ وَمَعَ  
اللَّهِ عِيشَ الْقُرْبَىِ.

وَالْمَحْزُونُ غَيْرُ الْمُتَفَكِّرِ لِأَنَّ الْمُتَفَكِّرَ مُتَكَلِّفٌ وَالْمَحْزُونُ مَطْبُوعٌ، وَالْحَزْنُ  
يَبْدُو مِنَ الْبَاطِنِ وَالْفِكْرُ يَبْدُو مِنْ رُؤْيَاةِ الْمُحَدَّثَاتِ وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ: قَالَ اللَّهُ  
عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا أَشْكُوا بَشَّيْ وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ  
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»<sup>١</sup>.

## الحزن شعار العرفاء:

إذا كان الحزن من أجل فوات أمور ظاهرية ومسائل مادية فإن هكذا حزن  
هو مردود ولا تشمله الفيوضات الربانية من وجهة نظر القرآن المجيد.  
المقصود من هذا الحزن والغم في هذه الرواية هو الحزن الذي ينتاب الإنسان  
عندما ينظر إلى صغره أمام عظمة حضرة الحق سبحانه وتعالى، وهو الحزن الذي  
يصيبه على أثر الوصول إلى مقام الشهود بالنسبة إلى الحقائق وأنه لماذا هذا

الإنسان على الرغم من كل هذا الإيمان والعمل، يبقى حقيراً وفقيراً وهو الحزن الذي يشعر به الإنسان عندما يفكر في أحوال يوم القيمة من حسابها وكتابها، وهذا الحزن الذي يكون السبب في تسريع حركة السير والسلوك للإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، هو ممدوح ومحمود ومن أوصاف العارفين بالله.

تحديثنا ما أتاحت لنا الفرصة في كل مناسبة في أكثر المجلدات السابقة حول هذا الموضوع، ولا نرى هنا حاجة إلى شرح مفصل لها بل نكتفي بتوضيح أصل الرواية فقط.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

الْحُزْنُ مِنْ شَعَارِ الْعَارِفِينَ لِكُثْرَةِ وَارِدَاتِ الْغَيْبِ عَلَى أَسْرَارِهِمْ  
وَطُولِ مُبَاهاَتِهِمْ تَحْتَ سِرِّ الْكِبِيرِيَاءِ.  
وَالْمَحْزُونُ ظَاهِرٌ قَبْضٌ وَبَاطِنٌ بَسْطٌ، يَعِيشُ مَعَ الْخَلْقِ عِيشَ  
الْمَرْضِى وَمَعَ اللَّهِ عِيشَ الْقُرْبَىِ.  
وَالْمَحْزُونُ غَيْرُ الْمُتَفَكِّرِ لِأَنَّ الْمُتَفَكِّرَ مُتَكَلِّفٌ وَالْمَحْزُونُ  
مَطْبُوعٌ، وَالْحُزْنُ يَبْدُو مِنَ الْبَاطِنِ وَالْفِكْرُ يَبْدُو مِنْ رُؤُسِهِ  
الْمُحْدَثَاتِ وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَصَّةِ  
يَعْقُوبَ عليه السلام: «إِنَّمَا أَشْكُوا بَشَّى وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ  
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

«وقيل لربيع بن خثيم: ما لك مهموماً؟ قال: لأنى مطلوبٌ وَيَمِينُ الْحُزْنِ  
الأنكسارُ وَشِمَالُهُ الصَّمَتُ، وَالْحُزْنُ يَخْتَصُّ بِهِ الْعَارِفُونَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالتَّفَكُّرُ  
يَشْتَرِكُ فِيهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُ. وَلَوْ حُجِبَ الْحُزْنُ عَنْ قُلُوبِ الْعَارِفِينَ سَاعَةً  
لَا سْتَغْاثُوا، وَلَوْ وُضِعَ فِي قُلُوبِ عَيْرِهِمْ لَا سْتَكْرُوهُ، فَالْحُزْنُ أَوَّلُ ثَانِيَهُ الْأَمْنِ  
وَالْبُشَارَةُ وَالتَّفَكُّرُ ثَانِيَهُ أَوَّلُهُ تَصْحِيحُ الْأَيْمَانِ وَثَالِثُهُ الْأَفْتَقَارُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
بِطَلْبِ النَّجَاهِ. وَالْحَزَنُ مُتَفَكِّرٌ وَالْمُتَفَكِّرُ مُعْتَبِرٌ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَالٌ  
وَعِلْمٌ وَطَرِيقٌ وَعِلْمٌ وَمَشْرَبٌ»

## حزن العرفاء:

قيل لربيع بن خثيم: مالك محزون ومهموم؟ فقال: لأن لدى مسؤولية كبيرة  
على عاتقي، وأنا مسائل ومطلوب دائمًا.  
ويمين الحزن التواضع أمام الله سبحانه وتعالي وشماله الصمت ولا يتسرى  
حقيقة الحزن بدون هاتين الصفتين.  
والحزن صفة مخصوصة لأهل العرفان ولكن التفكير يشتراك فيه العارف  
والعام.  
ولو سلب الله جل وعلا الحزن عن قلوب العارفين فإنهم يستغيثون ويتضرعون

إليه في كل لحظة ولو وضع الله هذه الصفة في قلوب الآخرين لفقدانها لاستثناؤها.

والحزن في الحقيقة مقام تكون نتائجه الأم من قهر وغضب الله جل وعلا ومبشره بالجنة والرحمة والفيوضات الربانية.

يحصل الإنسان على التفكير بعد الإيمان والاعتقاد الراسخ ونتيجة التفكير هو الشعور بالحاجة والفقر إلى الله سبحانه وتعالى وطلب النجاة والخلاص منه وكل أمرء حزين فهو متفكر قهراً وكل متفكر معتبر.

لكل واحد من هذين الحالتين، حالات مخصوصة ومعارف وعلوم وطريقة خاصة.

الأحوال التي تختص الحزين هي:

- ١- وصوله إلى مرتبة اليقين.
- ٢- معاينة أحوال يوم القيمة من سؤال وكتاب ونشر وحشر.
- ٣- علم صاحب الحزين أنها العلة إلى المعلول، وإنها من الحق إلى العبد.
- ٤- يكون علم الحزين تارة موهبة من الله سبحانه وتعالى.
- ٥- مشرب الحزين هو الحزن والتألم والافتقار إلى الله جل وعلا.



الباب

(٩٣)

في الحياة



قال الصادق عليه السلام:

الحياة نور جوهرة صدر الأيمان وتفسيرة الشَّبَّثُ عند كُلِّ شيءٍ يُنكره  
التَّوْحِيدُ والمعرفة، قال النبي عليه السلام:  
الحياة من الأيمان والأيمان بالحياة.

وصاحب الحياة خير كله، ومن حرم الحياة فهو شر كله وإن تعبد  
وتورع، وإن خطوة تخطاً في ساحات هيبة الله بالحياة منه إلهاً خيراً من  
عبادة سبعين سنة، والوقاحة صدر النفاق وصدر النفاق الكفر.  
قال رسول الله عليه السلام: إذا لم تستح فاعمل ما شئت. أي إذا فارقت الحياة  
فكل ما عملت من خير وشر فانت به معاقب.

وقوة الحياة من الحزن والخوف، والحياة مسكن الخشية والحياة أوله  
الهيبة وصاحب الحياة مشتغل بشأنه، معتزل من الناس مزدجر عما هم فيه  
ولو ترك صاحب الحياة ما جالس أحداً. قال رسول الله عليه السلام: إذا أراد الله  
بعبداً خيراً لهه عن محاسنه وجعل مساوياً بين عينيه وكراهه مجالسة  
المعرضين عن ذكر الله تعالى. والحياة خمسة أنواع:  
حياة ذئب، وحياة تفضير وحياة كرامة، وحياة حب، وحياة هيبة، ولكل  
واحدٍ من ذلك أهل، ولأهلهم مرتبة على حدة.

## «الْحَيَاءُ نُورٌ جَوْهَرٌ صَدْرُ الْأَيْمَانِ»

### حقيقة الحياة:

الحياة حالة معنوية وملكونية تظهر في الإنسان على اثر معرفة الإنسان لله سبحانه وتعالي والتوجه لاسمائه وصفاته ويكون الحياة سبباً في حفظ الانسان من ارتكاب المعاصي وعلة لحركة العبد نحو الطاعة والعبادة.

يتمتع أهل الحياة باللوقار والسكينة، والأدب والعظماء، والتربيه والعبادة والخبرة والعلم والصفاء والعقيدة.

يملك أهل الحياة تجاه الحقائق عيوناً ذات بصيرة، وقلوباً واعية وأرواحاً سامية، وإذا ما قطعواهم ارباً ارباً، فمن المستحيل أن يلوثوا انفسهم بالذنب أمام حضرة المحبوب والذي هم دائماً يعتقدون بحضورهم في حضرته المقدسة؛ أو يتراهلون بالعبادات والطاعة.

لقد أشرنا في المجلدات السابقة حول مسألة الحياة وبذلنا ما بوسعنا من جهد لشرح هذا الموضوع، وهنا فقط نكتفي بذكر بعض الروايات مع توضيحها.

### الحياة في الروايات:

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافِ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْأَيْمَانِ وَالْأَيْمَانُ فِي الْجَنَّةِ»<sup>1</sup>.

1 - الكافي: ١٠٦/٢، باب الحياة، حديث ١، وسائل الشيعة: ١٦٦/١٢، باب ١١٠، حديث ١٥٩٧٠.

قالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «الْحَيَاةُ وَالْعِفَافُ وَالْعَيْنُ - أَعْنِي عَيْنَ الْلِّسَانِ لَا عَيْنَ الْقَلْبِ - مِنَ الْأَيْمَانِ».<sup>١</sup>

عَنْ أَحَدِهِمَا عَلِيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «الْحَيَاةُ وَالْأَيْمَانُ مَفْرُونَانِ فِي قَرْنَى فَإِذَا ذَهَبَ أَحَدُهُمَا تَبِعَهُ صَاحِبُهُ».<sup>٢</sup>

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا حَيَاةَ لَهُ».<sup>٣</sup>

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «أَرْبَعَ مَنْ كَنَّ فِيهِ وَكَانَ مِنْ قَرْنَى إِلَى قَدَمِهِ ذُنُوبًا بَدَّلَهَا اللَّهُ حَسَنَاتٍ: الصَّدْقُ وَالْحَيَاةُ وَخَسْنُ الْخُلُقِ وَالشُّكْرُ».<sup>٤</sup>

### تبديل السيئة بالحسنة:

يقول العلامة المجلسي:

وقد قيل في هذا التبدل وجوه: الاول أنه يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم، الثاني أنه يبدل ملكة المعصية في النفس بملكه الطاعة الثالث أنه تعالى يوفقه لاصدار ما سلف منه الرابع أنه يثبت له بدل كل عقاب ثواباً.<sup>٥</sup>

١- الكافي: ١٠/٦٢، باب الحياة، حديث ٢٧؛ بحار الأنوار: ٣٢٩/٦٨، باب ٨١، حديث ٢.

٢- الكافي: ١٠/٦٢، باب الحياة، حديث ٤٤؛ وسائل الشيعة: ١٦٦/١٢، باب ١١٠، حديث ١٥٩٦٩.

٣- الكافي: ١٠/٦٢، باب الحياة، حديث ٥٥؛ بحار الأنوار: ٣٣١/٦٨، باب ٨١، حديث ٥.

٤- الكافي: ١٠/٧٢، باب الحياة، حديث ٧٧؛ وسائل الشيعة: ١٦٧/١٢، باب ١١٠، حديث ١٥٩٧٣.

٥- بحار الأنوار: ٣٣٢/٦٨، باب ٨١، ذيل حديث ٧.

ولقد ذكرنا قصصاً عديدة حول أهل الحياة في الفصول السابقة، تستطيع أن تراجعها.

من الضروري هنا أن نذكر، أن الحياة والعفة في الأمور الحسنة هي نوع من الحمافة وتعتبر ضربة قاضية لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وإنما يستفاد من الحياة في المعصية والطاعة وبعبارة أخرى عندما يتاح للإنسان فرصة لارتكاب المنكر والفحشاء، يجب على الإنسان أن يستحيي من الله جل وعلا وأن يتبع عن الذنب، وأيضاً عندما تتهيئ له وقت العبادة عليه أن يستحيي من ترك ذلك.

في رواية مهمة جداً تذكرها أكثر كتب الحديث ومنها (الكافي)، و(تحف العقول)، و(بحار الأنوار) أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يذكر أن الحياة من جنود العقل.

قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث نافع جداً:  
أينما وجد العقل وجد الحياة والإيمان!

عندما يقوم المرء تحت ظل معرفة الحق والمسائل الإلهية بتنمية العقل، عندها تنمو صفة الحياة والإيمان عنده كنتيجة لذلك، ويكون في ميدان الصفاء والطاعة والعبادة وخدمة الخلق وسيصنع من نفسه موجوداً لهياً ذو بركة ويكون خير مصدقٍ حقيقي لكلمة خليفة الله ويصبح إنساناً كاملاً وفي هذه الحالة يشتعل نار العشق والشوق لدى العقل والحياة ولا يقنع إلا بلقاء ووصال حضرة المحبوب سبحانه وتعالى.

---

١- تحف العقول: ٤٠١، جنود العقل والجهل، بحار الأنوار: ١٠٧/١، باب ٤، حديث ٣. علامات العقل وجنتوذه.

«الْحَيَاةُ نُورٌ جَوَهِرٌ صَدْرُ الْإِيمَانِ وَتَفْسِيرُ التَّبَثُّ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ يُنْكِرُهُ  
الْتَّوْحِيدُ وَالْمَعْرِفَةُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَيَاةُ مِنْ الْأَيْمَانِ وَالْأَيْمَانُ بِالْحَيَاةِ.  
وَصَاحِبُ الْحَيَاةِ خَيْرٌ كُلُّهُ، وَمَنْ حُرِمَ الْحَيَاةَ فَهُوَ شَرٌ كُلُّهُ وَإِنْ تَعْبَدَ وَتَوَرَّعَ،  
وَإِنْ خَطُوَّهُ تَخْطَطاً فِي سَاحَاتِ هَبَّةِ اللَّهِ بِالْحَيَاةِ مِنْهُ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ  
سَبْعِينَ سَنَةً. وَالْوَقَاحَةُ صَدْرُ النَّفَاقِ وَصَدْرُ النَّفَاقِ الْكُفْرُ.  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ. أَيْ إِذَا فَارَقْتَ الْحَيَاةَ  
فَكُلُّ مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍ فَإِنَّهُ بِهِ مُعَاقَبٌ»

## الحياة جذور الإيمان:

يقول الإمام الصادق ع عليه السلام حول الحياة في حديثه:  
الحياة نور جوهره النور والحقيقة ذاتها الإيمان، وبعبارة أخرى ان أغلب  
أجزاء الإيمان يتكون من الحياة، والإيمان الكامل معلول لتلك الصفة المعنوية  
والملوكية.

معنى الحياة هو اجتناب ارتكاب كل عمل ينافي التوحيد والمعرفة، قال  
رسول الله ص عليه السلام:  
الحياة من الإيمان وتقوية الإيمان من الحياة.

كل إنسان ذو حياء، فهو مجمع لجميع الحسنات، وكل من حرم هذه الصفة فهو مجمع لجميع الصفات الرذيلة، وإن كان من أهل العبادة والورع. خطوة يخطوها صاحب الحياة أمام الله سبحانه وتعالى، أفضل من عبادة سبعين سنة دون حياء.

عدم الحياة أساس النفاق، وأصل وجذور النفاق هو الكفر، قال رسول الله ﷺ: إذا لم تمتلك صفة الحياء - الذي هو أفضل رادع لاجتناب الذنب - فاعمل ما شئت كأنك قد خرجمت من إطار العبودية لله سبحانه وتعالى، والخير والشر بفقدان صفة الحياة توجب العقاب الإلهي.

«وَقُوَّةُ الْحَيَاةِ مِنَ الْحُزْنِ وَالخُوفِ. وَالْحَيَاةُ مَسْكُنُ الْخَشْيَةِ وَالْحَيَاةُ أَوْلَهُ  
الْهَيْئَةِ وَصَاحِبُ الْحَيَاةِ مُشْتَغَلٌ بِشَأْنِهِ، مُعْتَزِلٌ مِنَ النَّاسِ مُزَدَّجِرٌ عَمَّا هُمْ فِيهِ  
وَلَوْ تُرِكَ صَاحِبُ الْحَيَاةِ مَا جَالَسَ أَحَدًا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَآلِهِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَكْهَاهُ عَنْ مَحَاسِنِهِ وَجَعَلَ مَسَاوِيَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ  
وَكَرَّهَهُ مُجَالَسَةَ الْمُعْرِضِينَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْحَيَاةُ خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ:  
حَيَاةُ ذَنْبٍ، وَحَيَاةُ تَفْصِيرٍ وَحَيَاةُ كَرَامَةٍ، وَحَيَاةُ حُبٍّ، وَحَيَاةُ هَيْبَةٍ، وَلَكُلُّ  
واحِدٍ مِنْ ذَلِكَ أَهْلٌ، وَلَا هُلُلَ مَرْتَبَةٌ عَلَى حِدَةٍ».

### مراحل الحياة:

إن الذي يكون حزنه وهمه على أعماله الماضية وتقصيره في العبودية وخوفه من العقاب والعقاب فإنه حياته أكثر، والحياة مسكن الخشية وأوله تجلی الهمة والعظمة في القلب.

صاحب الحياة مشغول بنفسه وبعبادته ولا يغفل عن ذكر الله سبحانه وتعالى ومعتل عن الذين لا نفع فيهم من الناحية المعنوية ومكره للذين يعملون لغير الله جل وعلا ولو ترك صاحب الحياة ما جالس أحداً.

قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعد خيراً أخفى محسنه وعرض له سيناته

وكره له مجالسة أهل الغفلة.

### الحياة على خمس مراحل:

- ١ - حياء يكون مانعاً عن ارتكاب الذنب وهو أدنى مرتبة في الحياة وهو حياء الناس عامة.
- ٢ - حياء التقصير: بمعنى أن يستحي من أن يرتكب عملاً يحمله على التقصير وإن كان ترکه أولى.
- ٣ - حياء الكرامة: بمعنى أن كرامة وعزّة حضرة المحبوب تمنعه من ارتكاب عملاً مخالفًا لرضاه.
- ٤ - حياء الحب: بمعنى أن أنوار محبة حضرته سبحانه تشع في وجوده بحيث لا تترك له مجالاً لمخالفته.
- ٥ - حياء الهيبة: وسبيه الخشية كما أن حياء الحب يبعث على الأمل والرجاء في القلب.

كل واحد من هذه المراحل الخمس لها مقام، ونوكل شرحه إلى كتاب خاص.

الهي! بحق أنوار جلالك وأوصاف جمالك وذاتك التي هي مستجمعة لجميع صفات الكمال، ارزقنا بأن نتصف بهذه المراتب العالية من الحياة وأعف عن تقصيرنا وذنوبنا السابقة التي سببها الغفلة والجهل.

الباب

(٩٤)

في الدعوى والإدعاء



قال الصادق عليه السلام:

الدعوى بالحقيقة للاتياء والائمة والصديقين واما المدعى بغير واجب فهو كاينيس اللعين ادعى النسك وهو على الحقيقة منازع لربه مخالف لامره، فمن ادعى اظهر الكذب والكاذب لا يكون امينا. ومن ادعى فيما لا يحلف له فتح عليه أبواب البلوى. والمدعى يطالب بالبينة لا محالة وهو مفلس فيقتضي الصادق لا يقال له لم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الصادق لا يراه أحد إلا هابه.

«الدَّعُو بِالْحَقِيقَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَئِمَّةِ وَالصَّدِيقِينَ وَآمَّا الْمُدَعَى بِغَيْرِ واجِبٍ  
فَهُوَ كَابِلٌ لِسَمْعِ اللَّعِينِ ادَّعَى النُّسُكَ وَهُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ مُنَازِعٌ لِرَبِّهِ مُخَالِفٌ  
لِأَمْرِهِ، فَمَنِ ادَّعَى أَظْهَرَ الْكِذْبَ وَالْكَاذِبُ لَا يَكُونُ أَمِينًا».

### مسألة الداعي الكاذبة والصادقة:

تم شرح حال أولئك الذين في طول التاريخ أدعوا وتحملوا وزر ملايين الناس في الوقت الذي لم يكونوا صادقين في إدعائهم بشكل مفصل في المجلد الثاني من كتاب (العرفان الإسلامي) وكذلك تمت الإشارة إلى هذا الموضوع في المجلدات الأخرى، وتم إثبات هذه المقوله التي تقول إذا كان المجتمع الإنساني خالٍ من المدعين الكاذبين في جميع شؤون الحياة ولو أفسح المجال للمدعون الماديون الكاذبون للمدعين الصادقين لم تكن البشرية تعاني من هذه المشكلات المختلفة، ولكن هؤلاء الذئاب الذين يظهرون بهيئة الأبراء لم يعطوا الحقَّ حقَّه وعاندوا المدعين الصادقين ورسل الله، وحاربوا وقتلوا وذبحوا أولئك العظام وأصحابهم، وعلى أساس ادعائهم في الشرق والغرب وجهت ضربات مهلكة لهذه الحياة.

هؤلاء دعوا الملايين الأشخاص إلى عبادة النار و مليار إنسان إلى عبادة

الأصنام والأبقار وأغرقوا الكثير في عبادة التثليث والبوذية والهندية والشيوخية واللامانية ومنعوا عباد الله من أن تنمو مواهبهم في ميادين التوحيد واللوسي والنبوة والإمامية. ما أتعجب وضع هؤلاء المدعين الكاذبين في يوم القيمة وميدان المحشر وساعة قيام العدل !!

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

لا يليق الإدعاء إلا للأئمّة عليهم السلام والصديقين، والذي يدعي كذباً ويرفع منزلته عن الحقيقة فمثله كمثل إبليس اللعين الذي ادعى كثرة العبادة، وعصى الله سبحانه وتعالى لأنه خلق من نار واستحق بذلك العذاب الأبدي. وأن هكذا إنسان هو كاذب في إدعائه فهو لن يستطيع أن يكون صاحب أمانة وديانة ولن يتخلص من الخداع وسوسة الشيطان.

«وَمَنِ ادْعَى فِيمَا لَا يَحِلُّ لَهُ فَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ الْبُلْوَى.  
وَالْمُدَّعِى يُطَالِبُ بِالْبَيِّنَةِ لَا مَحَالَةَ وَهُوَ مُقْلِسٌ فَيَفْتَضِحُ  
وَالصَّادِقُ لَا يُقَالُ لَهُ: لِمَ:  
قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ: الصَّادِقُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا هَابَهُ».

### المدعى الصادق:

الذي يدعى فيما لا يحل له فقد فتح أبواب البلاء والعداب بوجهه لأن الناس يطالبونه بالحججة والبرهان فيعجز عن ذلك فيفتضح أمره ولكن المدعى الصادق فالناس لا يطالبونه بالحججة لأنه منصف وصاحب ضمير وعقل وعلم وإن طالبوه بذلك فلن يعجز عن إظهار الدليل والبرهان.

يقول أمير المؤمنين علَيْهِ الْكَلَمَاتُ:

الصادق لا يراه أحد إلا هابه الناس في قلوبهم لدرجة انهم لا يسألونه عن ادعائه.

نعم، الإدعاء الكاذب يتعلق بالذين يعيشون في قيد الهوى والشهوات وقد غُرب عنهم في المعارف الإلهية بقطاع طرق عباد الله سبحانه وتعالى.

الباب

(٩٥)

في المعرفة



قال الصادق ع: <sup>عليه السلام</sup>

الْعَارِفُ شَخْصٌ مَعَ الْخَلْقِ وَقَلْبُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْ سَهَا قَلْبُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرْفَةً عَيْنِ لَمَاتَ شَوْفًا إِلَيْهِ، وَالْعَارِفُ أَمِينٌ وَدَائِعٌ اللَّهِ تَعَالَى وَكَنْزٌ أَسْرَارِهِ وَمَعْدُونُ نُورِهِ وَدَلِيلُ رَحْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ وَمَطِيهُ عُلُومِهِ وَمِيزَانُ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

وَقَدْ غَنِيَ عَنِ الْخَلْقِ وَالْمَرَادِ<sup>١</sup> وَالدُّنْيَا فَلَا مُؤْنَسٌ لَهُ سِوَى اللَّهِ وَلَا نُطْقَ وَلَا إِشَارَةَ وَلَا نَفْسٌ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَلِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَمَعَ اللَّهِ فَهُوَ فِي رِياضِ قُدْسِهِ مُتَرَدِّدٌ وَمِنْ لَطَائِفِ فَضْلِهِ مَتَزَوَّدٌ وَالْمَعْرِفَةُ أَصْلُ فَرْعَةِ الْأَيْمَانِ.

---

١- في نسخة عبد الرزاق لاهيجي جاء هكذا: «المرات».

«الْعَارِفُ شَخْصٌ مَعَ الْخَلْقِ وَقَلْبُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَوْ سَهَا قَلْبُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرْفَةً عَيْنٍ لَمَاتَ شَوْقًا إِلَيْهِ، وَالْعَارِفُ أَمِينٌ وَدَائِعٌ اللَّهُ تَعَالَى وَكَنْزٌ أَسْرَارِهِ وَمَعْدِنٌ ثُورِهِ وَدَلِيلٌ رَحْمَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ وَمَطِيَّةُ عِلْمِهِ وَمِيزَانُ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ».

## العرفان والمعرفة والعارف:

بما ان الامام الصادق عليه السلام قد خص الحديث الاول من كتاب (مصباح الشريعة) لأوصاف العرفاء، نطرق هنا الى ترجمة نص الرواية فقط وندعوكم كي تعرفوا على اوصاف العارف الحقيقي بقراءة الحديث الاول من المجلد الاول لهذا الكتاب.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

عارف المعارف يكون قلبه منوراً بنور معرفة الحق وشئونه، الذي يحصل عليه عن طريق العلم والدين والمجاهدة ورياضة النفس، جسمه بين الناس، لكن قلبه مع الله، لا يريد ولا يقول ولا يرى الا حضرة الحبيب وإن سهى قلبه لحظة عن المحبوب لمات شوقاً اليه.

ياراحة كل روح مجرورة، اعطف بطفك على جرحى.

ارحم روحي المجرورة، اجرح من كل مجرور.  
 ودائماً اعيش غم الجرح، وفي هذه اللحظة اصبحت اجرح.  
 يا حبيباً لقد كسر غمك ظهرك، وجهك جرح الجرح.  
 لاترمي بالحجارة على صدري، ولا تصبح ذليلاً اذا جرحتنا.  
 لقد وصل سهم غمك في قلبي، واصاب سهمك كبدي.  
 وبدون لطفك لا يستقيم اي شيء، يا ايها الروح قلبي انكسر.  
 لقد جاء الى بابك لرؤيتك وجهك، وهل يحزن قلبي من ذلك.  
 وفي بيتك زهقت روحي، ذلك الطائر الذي تكسرت اجنحته.  
 وفي كل حال انا عبدك، سواء كان لطفك او غضبك<sup>١</sup>.  
 ان رب العزة يرى العارف امينه ويودع فيه علومه و المعارف حتى يأخذ الناس  
 العلوم منه ويستنيرون به، العارف هو كنز اسراره ومعدن نوره ودليل رحمته  
 الواسعة ومطية علومه وميزان فضله وعدله.

«وَقَدْ غَنِيَ عَنِ الْخَلْقِ وَالْمُرَادِ<sup>١</sup> وَالدُّثْبَا فَلَا مُؤْنِسٌ لَهُ سَوَى اللَّهِ وَلَا نُطْقٌ وَلَا إِشَارَةٌ وَلَا نَفْسٌ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى وِلَلَّهِ وَمَنِ اللَّهِ فَهُوَ فِي رِياضِ قُدْسِهِ مُتَرَدِّدٌ وَمَنْ لَطَائِفٍ فَضْلُهُ مُتَزَوِّدٌ وَالْمَعْرِفَةُ أَصْلُ فَرْعَةِ الْأَيْمَانِ».

### معنى المعرفة:

العارف غني عن الخلق والدنيا ولا مؤنس له الا الله ولا ينطق ولا يسمع ولا يشير ولا يتنفس الا الله سبحانه وتعالي وفي سبيله، فهو في رياض القدس يتrepid ومن لطائفه يتزود.

نعم ان المعرفة هو جذر واساس الایمان، والایمان هو فرع وثمرة المعرفة.  
قرأت في الماضي بعض الكتب فيها: أن كل حرف معرفة دليل على حقيقة.  
م - تدل على مقت النفس بمعنى المبارزة مع الهوى الى حد الهاك وهذه  
الحالة خطيرة.

- ع - تدل على عبادة الرب باخلاص.
- ر - تدل على الرغبة في حضرة المحبوب سبحانه.
- ف - تدل على تقويض الامر لله جل وعلا.

---

1- في نسخة عبد الرزاق لاهيجي جاء هكذا: «المرات».

ت - تدل على التسليم لله سبحانه وتعالى.

### وظائف العارف:

وكذلك قالوا:

يشمل حال العارف بعد المعرفة اربع وظائف مهمة:

١ - العمل على أساس المعرفة.

٢ - نهاية الاخلاص في وقت العمل.

٣ - الصمود في العمل والاخلاص حتى آخر لحظة من الحياة.

٤ - نشر الحقائق والمعارف عن طريق اللسان والمال والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى من أجل هداية البشرية.

جاء الامل الى دارك، وليس لك صديق غيره.

مبتلون و محتاجون خجلون و مذنبون.

مسود و الوجوه من اقوالنا، ونادمون من اعمالنا.

ومضى زمان ونحن متبعدون عن الحبيب، وبقي من الصديق زماناً.

هل كان لديك مثل هذا الصديق، بعيداً عنك وتشعر بالذل.

وعزيز ذلك الشخص الذي يكون ترابة لبابك، ومحاجأ الى عطرك او غبارك.

وربما يفتح لك الباب، مأيوس مثل الامل.

ويصبح شهد في حلق العدو، من صدقة صديفك.

واعفو عن العراقي، لانه بقى وحده واوباته<sup>١</sup>.

١- فخر الدين عراقي.



الباب

(٩٦)

فِي الْحُبِّ فِي اللَّهِ



قالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

حُبُّ اللَّهِ إِذَا أَضَاءَ عَلَى سِرِّ عَبْدٍ أَخْلَاهُ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ وَكُلِّ ذِكْرٍ سَوْيَ  
اللَّهِ تَعَالَى<sup>١</sup>.

وَالْمُحِبُّ أَخْلَصَ النَّاسَ سِرِّاً لِلَّهِ تَعَالَى وَأَصْدَفَهُمْ قَوْلًا وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا  
وَأَزْكَاهُمْ عَمَلًا وَأَصْفَاهُمْ ذِكْرًا وَأَعْبَدُهُمْ نَفْسًا.

يَتَبَاهَ الْمَلَائِكَةُ بِهِ عِنْدَ مَنَاجَاتِهِ وَتَفْتَخِرُ<sup>٢</sup> بِرُؤْسِهِ وَبِهِ يَعْمَرُ اللَّهُ بِلَادَهُ  
وَبِكَرَامَتِهِ يُكْرِمُ عِبَادَهُ، يُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوا بِحَقِّهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُمُ الْبَلَا بِرَحْمَتِهِ،  
فَلَوْ عِلْمَ الْخَلْقُ مَا مَحَلَّهُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَنْزِلَتُهُ لَدِيْهِ مَا تَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا  
بِتُّرَابٍ قَدَمَيْهِ.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حُبُّ اللَّهِ نَارٌ لَا يَمْرُّ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ، وَنُورٌ  
اللَّهُ لَا يُطْلِعُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَضَاءَ، وَسَمَاءُ اللَّهِ مَا ظَهَرَ مِنْ تَحْتِهِ شَيْءٍ إِلَّا  
أَعْطَاهُ الْفَيْضُ، وَرَيْحُ اللَّهِ مَا تَهَبُ فِي شَيْءٍ إِلَّا حَرَكَتُهُ وَمَاءُ اللَّهِ يُحْسِنُ بِهِ  
كُلَّ شَيْءٍ، وَأَرْضُ اللَّهِ يُنْبِتُ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ، فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ كُلَّ شَيْءٍ  
مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِ.

قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهَ عَبْدًا مِنْ أَمْتَنِي قَذَفَ فِي قُلُوبِ أَصْفَيَائِهِ  
وَأَرْوَاحِ مَلَائِكَتِهِ وَسُكَّانِ عَرْشِهِ مَحَبَّتَهُ لِيُحِبِّهُ فَذَلِكَ الْمُحِبُّ حَقًا طَوْبِي لَهُ  
وَلَهُ شَفَاعَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

١- جاء في نسخة عبد الرزاق لاهيجي هذه العبارة: «وكل ذكر سوى الله ظلمه».

٢- جاء في نسخة عبد الرزاق لاهيجي: «يفخر».

«حُبُّ اللَّهِ إِذَا أَضَاءَ عَلَى سِرِّ عَبْدٍ أَخْلَاهُ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ وَكُلِّ ذِكْرٍ سِوَى  
اللَّهِ تَعَالَى»

## العشق لحضرة الحق سبحانه:

يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: عندما يشرق عشق الله سبحانه وتعالى في قلب العبد فإنه يشغل بذكر الله جل وعلا، وإنه كانت مسألة العشق للحق والمحبة لله سبحانه وتعالى منشأها وسببها هو معرفته للأسماء والصفات سبحانه وتعالى والتفكير في آله ونعمائه وآثار ذلك الوجود اللاتهائي في عرصة الخلق والوجود قد ثم شرحه مفصلاً في المجلد الأول والمجلدات الأخرى بمقتضى الحال والمقال. ولكن لعظم هذه المسألة ولما لها من موقف في حركة الإنسان نحو الرشد والكمال والسعادة الدنيوية والاخروية نشير في هذا الفصل ما امكن إلى لطائف أخرى حول هذه الحقيقة.

قبل بيان بعض من حقائق هذا الباب الذي هو باب الله الاعظم نشير إلى جزء من دعاء العارفين وطلب المحتاجين والعشاق في حضرة المحبوب المقدسة، طلبات طلبوها بكمال العجز والخشوع من حضرة الحق زينوا جميع وجودهم بتلك الصلوات كما أرادوا وإنما وصلوا إلى درجة التزين بها بعد العبادة والطاعة

الحقيقة وترك الحرام والمعصية والتقوى والفضيلة والعلم والمعرفة.

«اللَّهُمَّ نَورْ قُلُوبَنَا بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَبَتْ قُلُوبَنَا بِدَوَامِ ذِكْرِكَ  
وَحَلَاوةِ مَناجَاتِكَ وَلَذَّةِ كَلامِكَ، وَرَوْحْ أَرْواحَنَا بِلَطْفِكَ وَنَوْرْ  
قُلُوبَنَا بِنُورِ قُرْبِكَ، وَقَرْرْ عَيْنَنَا بِمَحَيَّتِكَ، وَطَيْبْ أَسْمَاعَنَا  
بِلَذَائِذِ مَناجَاتِكَ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.  
اللَّهُمَّ رَوْحْ قُلُوبَنَا بِمَشَاهِدَةِ جَلَالِكَ وَأَرِنَا عَجَابَ مَلَكوتِكَ  
وَاجْعَلْ لَنَا حَظًّا مِنْ نَصِيبِ أَنْسِيكَ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ مَوْفِقاً  
تُقْرِبَنَا مِنْ نَفْسِكَ وَتُؤْنِسَنَا بِأَنْسِيكَ وَلَا تُخْيِبَنَا مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ يَا  
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

نعم، عندما يطلب الانسان من حضرة المحبوب بلسان حال خاضع وقلب مليئ بالخشوع ومحترق بالشوق ويسعى ب تمام وجوده للتزين بهذه الواقعيات، يصل إلى ما كان يجب عليه أن يصل وتفور في تلك النقطة نبع العشق والمحبة للمحبوب ويقطع عما سوى الله ويتصل بحضرته وفي تلك اللحظة والزمان لا يشاء ولا يريد غلا ما يريد حضرة المحبوب **﴿هُوَ مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُصِرَّاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَالْطَّرِيقُ الَّذِي قَطَعَهُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُولَاءِ** وهذا هو الصراط المستقيم والطرق الذي قطعه جميع الانبياء والآولياء وهذا هو العشق الحقيقي والمحبة الواقعية التي تضيء كشعاع في القلب وتحرق غير المعشوق ولا تبقى من كيان الإنسان غير مقام الفناء في الله والبقاء بالله.

## العشق او افضل ثمرة عالم الملوك:

إن العشق لجناب حضرة الحق وذلك الوجود المقدس الذي هو كله جمال لا نهاية له، هو محصول ونتيجة حركة الانسان في وادي المعرفة التي هو عبارة عن باطن القرآن الكريم وكلام الانبياء والآولىء والصادقين الثمين والقيم. فالذي لا يخطو في هذا الوادي والمكان المعنوي، ولا يقرأ بعين القلب والذات وبصيرة الوجدان الآيات الالهية، لا يستطيع أن يستفاد من هذه الحقيقة الالهية، في هذه الحالة فهو حيوان خطير على شكل إنسان يعيش بين البشر ولا حاصل له سوى مزاحمة بني جنسه.

فالحقيقة التي تركي النفس وتثور الروح وتغرق القلب في الطهارة، وتجعل الانسان آمناً، وتجعل منه موجوداً ملكتياً والهبا وذا بركة وخداماً وصادقاً وعابداً وزاهداً وشاهدأً ومتقياً و واعياً وذا عقيدة راسخة وذا كمال وفضيلة وشرف واصالة ، هو العشق لله سبحانه فقط لا غير. دون شك من أجل الوصول إلى هذه الحقيقة ليس هنالك طريق سوى الاتصال بالعشق، وكل ما ادى الى غير هذا الطريق فهو كذاب وقاطع طريق عباد الله، ولأجل هذا فقد عبر عن عنوان هذا الموضوع بأفضل ثمرة عالم الملوك.

فلما يشع نور عشق حقيقي من جانب المعشوق الحقيقي في باطن الروح والقلب، فالإنسان في طريقه ومن اجله ولأجله وللوصول إليه لا يعرف رأسه من أخمص قدميه فرحاً وطرباً ويفدي كل شيء لذلك لمحبوب المحبين وعشق العاشقين.

من اللازم أن نفكر قليلاً حول صفات وفيوضات هذا العشق الالهي ونتصور

ونصور القدرات الكبيرة والعظيمة والمعاني السماوية لها أمام انسنا، ذلك أن هذا العشق الإلهي موجود في ذرات روح ونفس كل إنسان ولكنها كامنة.

التفكير والتصور في ذلك الباب، يوقف بذرة ذلك العشق الذي زرعه رب العباد في ارض روحنا، آنذاك لا نعلم شيئاً عن وجودنا، ونتبه بوسيلة نور وحرارة وحركة.

لكن، من اجل سماع نداء هذا العشق الكامن، يجب أن يمتلك القلب اذناً باطنية، فإن سماعها بالاذن الحسية واللحمية غير ممكن.

فمن هذه الجهة لا يمكننا ان نعبر عن العشق الإلهي كما ينبغي بالكلمات، لأن الكلمات واللسان يتعلق بعالم المادة والشكل، ولكن العشق الإلهي هو من عالم اللاهوت المجرد، لذا فاللسان والكلمات عاجزة عن وصف هكذا عشق، وكلما قيل في هذا الباب، فإن هذا العشق هو أعلى وأسمى منه.

كمثل إمرأة لم تلد أي مولود بعد ولم تصبح أمّاً، فتلك الحالة الباطنية التي تملّكتها وتنتاب المرأة بعد الولادة وخصوصاً بعد اول نظرة لمولودها، فإن هذه المرأة لا تدرك ذلك الشعور والحس أبداً.

وكذلك الحال مع من شع نور العشق الإلهي وتولد في عرين قلبه، لا يكون معلوماً هذا العشق سوى لنفسه، والذي لا يشعر بذلك الحس بباطنه لا يستطيع ان يشم رائحة منه، كما قال جلال الدين محمد البلخي:

مع وجود هذا، فإن العشق النفسي والحيوني للبشر الذي هو امام العشق الإلهي كحشرة يراع امام الشمس، تستطيع ان تعطي لنا فكراً ضيقاً عن العشق الإلهي. فالذي لم ينظر من شباك العشق المجازي البشري في جميع حياته ابداً، ولم يدخل إلى حريميه، بمعنى انه لم يصبح عاشقاً وهائماً، فإنه لا يشم رائحة من

ماهية العشق وإن قرأ جميع الكتب والقصص والأساطير التي كتبت حول العشق من أول الدنيا إلى الآن، أو سمع حرقه وألام العشق من لسان العشاق في العالم. نعم، فالفرasha إن لم تحرق طرف جناحها بنار الشمع، فإنها لا تعرف ولا تنتبه إلى ذرات النار، ولكن حرق نار العشق الالهي غير قابلة للقياس مع حرق شمع دنيوي وعشق إنساني.

فالعشق الالهي له حرق في الداخل ولا يعرف ذلك إلا من كان به، بمعنى أنه بصيرة الباطن ترى ما هو في الخارج وتريد أن تعلم ما يجري في داخل القلب الهائم بالعشق:

### حقيقة العشق:

جاء في كتاب «عبر العاشقين» العشق بذرة فعل قديم في أرض القلب سقيت بها الصفاء فنفرعت جذور وعروق روحها في شفاف صوافي الصفة ونبت شجره العنان في طينة آدم وذر أحافي سماء القدم (اصلها ثابت وفرعها في السماء)<sup>١</sup> تبقى إلى لا بد وتهب شمارها العشاق وتهب المحبة واللذة وأكلمة<sup>٢</sup> أحياناً باك وأحياناً ضاحك، أحياناً حارق وأحياناً بناء وأحياناً تحرق جوهره طين آدم بناء المحبة، وأحياناً يشدوا باتغام الأزل تارة في سكى و تارة في صحو و تارة في محو و تارة في قبض و تارة في خوف و تارة في اجراء.

تارة في فراق و تارة في وصال به ليس في فراقه متزل ولا في وصاله محل: هكذا العاشق للحق في هذا العالم يبلغ بمدارج العشق الإنساني الامواج العشق

<sup>٣</sup> الرحمني

<sup>١</sup>- إبراهيم ١٤: ٢٤.

<sup>٢</sup>- عبر العاشقين ص ٧٦.

<sup>٣</sup>- عبر العاشقين: ٧٦.

«وَالْمُحِبُّ أَخْلَصُ النَّاسِ سِرِّاً لِلَّهِ تَعَالَى وَأَصْدَقُهُمْ قَوْلًا وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا  
وَأَزْكَاهُمْ عَمَلاً وَأَصْفَاهُمْ ذِكْرًا وَأَعْبَدُهُمْ نَفْسًا.

يَبْاهِي الْمَلَائِكَةَ بِهِ عِنْدَ مُنَاجَاتِهِ وَتَفْتَخِرُ بِرُؤْسَيْتِهِ وَبِهِ يَعْمَرُ اللَّهُ بِلَادَهُ  
وَبِكَرَامَتِهِ يُكْرِمُ عِبَادَهُ، يُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوا بِحَقِّهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُمُ الْبَلَاءِ بِرَحْمَتِهِ،  
فَلَوْ عِلْمَ الْخَلْقُ مَا مَحَلَّهُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَنْزِلَتِهِ لَدِيْهِ مَا تَقْرَبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا  
بِتُّرَابٍ قَدَمِيْهِ»

## أَخْلَصُ النَّاسِ:

يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في نص روایة باب المحبة:  
العاشق أخلص الناس وأصدقهم وأوفاهم وأظهرهم وأصفاهم ومطيع لربه في  
عمله وذكره ونفسه وروحه.

عندما ينادي العاشر ربها فإن الله سبحانه وتعالى يباهي الملائكة به وتفتخر  
الملائكة برؤيتها وبه يعمر الله سبحانه وتعالى الأرض والبلاد وبكرامته يكرم الله  
جل وعلا وبعزته يستجيب دعاء عباده ويدفع البلاء عنهم فلو علم العباد ما له من  
منزلة عند الله جل وعلا ما تقربوا إلى الله تعالى إلا بتراب قدمه.

«وقالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حُبُّ اللَّهِ نَارٌ لَا يَمْرُّ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا احْتَرَقَ، وَنُورٌ  
اللَّهِ لَا يُطْلِعُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَضَاءَ، وَسَمَاءُ اللَّهِ مَا ظَهَرَ مِنْ تَحْتِهِ شَيْءٌ إِلَّا  
أَعْطَاهُ الْفَيْضُ، وَرَيحُ اللَّهِ مَا تَهَبُ فِي شَيْءٍ إِلَّا حَرَكَتُهُ وَمَاءُ اللَّهِ يُحْيِي بِهِ  
كُلَّ شَيْءٍ، وَأَرْضُ اللَّهِ يُنْبِتُ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ. فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ كُلَّ شَيْءٍ  
مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلهِ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا مِنْ أَمْمِي  
قَدَّفَ فِي ثُلُوبِ أَصْفَيَايَهِ وَأَرْوَاحِ مَلَائِكَتِهِ وَسُكَّانِ عَرْشِهِ مَحَبَّتَهُ لِيُحِبُّوهُ  
فَذَلِكَ الْمُحِبُّ حَقًّا طَوْبِي لَهُ وَلَهُ شَفاعةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

نار عشق الله سبحانه:

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نار عشق الله سبحانه وتعالى حقيقة لا تمر على شيء إلا أحرقه ونور الله جل  
وعلا حقيقة لا تشرق على شيء إلا نورته ورحمة الله لا تنزل على شيء إلا  
أغدق عليه ونسيم الله لا يهب على شيء إلا حركته وكانت السبب في نموه ولا  
ينزل مطر الله على أرض إلا وأحياها ونبت فيها النباتات المناسبة، فمن أحبه الله  
أعطاه كل شيء من الملك والمال.

قال النبي ﷺ:

إذا أحب عبداً من أمتي قدف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكان  
عرشه محبه ليحبوه فذلك المحب حقاً طبى له وله شفاعة عند الله يوم القيمة.  
نحن في طريقك إسراء عشق بلائك، فليس عشاق مثلنا في الفقر.  
فالقى نظرة إلينا في هذا العالم الغريب، وتكرم علينا فنحن فرائنك في  
هذه المدينة.

فأنا زاهد أجلس لوحدي في الخراب للمناجاة، وإلا فلن تجدوني في  
الخراب.

فنحن ليس من أهل الصلاح أو من أهل الشر، ليس هنا وليس هناك  
من اين نحن ومن اي قوم.  
فحوفنا هو من خشية البلاء، فلماذا الخوف الآن و نحن في  
عى عن الاليلاء .

فيبينا سر وليس هناك شخص محرمنا، حتى إذا تقطعت رؤوسنا فلن  
نقول السر لأحد.

فلا حاجة لنا أن نخاف من النار أو نطمع بالجنة ، أرفع الحجاب عن  
 وجهك لنراك

انظر إلى رحمتك ولا تنظر إلى ذنبينا، ونحن غارقين بالذنوب من  
الرأس إلى أخمص القدمين



الباب

(٩٧)

الصدقة في الله



قال الصادق عليه السلام:

المُحِبُّ فِي اللَّهِ مُحِبُّ اللَّهِ، وَالْمُحِبُّ فِي اللَّهِ حَبِيبُ اللَّهِ، لَأَنَّهُمَا لَا  
يَتَحَابَانِ إِلَّا فِي اللَّهِ.

قال رسول الله عليه السلام: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا  
أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَا يُحِبُّ عَبْدَ اللَّهِ إِلَّا أَحَبَّهُ اللَّهُ.

قال النبي عليه السلام: أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّنَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ الْمُتَحَابُونَ فِيهِ.

وَكُلُّ حُبٌّ مَعْلُولٌ يُورَثُ بَعْدًا فِيهِ عَدَاوَةً إِلَّا هُذَيْنِ وَهُمَا مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ  
يَزِيدانِ أَبْدًا وَلَا يَنْفَصَانُ. قال الله عز وجل:

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾<sup>١</sup>، لَأَنَّ أَصْلَ الْحُبُّ  
الثَّبَرَى عَنْ سَوَى الْمَحْبُوبِ.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ أَطْيَبَ شَيْءٍ فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِهُ حُبُّ اللَّهِ  
وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

قال الله عز وجل: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>٢</sup>.

١- الزخرف: ٤٣.

٢- يونس: ١٠.

**«المُحِبُّ فِي اللَّهِ مُحِبٌّ اللَّهِ، وَالْمُحَبُّ فِي اللَّهِ حَبِيبٌ اللَّهِ، لَا نَهَا  
لَا يَتَحَابَانِ إِلَّا فِي اللَّهِ».**

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا  
أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَا يُحِبُّ عَبْدَ اللَّهِ إِلَّا أَحَبَّهُ اللَّهُ.

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ التَّبَيْنَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ الْمُتَحَابُونَ فِيهِ».

### **الصدقة في سبيل الله سبحانه وتعالى:**

تم ذكر باب الحب في الله والصدقة في سبيل الله وشئون هذه الحقيقة الإلهية والدينية بشكل مفصل في المجلد العاشر والحادي العاشر، ونكتفي هنا بترجمة أصل الرواية.

إن الذي يختار صديق في سبيل الله والله فإنه في الحقيقة حبيب الله.

قالَ الرَّسُولُ ﷺ:

المرء مع من أحب فمن أحب عبداً في الله فإنما أحب الله تعالى ولا يحب عبد الله إلا أحبه الله. بمعنى أن هذا الحب متقابل فالذي يعشق الله فإن الله يعشقه.

قالَ الرَّسُولُ ﷺ:

أفضل الناس بعد النبيين صلوات الله عليهم أجمعين هم عشاق الله ومحبي  
عباده لأجله في الدنيا والآخرة.

«وَكُلُّ حُبٌ مَعْلُولٌ يُورِثُ بَعْدًا فِيهِ عَدَاوَةً إِلَّا هَذَيْنِ وَهُمَا مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ  
يَزِيدانُ أَبَدًا وَلَا يَنْقُصانُ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:  
﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾»<sup>١</sup>

### الصداقات غير الإلهية:

كل صدقة لا تكون أساسها الله فإنها تورث البعد عن رحمة الله سبحانه وتعالى ومثل هذه الصدقة ليست خالية من العداوة، وأما الشخصين الذين تكون صداقتهما لله جل وعلا فإنهما مصنونان من هذه الحالة لأنهما ينبعان من عين واحدة يزيدان ولا ينقصان.

قال تعالى:

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

أي: في يوم القيمة بعض الأصدقاء يعادون بعضهم الآخر الأهل التقوى فإن صداقتهم تدوم حتى يوم القيمة لأن جذور صداقتهم هي على أساس التبرى من غير الله سبحانه وتعالى

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

ان أللذ وأطيب شيء في الجنة هو حب الله والحب في الله والحمد لله على هذه النعمة.

يقول الله عز وجل: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.



الباب

(٩٨)

في الشوق



قال الصادق عليه السلام:

الْمُشْتَاقُ لَا يَسْتَهِي طَعَاماً وَلَا يَلْتَذُ شَرَاباً، وَلَا يَسْتَطِيبُ رِقَاداً وَلَا يَأْنِسُ حَمِيماً وَلَا يَأْوِي داراً وَلَا يَسْكُنُ عُمْراً وَلَا يَلْبِسُ لِيْنَا وَلَا يَفِرُّ فَرَاراً وَيَعْبُدُ اللَّهَ لَيَلَّا وَنَهَاراً، راجياً بَانْ يَصِلُّ إِلَى مَا اشْتَاقَ إِلَيْهِ وَيَنْجِيْهُ بِلِسانِ الشَّوْقِ مُعْبَراً عَمَّا فِي سَرِيرَتِهِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُوسَى لَعْلَةُ فِي مِيعَادِ رَبِّهِ، وَفَسَرَ النَّبِيُّ لَعْلَةُ عَنْ حَالِهِ أَنَّهُ مَا أَكَلَ وَمَا شَرِبَ وَلَا نَامَ وَلَا اشْتَهِي شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فِي ذَهَابِهِ وَمَجِيئِهِ أَرْبَعينَ يَوْمًا، شَوْفَا إِلَى رَبِّهِ.  
وَإِذَا دَخَلْتَ مَيْدَانَ الشَّوْقِ فَكَبِرْ عَلَى نَفْسِكَ وَمَرَادِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَوَدَعْ جَمِيعَ الْمَالَوَفَاتِ وَاجْزِمْ عَنْ سَوِيِّ مَعْشُوقِكَ وَلَبَّ بَيْنَ حَبَاتِكَ وَمَوْتِكَ  
لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، وَأَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ.  
وَمَثَلُ الْمُشْتَاقِ مَثَلُ الْغَرِيقِ لَيْسَ لَهُ هِمَةٌ إِلَّا خَلاصَهُ وَقَدْ نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ  
دُونَهُ.

«الْمُشْتاقُ لَا يَسْتَهِي طَعَاماً وَلَا يَلْتَذُ شَرَاباً، وَلَا يَسْتَطِيبُ رُقاداً وَلَا يَأْنِسُ حَمِيماً وَلَا يَأْوِي داراً وَلَا يَسْكُنُ عُمْراً وَلَا يَلْبِسُ لِبَناً وَلَا يَقْرُ قَرَاراً وَيَعْبُدُ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، راجياً بِانْ يَصِلَ إِلَى مَا اشْتَاقَ إِلَيْهِ وَيَنْاجِيَهُ بِلِسانِ الشَّوْقِ مُعْبِراً عَمَّا فِي سَرِيرَتِهِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِيعَادِ رَبِّهِ، وَفَسَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ حَالِهِ أَنَّهُ مَا أَكَلَ وَمَا شَرِبَ وَلَا نَامَ وَلَا اشْتَهَى شَيْئاً مِنْ ذِلْكَ فِي ذَاهِبِهِ وَمَجِيئِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، شَوْقًا إِلَى رَبِّهِ».

### سوق اللقاء إلى الله سبحانه وتعالى:

لقد تمت كتابة مسائل هذه الرواية وقصص العشاق والمشتاقين في المجلد الأول والتاسع من كتاب (العرفان الإسلامي) وقسم من هذا المجلد، وهنا نكتفي بتوضيح الرواية فقط.

أي أمرء اشتاق إلى لقاء الله سبحانه وتعالى فإنه لا يشتهي طعاماً ولا يستلذ بشراب ولا يستطيع بنوم ولا يأنس مع الآخرين ولا يسكن بيته ولا يلبس الملابس الناعمة ولا يستقر في مكان واحد. المشتاق يعبد الله ليلاً ونهاراً، ويأمل في الوصول إليه ويناجي ربه بلسانه من كل أعماق وجوده كما أخبر الله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ميعاد ربه في جبل الطور وفسر النبي ﷺ تلك الحال كالتالي:

نبي الله موسى عليه السلام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم إلا بمقدار الحاجة خلال ذهابه وإيابه إلى ربه في أربعين يوماً، وكان هذا كله بسبب شوقه إلى لقاء ربه.

«وَإِذَا دَخَلْتَ مَيْدَانَ الشَّوْقِ فَكَبَرْ عَلَى نَفْسِكَ وَمَرَادِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَوَدَعْ جَمِيعَ الْمَأْلُوفَاتِ وَاجْزَمْ عَنْ سَيِّدِ مَعْشُوقِكَ وَلَبَّ بَيْنَ حَيَاةِكَ وَمَوْتِكَ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، وَأَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ.  
وَمَثَلُ الْمُشْتَاقِ مَثَلُ الغَرِيقِ لَيْسَ لَهُ هِمَةٌ إِلَّا خَلاصَهُ وَقَدْ نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ دُونَهُ».

### خمس تكبيرات الفناء:

حينما تطأ قدمك ميدان الشوق فكبر على نفسك خمس تكبيرات الفناء وأبعد نفسك عن الطمع في الدنيا وأهدافها ولا تجزم بشيء سوى برحمة الحبيب وسوق لقائه، وابتعد عن جميع اللذات الخاطئة والشهوات الحيوانية كي تصل إلى الأمل واللذات الروحانية والخلود، وقل لبيك من أعماق قلبك بمعنى؛ إلهي أنا عبدك الضعيف، الذليل واقف بين يديك مطيع جميع أوامرك.  
حال العاشق الصادق والمشتاق مثل الغريق الذي لا يفكر إلا بخلاص نفسه من الغرق، والمشتاق كذلك لا يفكر إلا الوصول إلى المحبوب.

الباب

(٩٩)

في الحكمة



قال الصادق ع: <sup>عليه السلام</sup>

الْحِكْمَةُ ضياءُ الْمَعْرِفَةِ وَمِيراثُ التَّقْوِيَّةِ وَثَمَرَةُ الصِّدْقِ، وَلَوْ قُلْتُ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِّنْ عِبَادِهِ بِنِعْمَةِ أَعْظَمِ وَأَنْعَمِ وَأَرْفَعِ وَأَجْزَلِ وَأَبْهَى مِنْ الْحِكْمَةِ لَقُلْتُ صَادِقًا. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ<sup>١</sup>. أَيْ لَا يَعْلَمُ مَا أَوْدَعْتُ وَهَيَّاتِ فِي الْحِكْمَةِ إِلَّا مَنْ اسْتَخْلَصْتُ لِنَفْسِي وَخَصَّصْتُ بِهَا. وَالْحِكْمَةُ هِيَ النَّجَاهُ.

وَصَفَةُ الْحَكِيمِ الثَّبَاتُ عِنْدَ أَوَّلِ الْأَمْوَارِ وَالْوُقُوفُ عِنْدَ عَوَاقِبِهَا وَهُوَ هادِي خَلْقِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَى يَدِيْكَ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِهِ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ مَشَارِقِهَا إِلَى مَغَارِبِهَا.

«الْحِكْمَةُ ضِيَاءُ الْمَعْرِفَةِ وَمِيراثُ التَّقْوِيَّةِ وَثَمَرَةُ الصَّدْقِ، وَلَوْ قُلْتُ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِّنْ عِبَادِهِ بِنِعْمَةٍ أَعْظَمَ وَأَنْعَمَ وَأَرْفَعَ وَأَجْزَلَ وَأَبْهَى مِنْ الْحِكْمَةِ لَقُلْتُ صَادِقًاً. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ»<sup>١</sup>. أَيْ لَا يَعْلَمُ مَا أَوْدَعْتُ وَهِيَاتِ فِي الْحِكْمَةِ إِلَّا مَنْ اسْتَخْلَصْتُ لِنَفْسِي وَخَصَّصْتُ بِهَا. وَالْحِكْمَةُ هِيَ النَّجَاهَ».

### حقيقة الحكمة:

تعتبر مسألة الحكمة من أهم المسائل الإلهية، فالذي يملكها كما قال القرآن الكريم فقد أوتي خيراً كثيراً، ومن أجل توضيح الحكمة وآثارها والنماذج المنقولة يرجى مراجعة المجلد السادس من هذا الكتاب، وهنا نكتفي بترجمة الرواية فقط ولا حاجة إلى أمور أخرى.

يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الحكمة هي ضياء المعرفة وميراث التقوى وثمرة الصدق، ولو قلنا: ليس هناك نعمة أعظم وأثمن وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت صادقاً، قال الله

تعالى: يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب.

أي لا يعلم الحكمة الإلهية التي هي في القرآن الكريم وأقوال الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام إلا من اختصه الله سبحانه وتعالى لنفسه وليس في وجوده سوى نار العشق مشتعلة، والحكمة هي النجاة.

«وَصِفَةُ الْحَكِيمِ الثَّبَاتُ عِنْدَ أَوَالِ الْأَمْوَارِ وَالْوُقُوفُ عِنْدَ عَوَاقِبِهَا وَهُوَ هَادِي خَلْقِ اللَّهِ إِلَىَ اللَّهِ تَعَالَىٰ».

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَىَ يَدِيْكَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ خَيْرًا لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ مِنْ مَشَارِقِهَا إِلَى مَغَارِبِهَا».

### علام الحكيم:

من علام الحكيم الاستقامة أمام الحوادث التي تحدث في بداية الأمر، هذه الحوادث هي الامتحانات الإلهية التي تقوى العبد وفي النهاية التسليم أمام الله سبحانه وتعالى والإنسان الحكيم هو الذي يهدي عباد الله إلى الله جل وعلا.

يقول رئيس الحكماء الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لأن يهدي الله على يديك عبداً من عباده خيراً لك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها إلى مغاربها.

الباب

(١٠٠)

في حقيقة العبودية



قال الصادق عليه السلام:

الْعِبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرِّبُوبِيَّةُ فَمَا فُقِدَ فِي الْعِبُودِيَّةِ وُجِدَ فِي الرِّبُوبِيَّةِ  
وَمَا خَفِيَ عَنِ الرِّبُوبِيَّةِ أُصْبِبَ فِي الْعِبُودِيَّةِ.

قال الله تعالى: ﴿سَرِّهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ  
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>١</sup> أَيْ مَوْجُودٌ  
فِي غَيْبِكَ وَحُضُورِكَ.

وَتَفْسِيرُ الْعِبُودِيَّةِ بَذْلُ الْكُلْكِيَّةِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ مَنْعُ النَّفْسِ عَمَّا تَهْوِي وَحَمَلُهَا  
عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَمَفْتَاحُ ذَلِكَ تَرْكُ الرَّاحَةِ وَحُبُّ الْعُزْلَةِ، وَطَرِيقُهُ الْأَفْتَارُ إِلَى  
الله تعالى.

قال رسول الله عليه السلام: أَعْبُدُ اللَّهَ كَانَكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.  
وَحُرُوفُ الْعَبْدِ ثَلَاثَةٌ: الْعَيْنُ وَالْأَبَاءُ وَالْدَّالُ، فَالْعَيْنُ عِلْمُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى،  
وَالْأَبَاءُ بُونَهُ عَمَّنْ سُواهُ، وَالْدَّالُ دُثُوَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا كَيْفٍ وَلَا حِجَابٍ.  
وَأَصْوَلُ الْمُعَامَلَاتِ تَقَعُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجَهٍ: مُعَامَلَةُ اللَّهِ، وَمُعَامَلَةُ النَّفْسِ،  
وَمُعَامَلَةُ الْخَلْقِ، وَمُعَامَلَةُ الدُّنْيَا.

وَكُلُّ وَجْهٍ مِنْهَا مُنْقَسِمٌ عَلَى سَبْعةِ أَركَانٍ:  
أَمَا أَصْوَلُ مُعَامَلَةِ اللَّهِ فِي سَبْعةِ أَشْيَاءِ: أَدَاءِ حَقَّهُ، وَحِفْظِ حَدَّهُ، وَشُكْرِ  
عَطَائِهِ، وَالرِّضا بِقَضَائِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى بَلَاثِهِ، وَتَعْظِيمِ حُرْمَتِهِ، وَالشُّوْقِ إِلَيْهِ.

وأصول معاملة النفس سبعة: الجهد والخوف، وحمل الأذى والرياضة، وطلب الصدق، والأخلاص، وأخراجها من محبوبها، وربطها في الفقه.

وأصول معاملة الخلق سبعة: الحلم والعفو والتواضع، والسخاء، والشفقة، والنصح، والعدل، والإنصاف «أو الانتصارات».

وأصول معاملة الدنيا سبعة: الرضا بالدرون، والأء يثار بال موجود، وترك طلب المفقود، وبغض الكثرة، و اختيار الزهد، ومعرفة آفاتها، ورفض شهواتها، مع رفض الرياسة. فإذا حصلت هذه الخصال بحقها في نفس فهو من خاصة الله تعالى وعباده المقربين وأولئك حقاً.

«الْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةُ كُنْهِهَا الرِّبُوبِيَّةُ فَمَا فُقِدَ فِي الْعُبُودِيَّةِ وُجِدَ فِي الرِّبُوبِيَّةِ وَمَا خَفِيَ عَنِ الرِّبُوبِيَّةِ أُصِيبَ فِي الْعُبُودِيَّةِ.

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفِّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»<sup>١</sup> أَيْ مَوْجُودٌ فِي غَيْبِكَ وَحُضُورِكَ».

### حقيقة العبودية:

يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

العبودية هي حقيقة أصلها وذاتها الربوبية، بمعنى أن الإنسان عن طريق العبادة يصل إلى مقام المالكية على الأهواء والنفس والتصرف في الشؤون التكوينية بقدر عبادته وذلك بإذن الله سبحانه وتعالى.

فما فقد من الأوصاف الواجبة في العبد، موجودة فقط في أوصاف حضرة الحق سبحانه، نستطيع أن نصل إليها عن طريق العبادة والبراهين العقلية والنقلية بشكل علمي، ونستطيع أيضاً عن طريق العبودية أن نصل إلى أسرار الربوبية. يقول الله جل وعلا حول هذه الحقيقة:

سُرِّيْهِم آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفِّ بِرَبِّكَ أَنْهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى حَاضِرٌ وَغَيْبٌ وَالشَّهُودُ سَوَاءٌ عَنْهُ.

في مقدمة هذه الرواية أرى من اللازم أن أعرض لكم تاريخ من عظمة وموهاب والقدرة الفكرية والروحية والمعنوية للإنسان عن طريق الآثار الإسلامية والعرفانية الفلسفية، فكل هذه الأشياء موجودة في ذات الإنسان على شكل طاقة كامنة، وتصل إلى فعليتها عن طريق العبادة والعبودية، ثم نقوم بشرح الرواية حتى يتبيّن شأن الإنسان في الخلقة ويتبّع دور العبادة في هذا الشأن.

### الإنسان في كرسي الخلقة:

إذا نظرنا إلى الإنسان من وجهة نظر حضرة الرب الذي هو الموجد والخالق له، وبدلأً من أن ننظر إليه كنطفة وإلى سير تكامله الظاهر التي هي عبارة عن طفولة وسن مرأفة وسن كهولة، ويتحرّك من أجل الحصول على لقمة عيش وملبس وملأ ومكان ومقام وجاه وشهرة ثم بعد ذلك يُقْبَرُ إلى التراب ولا يبقى له اسم ولا رسم، نراه بالقوّة يكون خليقة الله، وعيّن الله، يد الله، إذن الله، صاحب الكرامة، صاحب الهدایة، منبع للعلوم المادية والمعنوية، منبع للالهام، مظهر الأنوار الإلهية، أفضل من الجن والملك، النفس المطمئنة، الراضية، المرضية، القابلة للكشف والشهود، ميداناً للأخلاق الإلهية، مظهراً للفضائل، كاسباً للحقائق، ينبوعاً للبركة، مركزاً للحقائق وجماعاً لها، مالكاً للنفس، ضابط للحد، طائر حدائق الملائكة، أهل الجنة، عابداً، زاهداً، مؤمناً، ورعاً، فدائياً،

شاهدأ، شهيدأ، أصيلاً، شريفاً، صديقاً، سيداً، حصوراً، عادلاً، رئوفاً، رحيمأ، حليماً، صبوراً، شكوراً، وقوراً، محسناً، مستقيماً، مؤمناً، حكيناً.

فإله الرحمن بإذنه ومشيته ولطفه وضع كل هذه القوى والمواهب والطاقات الكامنة في ذات وباطن الإنسان، ورسم أمامه طريق العبودية وبعبارة أخرى الصراط المستقيم، حتى تصل جميع هذه الطاقات الكامنة والمواهب إلى فعليتها وتتفتح، فمع حصول هذه المقامات يصل الإنسان إلى فيض مقام مع الله ويكون في

**﴿مَقْعِدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾<sup>١</sup>.**

و

**﴿وَرْضُوا نَّاثٌ مِّنَ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup>.**

وتصبح دنياه وآخرته جنة وينال سعادة الدارين.

تعالوا نترك النظر بوجه الظاهر إلى الأشياء بشكل حقيقي، وننقد أنفسنا من أن نموت ونبلى في سجن الجسم، حتى تكون نظرتنا نظرة حق ونستطيع بهذه النظرة أن نجد الحقيقة من بين تلك الحقائق التي هي في مخليتنا، وندخل إلى وادي العبادة مع هداية حضرة رب العزة والجلال، حتى تتحول تلك الحقائق الموجودة على أرض وجودنا على شكل بذور إلى شجرة طيبة باستنشاق عبر العبودية الطيبة ونسيم العبادة وتعرض لأشعة الشمس التوحيدية والنبوة والإمامية، تلك الشجرة التي جاء ذكرها في سورة إبراهيم المباركة بهذه الصورة:

١- القمر .٥٥:٥٤

٢- آل عمران :٣ .١٥

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُعْهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتَى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

نعم، أفضل سفر للإنسان مقرر بإذن الله سبحانه وتعالى له هو سفر الجسم إلى الروح، الجهل إلى العلم، الظلم إلى العدل، الظلمات إلى النور، الباطل إلى الحق، والحيوانية إلى الإنسانية، والرذيلة إلى الفضيلة، والخطأ إلى الصواب، من الشقاء إلى السعادة، من الدنيا إلى الآخرة، من جهنم إلى الجنة، من الخلق إلى الحق، من الحق إلى الحق وهنا قمة صعود حركة الإنسان كما يعبر القرآن الكريم عنه بمقام اللقاء، فكل هذا يحصل عن طريق العبودية، وعلى أساس قوانين الحق والأنياء والأئمة عليهم السلام:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّثُلكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

أولاً جاء إلى إقليم الجماد، ثم سقط من الجمامد إلى النبات.  
وقضى عمره في عالم النبات، ولم يذكر شيئاً من عالم الجمامد.  
ومتحول من النبات إلى الحيوان، ولم يذكر شيئاً من عالم النبات.  
فقط لدب هذا الميل، وبالأخص في وقت الربيع وضيمران.

١- سورة إبراهيم ١٤: ٢٥ - ٢٤.

٢- الكهف ١٨: ١١٠ .

مثل ميول الأطفال إلى أمهاتهم، ولا يعلم سر رضاعته.  
ومرة ثانية بتحرك من الحيوان إلى الإنسانية، ذلك الخالق العالم.  
ولا يعلم أوائل تعقله، وكذلك هذا تحوله يحتاج إلى التحول.  
حتى يتحرر هذا العقل من الحرص والطلب، فإنه يحتاج إلى مئات  
آلاف العقل وترى العجب.

حتى إذا بقى في الخفاء ونسى، ومتى تركوه يستلذ في نسيانه.  
ورحل من أقليم إلى إقليم ، حتى صار عاقلاً وعالماً.  
واستيقظ من نومه إلى الصحوة ، ويصبح أن يضحك على نفسه<sup>١</sup>.

**مواهب الإنسان العظيمة في ميدان المعنوية:**  
ينقل عن أمير العشاق وإمام العارفين حضرة مولى الموحدين علي بن أبي  
طالب عليه السلام أنه قال:

أتحسب أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر<sup>٢</sup>.

في توضيح هذه الجملة العرفانية والحكيمية فأهل المعرفة متعجبين من هذا الحديث، فقد تطرق إلى أرقى المسائل الإلهية الموجودة في ذات الإنسان ها، ونحن هنا نتطرق إلى زاوية من الصفات المعنوية الكامنة للإنسان، التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على الإنسان بشكل عيني حتى تصل إلى فعليتها وطريق وصولوها إلى الفعلية هي عن طريق العبودية لله جل وعلا.

١- متنو معنوي، مولوي.

٢- ديوان الإمام علي عليه السلام: ١٧٥.

- ١- الإنسان هو مظهر تجلّي ذات وصفات وأفعال الالوهية كهذا الكون الكبير.
- ٢- تجلّي فيه الحكمة التي هي مركز ذات الألوهية والمحبة التي هي مركز صفاتة والمشيئة التي مركز تجلّي الأفعال.
- ٣- الروح الإنسانية هي معرض لتجلي ذات أو حكمة الله سبحانه وتعالى، والنفس الإنسانية هي مرآة تجلّي صفات أو محبة الله جل وعلا والجسم الإنساني هو ميدان فعالية أفعال أو مشيئة الحق.
- ٤- الروح الإنسانية هي مندوب عقل الكل، والنفس الناطقة مندوب نفس الكل والجسم الإنساني مندوب طبع كل العالم الكبير وهو المظهر الحسي لمشيئة الله سبحانه وتعالى.
- ٥- الروح الإنسانية أو العقل الفعال هو جوهر بسيط ومجرد ومقيم عالم الجبروت ومقام العقل الأول وهو نور من أنوار العقل.
- ٦- منطقة فعالية روح الإنسان أو العقل الفعال، هو عالم التجرد والجبروت.
- ٧- أنوار الروح أو العقل الفعال هي عبارة عن أفعال مجردة وحقائق بسيطة ومقولات محضه وتكون على شكل معرفة وحقيقة وحب إلهي بالنفس الناطقة وتطهر على شكل درجات متفاوتة.
- ٨- النفس الناطقة للإنسان هي شعاع من روح الإنسان أو العقل الفعال مثلما في هذا العالم الكبير فإن النفس الكل هي نور من العقل الكلي.
- ٩- المنطقة الأصلية لنشاط النفس الناطقة هو عالم الملائكة.
- ١٠- ليس المقصود من تعين فعالية هذه المنطقة أن النفس الناطقة لا تعمل في عالمي الطبيعة والجسم، بل المراد هو من حيث الشفافية والجوهر والتجرد أن

النفس الناطقة تتعلق بعالم آخر.

١١- النفس الناطقة أيضاً بدورها تستلم الأنوار الفياضة من الروح الجامع أو العقل الفعال وتنقلها إلى عالم الجسم أو المحسوسات.

١٢- الأنوار الفياضة التي تأخذها وتنقلها النفس الناطقة هي عبارة عن مفهومات كلية ومدركات عقلية وصور خيالية وإدراكات معنية وأفكار تركيبية أو تفسيرية.

١٣- هذه الأنوار الفياضة للنفس الناطقة تظهر في حياة البشر على أساس المواهب الفطرية وكسبهم، بأشكال مختلفة وتظهر أيضاً في ميادين المعارف الدينية والفلسفية والأخلاقية والعلمية والصناعية وغيره وتظهر ألوان وأشكال وقدرات وجمال متنوع للنفس.

١٤- النفس الناطقة بالقوة تمتلك جميع طاقات وقدرات الروح الجامع أو العقل الفعال، لأنه دائماً مرتبط معه وهو شعاع منه، ولكن بالفعل لا يمكن جميع هذه الطاقات.

١٥- النفوس الكاملة للأئبياء والأولياء والعرفاء تستطيع أن تظهر القسم الأعم من هذه الطاقات والقدرات، بمعنى أن يستخدموها وذلك في موقع مخصوصة ولأجل أهداف خاصة يعينها العقل الفعال.

١٦- الجسم الإنساني الذي هو نموذج ومندوب عن عالم الطبيعة، هو في الحقيقة جوهر مركب من عناصر طبيعية أو مادة وصفات قوية مثل القبول والحصول والابعاد وغيرها.

١٧- الجسم الإنساني لديه جميع العناصر والقوى الطبيعية بالقوة أو بالفعل،

لكن بعضها تكون بالفعل فيستفاد منها، وبعضها بالقوة يعني تكون بصورة كامنة ولا تظهر، ولربما استفاد منها في وقتها ولا يحتاج لها الآن.

١٨- الجسم الإنساني يأخذ أنوار الفيوضات من النفس الناطقة ومن عالم ملوكوت التي تكون على شكل أفكار وحسيات وحركة وأنواع مختلفة من صفات وطبعات وقوى بدنية ويظهرها في الوقت المناسب.

١٩- على هذا الأساس فإن أنواع فيوضات الروح تأتي من عالم الجبروت الذي هو مصدر المعقولات البسيطة وال مجردة، وتنقل إلى عالم الملوكوت الذي هو رفيق النفس الناطقة وتبدل إلى مفهومات معاني وتخيلات وتنزل إلى عالم الناسوت أو الطبيعة وتنزل إلى عقله وقلبه وتبدل إلى أفكار وحسيات وصور ذهنية وقوى ظاهرية وباطنية نفسية وجسمية.

٢٠- من هنا فكل إنسان متذكر في تلك الحالة، يعيش في ثلاثة عوالم؛ عالم الجبروت والملوكوت والناسوت ويعمل بمعنى أنه يشغل بالمعقولات والمخيلات والمحسوسات ويكون جليس العالم الثلاثة.

٢١- الجسم الإنساني الذي هو مندوب الطبيعية أو طبع الكل، يتبع أوامر ومرآة تظاهر النفس الناطقة، وكماله ونقشه وسعادته وشقاوته يعتمد على طاعته وعصيائه أمام أحكام النفس الناطقة.

٢٢- النفس الناطقة التي هي مندوبة عن النفس الكلية، تابع لأوامر ومظاهر فيوضات الروح الجامع أو العقل الفعال وكمال سعادته الخالدة يعتمد على مدى اقتدائـه بأوامر وأحكام هذا العقل الفعال.

٢٣- العقل الفعال الذي هو مندوب عن العقل الكل، يكون تابعاً لما فوقه وهو

العقل الكوكبي الذي بدوره هو أيضاً تابع للعقل الشمسي، وعلى هذا المنوال فإن وصول كلٍّ إلى عقله وكماله، يعتمد على مدى طاعته لـما فوقه.

٢٤- الجسم الإنساني بالنسبة إلى النفس الناطقة وهذا الآخر بالنسبة إلى الروح الجامع أو العقل الفعال الذي هو ناقص وجزئي ومظلم وعنيف، ولكن بالنسبة إلى ما دونه يعني الحيوان والنبات والجماد هو أكمل وألطف.

٢٥- يكون الاختلاف بين جميع الموجودات فقط من حيث درجات الإدراك أو الشعور، يعني من حيث النقص والكمال وهو المعيار الوحيد لتقدير الموجودات.

٢٦- من هنا فإن الكمال هو عبارة عن امتلاك أعلى قدرة من درجة قوة الأدراك والحصول عليه مع العالم، يختص بكل موجود، حيث يتساوى إدراك ذلك الموجود الكامل مع محيط افق العالم.

٢٧- هذه قوة الإدراك التي هي مظهر تجلٰي ذات الإلوهية ليست منفكة عن قوة العشق ومشيئة الله، ذلك أن هذين الأمرين هما من مظاهر صفات وأفعال الله.

٢٨- الله سبحانه وتعالى هو الكمال المطلق، بمعنى أن قوة إدراكه محطة بجميع العالم وقوة محبته مرتبة لجميع الموجودات وقوة مشيئته حفيظة ومزيلة لجميع الكائنات.

٢٩- كلما يزداد الإنسان في هذه الدائرة ارتفاعاً، يعني أن تتجلي هذه الصفات الثلاث فيه، فإنه يقترب بنفس تلك الدرجة من الله سبحانه وتعالى ويصبح أكثر شبهاً.

٣٠- يوجد في جسم الإنسان الذي يمثل الطبيعة، الكثير من العناصر والمواد

الطبيعية من الجماد والنبات والحيوان، وكما اثبت علم الطب فإن نطفة الانسان تجذب مراحل التجدد والنبات والحيوان بسرعة فائقة.

٣١ - يوجد في جسم الانسان الكثير من القوى الطبيعية العاملة مثل الطاقة المغناطيسية والكهربائية والجاذبية والدافعة والمساكة والتوازن.

٣٢ - يوجد في جسم الانسان نماذج من القوى والعناصر الطبيعية الاخرى مثل الرعد والكهرباء والطوفان والجبل والوادي والبحر والنهر والماء والريح والنار والتراب وغيرها في اشكال متفاوتة.

٣٣ - ليس فقط أن كل سلسلة ومنظومة وأعضاء رئيسية تستطيع تشكيل دولة وامة صغيرة، بل إن كل خلية في جسم الانسان تشكل منظومة شمسية لوحدها ولها شمس تدور في مركزها ونجوم حولها، بل حتى كل ذرة هي بنفسها تشكل منظومة.

٣٤ - تلك سلسلة الوحدة والاشتياق الموجودة بين هذا العالم الكبير فأنتا تجدها بين ذرات النواة والخلايا الانسان بشكل ثابت.

٣٥ - مثلما اثبت علم الطب فإن بين جميع اجزاء واعضاء البدن لديها حس المشاركة والتعاون المتقابل، ويحكم عليها حس المسؤولية المشتركة، فبعض الاجزاء والاعضاء اذا كانت في حالة الخطر او عجز احد الاعضاء عن اداء وظيفته، تقوم اجزاء أخرى بعملها وتدافع عنها.

٣٦ - تقوم الاعضاء اذا كانت السفلية بطاعة اوامر الاعضاء الفوقية في جسم الانسان أيضاً، ويحكم عليها حس المحبة والطاعة والشفقة والمساعدة والهداية فيما بينها.

٣٧- على اساس القانون والنظم العالمي، فإن الانسان مكلف ان ينقل الى قلبة وروحه واعضاء بدنه الانوار الفياضة والافكار والقوى العالية التي تأتي من العوالم السامية وان يعين اتجاه حر كاته الداخلية والخارجية على اساسها.

٣٨- من هنا فأن الانسان ليس مكلفاً فقط ان يخدم ويعطف على جنسه، بل ان يقدم الخدمات لجميع الكائنات وبالاخص الحيوانات التي تقع أدنى مرتبة منه ويتحمل مسؤولية ووظيفة كبيرة.

٣٩- كلما اقترب الجسم الانساني في اعماله الى النفس الناطقة، وبعبارة اخرى جعلها رهن اوامرها وارشاداتها، فإنه يصبح بنفس الدرجة الطف واسمي واكمل، وكذلك الحال مع النفس الناطقة بالنسبة إلى الروح.

٤٠- كلما يكون الجسم الانساني الطف واكمل فإنه يصبح بنفس الدرجة مرآة ومظهر القوى السامية للروح، وان يتلق من انوار الحقائق والقوى الخلاقة للعوالم السامية.

٤١- مثلما تستطيع النفس الناطقة بواسطة التزكية وتصفيه ان تصبح الطف واكمل فانها تعرج الى مدارج الروح الجامع او العقل الفعال اي عالم الجبروت، وتستلم الحقائق والفيوضات وتصل الى العطاءات الروحانية.

٤٢- في قلب اجزاء ذرات الجسم بالنسبة للنفس الناطقة وفي قلب النفس الناطقة بالنسبة للروح الجامع او العقل الفعال وفي قلب العقل الفعال بالنسبة للجسم والنفس، يشتعل ذلك الحب الذي نجده في كل ذرات قلب هذا العالم الكبير.

٤٣- الجسم والنفس والروح الانسانية ليست منفكة عن بعضها البعض كعقل

الكل والعقل الفعال، وغير محدودة بالحدود الامتدادية.

٤٤ - تسمى الروح الإنسانية الجامعة او العقل الفعال بسبب تعلقه بعالم الجبروت وهو منطقة المعقولات بالجوهر المجرد الممحض.

٤٥- يتبيّن بوضوح على هذا الأساس مدى الشبه والمطابقة بين الإنسان الذي هو العالم الصغير مع العالم الكبير.

٤٦- في الوقت الذي يكون الإنسان كائناً ناسوتاً وملكتوتاً وجبروتياً ومندوياً عن العقل الكل والنفس الكلية والطبع، فإنه مظاهر تجلّي ذات وصفات وافعال الالوهية.

نعم، هذا هو ملخص عن عظمة شخصية الإنسان، و كثير من المغفلين لجهلهم وعدم علمهم بهذه المعلومات، يبقون اسيري الجسم والبطن والشهوات ويخرسون سعادة الدنيا والآخرة، أما الذين لديهم العلم فقد استقروا في مدار العبادة واظهروا شخصيتهم ووصلوا الى لقاء ووصال المحبوب.

ايها القارئ العزيز اذا قرأت المائة رواية من الكتاب القيم لـ(مصابح الشريعة) مع الشرح والتوضيح الذي قمت به على اساس آيات القرآن الكريم والروايات الشريفة فإنك سوف تعرف المزيد حول مكانة و منزلة الإنسان ودور العبودية والعبادة في ابراز المواهب والمنازل الملكوتية، فلهذا فإني لا ارى الحاجة الى شرح مفصل للرواية المائة، واتطرق الى ترجمة الرواية فقط مع ذكر نقاط من حياة العباد الزاهدين.

**«الْعُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرِّبُّوِيَّةُ فَمَا فَقَدَ فِي الْعُبُودِيَّةِ وُجِدَ فِي الرِّبُّوِيَّةِ وَمَا خَفِيَ عَنِ الرِّبُّوِيَّةِ أُصِيبَ فِي الْعُبُودِيَّةِ».**

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: «سَرِّيْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ  
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ شَهِيدٌ»<sup>١</sup> أَيْ مَوْجُودٌ فِي غَيْبِكَ وَحُضُورِكَ.

«وَتَقْسِيرُ الْعِبُودِيَّةِ بَذْلُ الْكُلَيْتَةِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ مَنْعُ النَّفْسِ عَمَّا تَهْوِي وَحَمِلُهَا عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَمَفْتَاحُ ذَلِكَ تَرْكُ الرَّاحَةِ وَحُبُّ الْعَزْلَةِ، وَطَرِيقَةُ الْأِقْتِفَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى».

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنِّي تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. وَحُرُوفُ الْعَبْدِ ثَلَاثَةٌ: الْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَالدَّالُ، فَالْعَيْنُ عِلْمٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْبَاءُ بَوْثَةٌ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَالدَّالُ دُثُورٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا كَيْفٍ وَلَا حِجَابٍ».

### تفسير العبودية:

العبودية تعني بذل جميع الوجود في سبيل عشقه سبحانه ولن يتيسر هذا إلا بمنع النفس مما تحب وتهوى واجبارها على ما تكره، وإن كانت في بداية الامر غير محببة، ومفتاحها ترك الاهواء وحملها على ما تكره، وترك الراحة وحب العزلة من اهل الذنوب والمعاصي والاحساس الحقيقي بأنه فقير الى الله سبحانه وتعالى.

يقول رسول الله ﷺ:

اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.  
فحرروف العبد ثلاثة وهي العين، والباء، والدال.

العين: إشارة الى علم و معرفة العبد بربه.

الباء: إشارة الى بُعد و ابعاد العبد عن غيره.

الدال: إشارة الى دنو و قرب العبد من ربه.

«وأصول المعاملات تقع على أربعة أوجه: معاملة الله، ومعاملة النفس،  
ومعاملة الخلق، ومعاملة الذات».

وكل وجه منها منقسم على سبعة أركان:  
أما أصول معاملة الله فيسبعة أشياء: أداء حقه، وحفظه حده، وشكر  
عطائه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، وتعظيم حرمته، والسوق إليه.  
وأصول معاملة النفس سبعة: الجهد والخوف، وحمل الأذى  
والرياضة، وطلب الصدق، والأخلاق، وإخراجها من محبوها،  
وربطها في الفقه.

وأصول معاملة الخلق سبعة: الحلم والعفو، والتواضع، والسخاء،  
والشفقة، والنصح، والعدل، والأنصاف «أو الأنصات».

وأصول معاملة الذات سبعة: الرضا بالدون، والأعيان بال موجود،  
وترك طلب المفقود، وبغض الكثرة، و اختيار الزهد، ومعرفة آفاتها،  
ورفض شهواتها، مع رفض الرياضة. فاذا حصلت هذه الخصال بحقها  
في نفس فهو من خاصة الله تعالى وعباده المقربين وأولئك حفاظاً».

## حقيقة المعاملات:

تكون اساس جميع المعاملات على اربع مراحل:

- ١ - المعاملة مع الله.
- ٢ - المعاملة مع النفس.
- ٣ - المعاملة مع الخلق.
- ٤ - المعاملة مع الدنيا.

المعاملة مع الله سبحانه وتعالى:

هناك سبع اركان لمعاملة الخلق مع الله سبحانه وتعالى:

- ١- اداء الحق الالهي: وهو المشاركة القلبية في جميع ميادين اصول العقائد والعمل بجميع الواجبات البدنية والمالية.
- ٢ - حفظ حدود الحق: وذلك عن طريق التحلی بالحسنات وترك المحرمات سواء كانت أخلاقية أو اجتماعية أو مالية.
- ٣- أن يكون شاكر في جميع الأحوال وراضي عن الله جل وتعالى.
- ٤- الرضا عند قضاء الحبيب سواء عند الصحة، أو المرض، الفقر، والغنى وسائر الأحوال.
- ٥- الصبر عند الحوادث.
- ٦- أن يعظم الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال.
- ٧ - الاشتياق والعشق للقاء الله سبحانه وتعالى.

## التعامل مع النفس:

هناك سبعة أركان للتعامل مع النفس وهي عبارة عن:

- ١- الجهاد مع النفس: بمعنى أن يتغلب العبد على نفسه في جميع الأحوال حتى لا ينحرف عن مسيرة العبادة.
- ٢- أن يخاف من نفسه ومن مكره وخداعه.
- ٣- أن يمارس رياضة النفس والجهاد مع النفس.
- ٤- أن يكون صادقاً.
- ٥- أن يخلص في جميع أعماله وأفعاله.
- ٦- أن يتبع عن جميع المللادات التي تخالف أوامر الله سبحانه وتعالى.
- ٧- أن يضع نفسه في طريق طلب الفقه والعلم والمعرفة.

## التعامل مع الخلق:

وهي سبعة أركان وهي عبارة عن:

- ١- أن يكون حليماً وصبوراً وكاظماً لغبظه أمام أخطاء وهفوات الآخرين.
- ٢- أن يتعامل مع الآخرين بتواضع وهدوء.
- ٣- أن يراعي صفة السخاء والكرم عند العدالة والإحسان.
- ٤- أن يتعامل مع الناس بعطف وحنان.
- ٥- أن يكون سلوكه مع الخلق بعيداً عن النفاق والتضليل والرياء.
- ٦- أن يكون عادلاً في جميع أموره.

٧- أن يكون ملزماً للإنصال بسكته عن التحدث بغير حق.

### التعامل مع الدنيا:

أما أركان التعامل مع الدنيا فهي عبارة عن:

١- أن يكون قانعاً بقليل الحلال من الدنيا.

٢- أن يؤثر في معيشته زوجته وأولاده الآخرين وينفق عليهم مما رزقه الله سبحانه وتعالى عليه.

٣- أن لا يطمع بأشياء غير موجودة أو غير ميسرة له.

٤- العداوة مع الفائض عن الضرورة التي تسبب وتحرك فيه الطمع والحرص.

٥- أن يختار الزهد.

٦- أن لا يغفل من آفات ومهالك الدنيا وأن يتبعد عن الشهوات.

٧- أن يترك الرئاسة والجاه والمقام المادي والذي لا يعود عليه إلا أن يصبح فرعوناً.

عندما يحصل العبد على هذه الصفات فإنه يصبح من عباده المخلصين والمقربين لله سبحانه وتعالى.

إلهي بحق سر ذاتك الذي ليس له نظير، أثر قلبي بنور جمالك.

أتذنب من أجل فرافقك، وأبكى لعلك ترفع الستار عن وجهك.

انظر إلى نظرة ساحرة، وأبكى لعلك ترفع الستار عن وجهك.

فمن لي غيرك يا رب، وليس لي معك حاجة مع الناس.

ليس لي حاجة إلى الخلق إلا رحمتك، وبابك مفتوح أمام المساكين.

### قبس من حياة العرفاء:

هؤلاء الذين راعوا أركان التعامل مع الله والنفس والخلق والدنيا وحصلوا على لذة العبادة والعبودية، وعادت هذه العبادة ورعاية الاخلاص بالنفع عليهم وعلى الآخرين وعلى المجتمع.

تستطيع أن تجد شرح أحوالهم في كتب مهمة مثل (أعيان الشيعة) (الغدير) (خاتمة المستدرك) (الذرية) (تأسيس علوم الشيعة) (قاموس الرجال) (جامع الرواة) (رجال الكشي) (خلاصة الأقوال) (رجال) (بحر العلوم ومامقاني) (معجم رجال الحديث) وهناك مئات الكتب التي كتبت كي تغطي زاوية صغيرة من حياة أولئك العظام، أما هنا فنقتصر على ذكر بعضهم حالاتهم حتى تكون لنا نور يضيء طريقنا ويكتمل وجودنا المعنوي بهم.

١- برير بن خضير: من أصحاب سيد الشهداء عليه السلام ومن شهداء يوم عاشوراء، كتب عن أحواله:

كان رجلاً عابداً، زاهداً، عارفاً، مؤمناً بمقام الولاية، شجاعاً مدافعاً حقيقاً عن عقيدة التوحيد.

٢- مسلم بن عوسمة: من شهداء كربلاء العظام، كان عارفاً للمعارف الإلهية، منوراً بنور التوحيد، عاشقاً للحق، عابداً لا نظير له، وكان وكيل مسلم بن عقيل في الأيام التي كان فيها منobiaً عن الإمام الحسين عليهما السلام في الكوفة.

٣- أبو ثمامه الصائدي: كان هذا الرجل لا مثيل له في العبادة والتسليم لمقام التوحيد والنبوة والإمامية وكان إنساناً كاملاً وفريداً من نوعه.

هو ذلك الشخص العظيم الذي قال للإمام الحسين عليه السلام عند الزوال في يوم عاشوراء في تلك اللحظات العصيبة: نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، لا والله، لا تُقتل حتى أُقتل دونك، وأحب أن ألقى الله وقد صليت هذه الصلاة التي دنا وقتها، فرفع الإمام رأسه إلى السماء وقال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصليين الذاكرين، نعم، هذا أول وقتها.

ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلّي وصلّى أبو ثمامة مع آخرين صلاة الجماعة مع الأمام الحسين وكان واحداً من آخر ثلاثة بقوا على قيد الحياة حتى عصر يوم العاشر من المحرم: وقال بعضهم أنه سقط من أثر الجراح فحمله أقاربه من الميدان وتوفي بعد مدة.

٤- حبيب بن مظاهر الأستدي: هو من رجال العلم والعبادة والمعرفة والمرأة والأصالة والحقيقة.

ينقل إن الإمام الحسين عليه السلام قد تأثر بشهادته تأثراً عظيماً وقال عندما وقف بجانب جسده: الله درك يا حبيب، لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة! وكان رضوان الله عليه من حملة علوم أهل البيت عليهم السلام ومن خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

٦- جابر بن عروة الغفاري: من الشخصيات الكبيرة الإسلامية ومن أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم وله مقام مرموق في الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله سبحانه تعالى.

وحضر معركة بدر وحنين مع الرسول صلوات الله عليه وسلم وفي يوم عاشوراء شد عمامته

على رأسه من أجل أن يدافع عن الحق والحقيقة مع أنه كان كبيراً في السن ورفع شعر حاجبيه بقطعة من القماش حتى يستطيع أن يرى أمامه وأن يدافع عن دين الله سبحانه وتعالى فقال الإمام عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ عندما شاهده يدافع في ميدان الحرب: أيها الشيخ الكبير، شكر الله سعيك وجهادك.

مع كبر سنك فإنه قتل سبعين رجلاً من أعداء الإنسانية ثم نال الشهادة بين يدي أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ<sup>١</sup>.

٦- سعيد بن عبد الله الحنفي: من كبار ووجوه الشيعة وكان رجلاً شجاعاً وصاحب عبادة ومعرفة، وهو الذي وقف أمام الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ في ظهر عاشوراء كي يصد السهام عنه ومن أجل أن يصل إلى الإمام عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ مع أصحابه، ففي نهاية الركعة الأولى من الصلاة ومن شدة الجراح وما أصابه من الرماح والسهام فارق الحياة وكان يقول: إلهي، أبلغ سلامي لرسول الله عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ وقل له أني تحملت كل هذه الصعوبات من أجل الدفاع عن الحسين وذريته.

٧- نافع بن هلال: من كبار رجال الإسلام وصاحب إسلام وإيمان وصبر لا مثيل له، وهو المجاهد الذي قال للإمام الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ:

وأنا على نياتنا وبصائرنا نوالى من والاك ونعادى من عاداك<sup>٢</sup>.

٨- سيف بن حارث بن سريع ومالك بن عبد الله بن سريع: من أعظم رجال الدين ومن أشجعهم ومن الزاهدين المعروفين وكانت ابن عميه فلما رأيا الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُنَةُ في اليوم العاشر بتلك الحالة جاء إليه الفتى الجابريان سيف بن

١- مستدرك علم الرجال الحديث: ١٠٣/٢.

٢- اللهوف: ٧٩، بحار الأنوار: ٤٤، ٣٨١/٤٤، باب ٣٧.

الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع وهما يبكيان فقال لهما الحسين عليهما السلام: أي ابني أخي ما يبكيكما فو الله إني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين فقالا: جعلنا الله فداك يا بن رسول الله ما على أنفسنا بكى ولكن بكى عليك نراك قد أحاط بك القوم كالحلقة ولا نقدر أن نمنعك بأكثر من أنفسنا فقال الحسين عليهما السلام: جزاكم الله يا ابني أخي عن ذلك ومواساتكم ايادي بمنفسكم أحسن جزاء المتقين<sup>١</sup>.

٩- عابس بن أبي شيب الشакري: من كبار رجال الشيعة وصاحب كرامة، رجل شجاع وخطيب وإنسان عابد ومتهدج ومتقي، وهو الذي أوصل رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين عليهما السلام بعد بيعة أهل الكوفة.

١٠- حنظلة بن أسعد الشبامي: كان حنظلة بن أسعد الشبامي وجهاً من وجوه الشيعة ذا لسان وفصاحة، شجاعاً قارئاً، وكان له ولد يدعى علياً، له ذكر في التاريخ. جاء حنظلة إلى الحسين عليهما السلام عندما ورد الطف بطلب منه الإذن، فتقدم بين يديه وأخذ ينادي: يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثモود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدربين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلله الله فما له من هاد.

يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحقكم الله بعذاب وقد خاب من افترى فقال الحسين عليهما السلام: يا بن أسعد، إنهم قد استوجبو العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليك ليستيحوك وأصحابك فيكيف بهم الآن وقد قتلوا

١- أبصار العين في أنصار الحسين: ١٣٢.

إخوانك الصالحين! قال: صدقت، جعلت فداك ! أفلأ نروح إلى ربنا وللحق  
بإخواننا؟ قال: رح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلي ، فقال حنظلة:  
السلام عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرف بينك وبيننا  
في جنته، فقال الحسين: آمين آمين<sup>١</sup>.

١١- سويد بن عمرو: كان سويد شيخاً شريفاً عابداً كثيراً الصلاة، وكان  
شجاعاً مجنوباً في الحروب. قال أبو مخنف: إن الصحاك بن عبد الله المشرقي جاء  
إلى الحسين عليهما السلام عليه فدعاه إلى نصرته فقال له: أنا أنصرك ما بقيت لك  
أنصار، فرضي منه بذلك حتى إذا أمر ابن سعد بالرماة فرموا أصحاب  
الحسين عليهما السلام وعقرموا خيولهم أخفى فرسه في فسطاط، ثم نظر فإذا لم يبق مع  
الحسين عليهما السلام إلا سويد هذا وبشر بن عمرو الحضرمي: فاستأذن الحسين، فقال له:  
كيف لك بالنجاء؟ قال: إن فرسي قد أخفيته فلم يصب فأركبه وأنجو، فقال له:  
شأنك، فركب ونجا. وإن بشراً الحضرمي قتل، فقدم سويد وقاتل حتى أثخن  
بالجراح وسقط على وجهه فظن بأنه قتل، فلما قتل الحسين عليهما السلام وسمعهم  
يقولون: قتل الحسين. وجد به إفادة، وكانت معه سكينة خبأها، وكان قد أخذ  
سيفه منه، فقاتلهم بسكينه ساعة، ثم إنهم عطفوا عليه فقتله عروة بن بكار التغلبي،  
وزيد بن ورقاء الجهنمي<sup>٢</sup>.

هؤلاء هم بعض الذين عرفتم أحوالهم الإلهية والملوكية وهم من الأفراد  
الـ(٧٢)، الذين ناصروا الحسين عليهما السلام في أصعب وأحلق الأوقات قاموا بأداء

١- اللهوف: ١٠٨.

٢- اللهوف: ١٠٨، بحار الأنوار ٤٥/٢٣، باب ٣٧.

واجهم وضحوا بأرواحهم وعلموا الناس درس الزهد والصبر والتوكّل والكرامة والحرية والأصالة والشرف، نعم، هؤلاء هم نماذج حية وبارزة لرواية الإمام الصادق عليه السلام في باب العبودية، التي أشارت إلى مقامات وحالات العاشقين.

١٢- أبان بن تغلب: كان أبان محدثاً، فقيهاً، قارئاً، مفسراً، لغويّاً، من الرجال العبرزين في العلم، ومن حملة فقه آل محمد عليهما السلام، وكان لعظم منزلته إذا دخل المدينة تقوّضت إليه الحلق، وأخلت له سارية النبي عليهما السلام.

كان له عند الأئمة عليهما السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله منزلة وقدم. فقال له الإمام الباقر عليه السلام: اجلس في مسجد المدينة، وأفت الناس، فإنّي أحب أن يُرى في شيءٍ مثلك.<sup>١</sup>  
وفي رواية أخرى:

جادل أهل المدينة فأني أحب أن أرى مثلك أن يكون من رواة رجالٍ.<sup>٢</sup>  
كان أبان من الشخصيات الإسلامية التي امتازت باتقاد الذهن، وبعد الغور، والاختصاص بعلوم القرآن، وهو من أجمعوا على قبول روایته وصدقه.  
كان معروفاً بكثرة الرواية حتى قيل: إنه روى ثلاثين ألف حديث، وكان من أعظم القراء، بل كان يقرأ القرآن الكريم بطريقة خاصة عُرفت بين القراء.  
كان يُعدُّ من ألي الرأي الحصيف في الحديث، والفقه، والأدب، واللغة، والنحو.

فلما سمع الإمام الصادق عليه السلام بخبر وفاته قال:

«رَجَلٌ لَّهُ، فَقْدَ آلَمَنِي خَبْرُ وَفَاتِهِ».<sup>٣</sup>

١- رجال الكشي: ٣٣٠، حديث ٦٠٣، خلاصة الأقوال: ٧٣.

٢- خلاصة الأقوال: ٧٣.

٣- رجال الكشي: ٣٣٠، حديث ٦٠١.

١٣- اسماعيل بن عمار الصيرفي: من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهم السلام ومن كبار أصحابهما ومن ثقات أهل البيت عليهم السلام ومن رواة الحديث.  
عن عمار بن حيان قال: أخبرني أبو عبد الله عليه السلام ببر ابنه اسماعيل له وقال: لقد كنت احبه وقد ازداد إلى حباً.

وكان الإمام الصادق عليه السلام عندما يرى في بعض الأحيان اسماعيل بن عمار يقول: إن الله سبحانه وتعالى ينعم الدنيا والآخرة في بعض الأحيان على بعض الناس<sup>١</sup>.

١٤- بُرِيدَةُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْعَجْلِيُّ: من وجوه فقهاء الصحابة وثقة وجليل القدر وعظيم الشأن ومن حواريين الإمامين الباقر والصادق عليهم السلام وكان عند الأئمة عليهم السلام ذو مكانة وشأن عظيم ويعتبر من أصحاب الإجماع.  
يقول الصادق عليه السلام:

أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة محمد بن مسلم و بريد بن معاوية و ليث بن البخاري المرادي و زراره بن أعين<sup>٢</sup>.

وفي رواية يقول الإمام عليه السلام في شأنه:  
إن أصحاب أبي عليه السلام كانوا زينا أحياء وأمواتاً، أعني زراره و محمد بن مسلم و منهم ليث المرادي و بريد العجمي، هؤلاء القوامون بالقسط هؤلاء القوالون بالصدق هؤلاء السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ<sup>٣</sup>.

١- بحار الأنوار: ٤٧/٤٧، باب ٨، حديث ٤٠.

٢- رجال الكشي: ٤٠٢.

٣- رجال الكشي: ٢٣٨/٤٣٢، حديث ٤٣٢.

٤- رجال الكشي: ١٠، حديث ٢٠، روضة الوعظتين: ٢/٢٨٢.

وفي قول آخر:

بشر المحبتين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي، وأبو بصير ليث بن البحترى المرادى، ومحمد بن مسلم، وزرارة، أربعة نجاء، امناء الله على حلاله وحرامه،  
لو لا هؤلاء انقطعت آثار النبوة، واندرست<sup>١</sup>.

١٥- أبو حمزة الثماني: هو من الثقات، جليل القدر، من مشايخ أهل الكوفة  
وله مقام عظيم في حبه وعشقه إلى الحق والأئمة عليهم السلام والعبادة والزهد  
والكياسة والدراءة ينقل عن الإمام الرضا علیه السلام:

أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان في زمانه، و ذلك أنه خدم منا أربعة على  
بن الحسين و محمد بن علي و جعفر بن محمد و برهة من عصر موسى<sup>٢</sup>.

في يوم ما طلبه الإمام الصادق علیه السلام وقال:  
أني لأستريح إذا رأيتك<sup>٣</sup>.

وكتبوا في أحواله:

عن أبي حمزة قال: كانت بنية لي سقطت فانكسرت يدها، فأتيت بها التيمي  
فأخذها فنظر إلى يدها فقال منكسرة، فدخل يخرج العجائز و أنا على الباب  
فدخلتني رقة على الصبية فبكيت و دعوت، فخرج بالعجائز فتناول بيد الصبية فلم  
ير بها شيئا ثم نظر إلى الأخرى فقال ما بها شيء، قال فذكرت ذلك لأبي عبد

١- رجال الكشي: ١٧٠، حديث ٢٨٦، وسائل الشيعة: ١٤٢/٢٧، باب ١١، حديث ٣٣٤٢٩.

٢- رجال الكشي: ٤٨٥، حديث ٩١٩.

٣- رجال الكشي: ٣٣، حديث ٦١.

الله عَلَيْهِ الْكَبَّةُ فقال يا أبا حمزة وافق الدعاء الرضاء، فاستجيب لك في أسرع من طرفة عين<sup>١</sup>.

١٦- حمران بن أعين: كان من حواريِّ الإمام الباقر والصادق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وصاحب معرفة وعبادة وعلم وكمال حتى قال له الإمام الباقر عَلَيْهِ الْكَبَّةُ: أنت من شيعتنا في الدنيا والآخرة.

عندما توفي رحمة الله قال الصادق عَلَيْهِ الْكَبَّةُ في حمه: مات والله مؤمناً<sup>٢</sup>.

١٧- زراة بن أعين: مكانته وعظمته شأنه أكبر من أن تذكر، فجميع صفات الخير جمعت فيه من العلم والفضل والفقاهة والديانة والثقة وكان أيضاً من حواريِّ الإمام الباقر والصادق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

قال الإمام عَلَيْهِ الْكَبَّةُ إلى فيض بن مختار: إذا أردت بحديثنا فعليك بهذا الجالس وأومى إلى رجل من أصحابه فسألت أصحابنا عنه فقالوا زراة بن أعين<sup>٣</sup>.

وقال الصادق عَلَيْهِ الْكَبَّةُ في حمه: رحم الله زراة بن أعين لو لا زراة ونظراوه لاندرست أحاديث أبي عَلَيْهِ الْكَبَّةُ<sup>٤</sup>.

١- رجال الكشي: ٢٠٢.

٢- رجال العلامة الحلي: ٦٣-٦٤.

٣- رجال الكشي، ١٣٥، حديث ٢١٦؛ بحار الأنوار: ٢٤٦/٢، باب ٢٩، حدث ٥٨.

٤- رجال الكشي، ١٣٦، حديث ٢١٧؛ وسائل الشيعة: ١٤٣/٢٧، باب ١١، حدث ٣٣٤٣٥.

يقول ابن أبي عمير وهو من كبار الصحابة:

قلت لجميل بن دراج، ما أحسن محضرك وأزین مجلسك فقال إني والله ما  
كنا حول زراره بن أعين إلا بمنزلة الصبيان في الكتاب حول المعلم<sup>١</sup>.

١٨- عبد الرحمن بن أعين: ان مكانته وجلاله ومعرفته وعبادته كأخيه  
العظيم زراره.

١٩- صفوان بن مهران جمال الكوفي: هو من الثقات العظام ولديه منزلة  
عظيمة ومن أعظم أصحابه علیه السلام وعبد كبير وجليل القدر.  
روى عن الإمام الصادق علیه السلام وهو الإنسان الذي عرض إيمانه وعقيدته  
بالأئمة علیهم السلام فقال الإمام علیه السلام له: رحمك الله<sup>٢</sup>.

٢٠- عبد الله بن أبي يعفور: هو إنسان كريم وثقة وجليل القدر، ولا مثيل له  
بين أصحاب الأئمة علیهم السلام، وكان أيضاً من حواريي الإمامين الباقر والصادق علیهم السلام.  
كان يمتلك مكانة عظيمة عند الإمام الصادق علیه السلام وأظهر الإمام علیه السلام رضاه  
عنه مراراً، ذلك أنه كان ثابت وراسخ العقيدة في مقام الطاعة والامتثال وقبول  
أوامر الإمام علیه السلام كما جاء في رواية:

عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله علیه السلام و الله لو فلقت رمانة  
بنصفين، فقلت هذا حرام وهذا حلال، لشهدت أن الذي قلت حلال حلال وأن  
الذي قلت حرام حرام، فقال رحمك الله رحمك الله<sup>٣</sup>.

١- رجال الكشي: ١٣٤، حديث ٢١٣.

٢- بحار الأنوار: ٣٩٦/٣٦، باب ٤٦، حديث ١.

٣- رجال الكشي: ٢٤٩، حديث ٤٦٢.

بعد وفاة عبد الله بن أبي يعفور، كتب أبو عبد الله عَلِيُّهُ إِلَى المفضل بن عمر الجعفي حين مضى عبد الله بن أبي يعفور، يا مفضل عهدت إليك عهدي كان إلى عبد الله بن أبي يعفور صلوات الله عليه، فمضى صلوات الله عليه موافياً لله عز وجل ولرسوله ولإمامه بالعهد المعهود لله، وقبض صلوات على روحه محمود الأثر مشكور السعي مغفوراً له مرحوماً برضاء الله ورسوله وإمامه عنه، فولادتي من رسول الله عَلِيُّهُ ما كان في عصرنا أحد أطوع لله ورسوله وإمامه منه، فما زال كذلك حتى قبضه الله إليه برحمته وصبره إلى جنته، مساكناً فيها مع رسول الله عَلِيُّهُ و أمير المؤمنين عَلِيُّهُ أنزله الله بين المسكينين مسكن محمد و أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وإن كانت المساكين واحدة و الدرجات واحدة فزاده الله رضى من عنده و مغفرة من فضله برضاه عنه<sup>١</sup>.

قريب اذان ظهر يوم الخميس، ١٨/١٣٦٧ هجري شمسي الموافق لـ ١٩ من شعبان المعظم لسنة ١٤٠٨ هجرية، طهران.

---

١- رجال الكشي: ٢٤٨، حديث ٢٦١.

## المحتويات

### الباب (٧٥) في التوكل

١٠.....	حقيقة التوكل:
١٢.....	التوكل في القرآن الكريم:
١٥.....	التوكل في الروايات:
٢٠.....	حد التوكل:

### باب (٧٦) في الإخلاص

٢٦.....	حقيقة الإخلاص:
٢٩.....	هلاك الإنسان:
٣١.....	حد الإخلاص:
٣٢.....	طريق الوصول إلى الإخلاص:
٣٣.....	الإخلاص في القرآن الكريم:
٣٥.....	مقام المخلصين في القرآن الكريم:

٣٧.....	حكاية عن الإخلاص:
٣٨.....	الإخلاص في الروايات:
٣٩.....	الإخلاص عند العرفاء:

## **الباب (٧٧) في معرفة الجهل**

٤٦.....	معرفة الجهل:
٤٧.....	الغفلة عن العيوب:
٤٩.....	مفتاح الجهل والعلم:
٥٠.....	حد الجهالة:

## **باب (٧٨) في تعظيم الأخ المؤمن**

٥٤.....	مصالحة الأخ في الدين:
---------	-----------------------

## **الباب (٧٩) في التوبة**

٦٠.....	حقيقة التوبة:
٦١.....	الأثار الإلهية للتوبة:
٦٢.....	وجوب التوبة:
٦٤.....	التوبة في القرآن الكريم:

٦٥.....	شأن النزول:
٦٥.....	جاء في شأن نزول هذه الآية:
٦٧.....	التوبة في الروايات:
٧٠.....	توبه اليهودي:
٧٢.....	التوبة الحقيقة:
٧٢.....	شرائط التوبة:
٧٤.....	انواع التوبة:
٧٥.....	توبه العوام:

## الباب (٨٠) في جهاد ورياضة النفس

٨١.....	جهاد النفس:
٨٤.....	سبيل الجنة:
٨٥.....	عدم الافتراض بالدنيا:
٨٦.....	منشأ كل المزالق:
٨٧.....	العبادات الظاهرة الباطنية:
٨٨.....	العبادات الظاهرة:
٨٨.....	العبادات الباطنية:
٩٠.....	وصفة الشفاء:
٩٢.....	كلام لصدر المتألهين في تزكية النفس:
٩٣.....	المسائل الملكوتية في محور النفس:
٩٦.....	سبيل نمو وكمال النفس:

٩٩.....	العقل والنفس:
١٠١ ..	لوم النفس:

## **الباب (٨١) في الفساد**

١٠٦.....	فساد الظاهر والباطن:
١٠٩ ..	منشأ الفساد:
١١١ ..	الففلة عن الله:
١١٢ ..	خطر فساد الباطن:
١١٧ ..	اساليب النجاة من الفساد:

## **الباب (٨٢) في التقوى**

١٢٣ ..	التقوى أو أرفع حقيقة:
١٢٨ ..	نصيحة المذنب:
١٢٩ ..	ثمار التقوى:
١٣٣ ..	التقوى من وجهة نظر العرفان:
١٣٦ ..	الغرض من الشريعة والطريقة والحقيقة:
١٣٧ ..	عمل أهل الشريعة:
١٣٧ ..	عمل أهل الطريقة:
١٣٩ ..	عمل أهل الحقيقة:

١٤١ .....	القوى في القرآن المجيد:
١٤٤ .....	القوى في الروايات:
١٤٨ .....	مثل القوى:
١٥٠ .....	القوى في العبادات:

## الباب(٨٣) في مسألة الموت

١٥٦ .....	حقيقة الموت:
١٥٩ .....	عودة الحياة للأموات:
١٦١ .....	زاد الآخرة في القرآن الكريم:
١٦٢ .....	زاد الآخرة كما في الروايات:
١٦٨ .....	موت العباد الصالحين:
١٧١ .....	احتضار المؤمن:
١٧٣ .....	المؤمن في عالم البرزخ:
١٧٨ .....	نقل في الكافي عن حبة العرّقى:
١٧٨ .....	البرزخ ومقامات أهل القلب:
١٧٨ .....	المولى مهدي الزراقي والبرزخ:
١٧٩ .....	مسألة أخرى من عالم البرزخ:
١٧٩ .....	أين هديتي؟:
١٨٠ .....	الحاج ميرزا خليل الطهراني في البرزخ:
١٨٣ .....	سرور «باهية» في البرزخ:
١٨٣ .....	العلامة المجلسي <small>رحمه الله</small> في البرزخ:

موت الظالمين:	١٨٦
موت الظلمة كما في القرآن:	١٨٧
موت الظلمة في الروايات:	١٩٠
الكشف البرزخي للسخناني:	١٩٢
الكشف البرزخي للسيد جمال الدين الكلباني:	١٩٣
قال هذا الرجل العظيم:	١٩٤
ذكر الموت:	١٩٧
ذكر الموت:	١٩٩

## الباب (٨٤) في الحساب

مسألة الحساب:	٢٠٤
كيفية الحساب يوم القيمة:	٢٠٧
١ - بغير حساب:	٢٠٧
٢ - سريع الحساب:	٢٠٩
المعاني الحسنة في الروايات:	٢٠٩
٣ - الحساب اليسير:	٢١٠
٤ - الحساب الشديد:	٢١١
٥ - سوء الحساب:	٢١١
محاسبة الأعمال:	٢١٢
السالك ومحاسبة ثلاثة أصول:	٢١٥
كمية وكيفية الأعمال:	٢١٨

## الباب(٨٥) في حُسن الظن

حسن الظن:.....	٢٢٤ .....
سوء الظن في القرآن الكريم:.....	٢٢٦ .....
سوء الظن في الروايات:.....	٢٢٧ .....
حسن الظن بالله المتعال:.....	٢٣٠ .....

## باب(٨٦) في التفويض

حقيقة التفويض:.....	٢٣٦ .....
مؤمن آل فرعون وتفويض الأمور لـه سبحانه وتعالى:.....	٢٣٩ .....
المعنى العرفاني للتفويض:.....	٢٤١ .....
درجات التفويض:.....	٢٤٢ .....
. تركيب التفويض:.....	٢٤٤ .....

## الباب(٨٧) في اليقين

حقيقة اليقين:.....	٢٥١ .....
مراتب اليقين:.....	٢٥٣ .....
اليقين والتوكل:.....	٢٥٥ .....

**الباب (٨٨) في الخوف والرجاء**

٢٦١ .....	حقيقة الخوف والرجاء:
٢٦٣ .....	خوف المؤمن:
٢٦٥ .....	نصيحة أوس بن فحص حول الخوف:
٢٦٥ .....	الخوف خوفان:
٢٦٦ .....	الأمل أملان:

**باب (٨٩) في مسألة الرضا**

٢٧٠ .....	الرضا عن حضرة الحق سبحانه:
٢٧٢ .....	الرضا من وجهة نظر العرفان:
٢٧٥ .....	العلم بالرضا:
٢٧٧ .....	الرضا في الروايات:
٢٨٠ .....	الرضا بالمحبوب والمكرور:

**الباب (٩٠) في البلاء**

٢٨٦ .....	الابلاء والامتحان:
٢٨٩ .....	حمد الله سبحانه بعد الابلاء:
٢٩١ .....	الصبر في البلاء:
٢٩١ .....	البلاء في كلام العرفاء:

## الباب(٩١) في الصبر

حقيقة الصبر:	٢٩٩
الصبر في القرآن الكريم:	٣٠٠
الصبر في الروايات:	٣٠٣
يقول أبو بصير:	٣٠٤
الصبر من وجه العرفان:	٣٠٧
أقسام الصبر:	٣٠٨
درجات الصبر:	٣٠٩
معنى الصبر والجزع:	٣١٠
الصابرون الحقيقيون:	٣١٢
ينقل عن أحد الفضلاء:	٣١٣

## الباب(٩٢) في الحزن والغم

الحزن شعار العرفاء:	٣١٨
حزن العرفاء:	٣٢٠
الأحوال التي تختص الحزين هي:	٣٢١

## الباب(٩٣) في الحياة

حقيقة الحياة:	٣٢٦
---------------	-----

٣٢٦ .....	<b>الحياء في الروايات:</b>
٣٢٧ .....	<b>تبديل السيدة بالحسنة:</b>
٣٢٩ .....	<b>الحياء جذور الإيمان:</b>
٣٣١ .....	<b>مراحل الحياء:</b>
٣٣٢ .....	<b>الحياء على خمس مراحل:</b>

### **الباب (٩٤) في الدعوى والإدعاء**

٣٣٦ .....	<b>مسألة الدعوى الكاذبة والصادقة:</b>
٣٣٨ .....	<b>المدعي الصادق:</b>

### **الباب (٩٥) في المعرفة**

٣٤٢ .....	<b>العرفان والمعرفة والعارف:</b>
٣٤٤ .....	<b>معنى المعرفة:</b>
٣٤٥ .....	<b>وظائف العارف:</b>

### **الباب (٩٦) في الحب في الله**

٣٥٠ .....	<b>العشق لحضررة الحق سبحانه:</b>
٣٥٢ .....	<b>العشق أو أفضل ثمرة عالم الملوك:</b>

.....	حقيقة عشق:
٣٥٥ .....	أخلص الناس:
٣٥٦ .....	نار عشق الله سبحانه:

### **الباب(٩٧) الصدقة في الله**

.....	الصدقة في سبيل الله سبحانه وتعالى:
٣٦٢ .....	الصداقات غير الإلهية:
٣٦٤ .....	

### **الباب(٩٨) في السوق**

.....	سوق اللقاء إلى الله سبحانه وتعالى:
٣٧٠ .....	خمس تكبيرات الفناء:
٣٧٢ .....	

### **الباب(٩٩) في الحكمة**

.....	حقيقة الحكمة:
٣٧٦ .....	
٣٧٨ .....	علامات الحكيم:

## الباب (١٠٠) في حقيقة العبودية

٣٨٣ .....	حقيقة العبودية:
٣٨٤ .....	الإنسان في كرسي الخلقة:
٣٨٧ .....	مواهب الإنسان العظيمة في ميدان المعنوية:
٣٩٦ .....	تفسير العبودية:
٣٩٩ .....	حقيقة المعاملات:
٤٠٠ .....	المعاملة مع الله سبحانه وتعالى:
٤٠٠ .....	التعامل مع النفس:
٤٠٠ .....	التعامل مع الخلق:
٤٠١ .....	التعامل مع الدنيا:
٤٠٢ .....	قبس من حياة العرفاء:
٤١٣ .....	المحتويات: